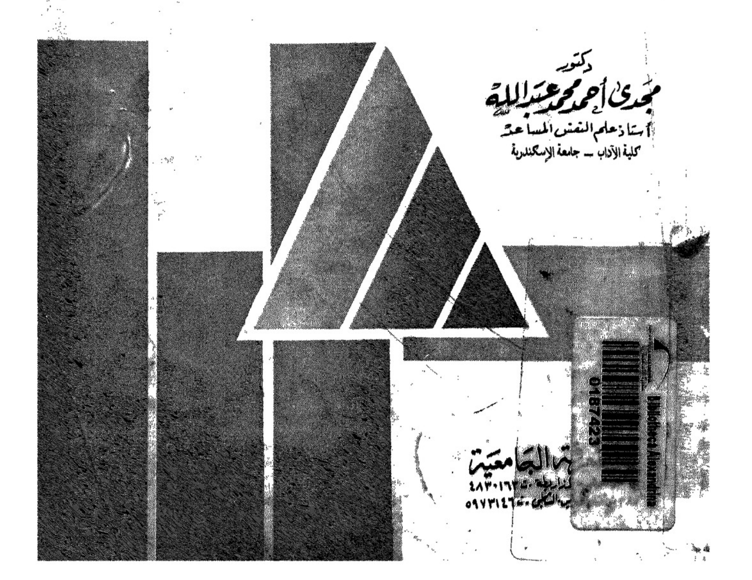
السلوك الاجتماعي وديناميته

محاولة تفسيرية



السلوك الاجتماعي ودينامياته

محاولة تفسيرية

دكتور
مجدي أحمد محمد عبد الله
أستاذ علم النفس المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٢٠٠٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قناة السويس - الشاطبي - ت ٥٩٧٣١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

صدق الله العظيم

سورة الكهف، آية ١٠

تصـــــدير

يستطيع من يؤرخ لعلم النفس الحديث أن يأخذ بوجهة النظر الارتقائية في عرضه لتاريخ هذا العلم فيبدأ الباحث بسرد لتاريخ علم النفس ابتداءاً من القرن الرابع قبل الميلاد حيث فلاسفة اليونان وتشكل هذه الحقبة من التاريخ المرحلة الأولى لتطور علم النفس ثم ينتقل بعد ذلك إلى مرحلة الفكر الإسلامى حيث مفكرى الحضارة الإسلامية ثم ينتقل بعد ذلك إلى مرحلة العصر الحديث أو بداية عصر النهضة ويتوقف فى هذه المرحلة كثيراً عند علم النفس فى ألمانيا خاصة فى عام ١٨٧٩ أى لدى فونت ثم توسع علم النفس وانتشاره على يد تلامذته فى أوربا وأمريكا وينتهى بعرض للتطورات الحديثة فى علم النفس والتى أعقبها تزايداً هائلاً فى الدراسات النفسية الحديثة.

وخلال تلك المراحل الأربعة من تطور علم النفس يجد الباحث أن أولئك الفلاسفة والمفكرين عبر هذا التاريخ الطويل قد اهتموا بكثير من الأمور كان أبرزها مفهوم النفس: تكونها، معناها، مادتها، مكانها بالنسبة للعالم المادى، الوظائف النفسية والعقلية لها، ثم طريقة اثبات كل ذلك، ويلاحظ فى هذا الجانب أن علم النفس قد انتقل من دراسة الروح إلى دراسة العقل ثم إلى دراسة الشعور حتى وصل إلى دراسة السلوك إلا أنه من ناحية أخرى نجد أن المنهج قد طرأ عليه أيضاً ذات التطور فانتقل من الاعتماد على الخيال والأساطير إلى الاستدلال والمناهج الفلسفية ثم وصل إلى التأمل الباطنى وإمكانية استخدام المنهج العلمى والذى يتبع فى دراسة الظواهر الطبيعية والبيولوجية.

أما الأمر الثانى والذى شغل اهتمام الفلاسفة والمفكرين عبر تلك المراحل وهو دراسة الصلة بين الفرد والمجتمع ومحاولة التحكم فى هذه الصلة

وتوجيهها الوجهة السليمة التي تكفل تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للفرد من ناحية وتقدم المجتمع وتماسكه من ناحية أخرى وعليه فقد اهتم أولئك الفلاسفة والمفكرين بكثير من المجالات كالمجالات التربوية والاجتماعية وغيرهاوالتي تنصب في جوهرها على التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع ـ ونواته الأولى الأسرة مع استعراض ديناميات ذلك المجتمع والتى تسهم فى تماسكه، ثم تناول موضوع القيادة والزعامة وشروطها باعتبارها أحد العوامل التى يتقرر على أثرها تماسك الجماعة.. إلى آخر ما عرضه أولئك الفلاسفة والمفكرين فى تراثهم الفكرى. وكانت كلها محاولات أكثر انتظاماً، وأقرب إلى روح التفكير المنطقى القابل للتعميم فى مجال علم النفس الاجتماعى وبهذا فإن تاريخ علم النفس الاجتماعى يعد بمثابة أحد المعالم الأساسية فى تاريخ علم النفس عامة شأنه فى هذا شأن أى فرع آخر من فروع علم النفس الأخرى والتى طرأ عليها التطور.

وعلم النفس الاجتماعى Social Psychology هو أحد الفروع النظرية والمنهجية لعلم النفس، وهى فروع تضع أسس النظرية التى تشرح قطاعات السلوك الإنسانى على اختلافها ـ كما تضع المنهج أو الطريقة المناسبة لدراسة كل قطاع من تلك القطاعات، وعليه فإن علم النفس الاجتماعى يدرس سلوك الأفراد والجماعات تحت تأثير المواقف الاجتماعية المختلفة ـ أو ما يمكن أن يعبر عنه بالسلوك الاجتماعى للأفراد والجماعات ـ يدرسه دراسة علمية منظمة وذلك بهدف الوصول إلى فهمه وتفسيره، مما يمكن أن يعين الباحث على التنبؤ بما سيكون عليه السلوك فى مواقف اجتماعية معينة ـ بما يساعد على ضبطه ـ والتحكم فيه إما بتعديله أوتحويره أو تحسينة وهنا نجد أن علم النفس الاجتماعى يستهدف الكشف عن خصائص السلوك الاجتماعى للأفراد والجماعات ابتغاء السيطرة على مصير الأفراد والجماعات وذلك للوصول إلى أكبر قدر من التكيف النفسى والاجتماعى.

والمؤلف الذى بين أيدينا يضم بين طياته ثنتا عشر فصلاً رئيسياً ومقدمة، عرض الكاتب فى المقدمة لوجهة النظر الارتقائية كمدخل للتأريخ مبيناً أن الفلاسفة والمفكرين ابتداءاً من القرن الرابع قبل الميلاد وحتى النصف الثانى من القرن العشرين قد اهتموا بجوانب متعددة فى علم النفس كان أبرزها ما يمكن أن يدرج ضمن علم النفس الاجتماعى، ثم تطرق بعد ذلك إلى تحديد مكانة علم النفس الاجتماعى على خريطة العلوم النفسية وأهميته فى فهم السلوك وتفسيره والتنبؤ به مما يعين على ضبطه والتحكم فيه.

وفى الفصل الأول وكان بعنوان «علم النفس الاجتماعى: مقدمة نظرية» فقد بدأ بعرض لتعاريف علم النفس الاجتماعى - انتهت إلى استخلاص تعريف محدد وواضح لهذا العلم، ثم تعرضنا لأهمية علم النفس الاجتماعى وتطبيقاته العملية فى مجالات المجتمع على اختلافها ثم تميز علم النفس الاجتماعى عن العلوم الانسانية الأخرى سواء أكان هذا التميز فى الموضوع أو فى المنهج الذى يدرس به هذا الموضع، ثم تعرضنا بعد ذلك لتطور علم النفس الاجتماعى بدءاً من القرن الرابع قبل الميلاد ونهاية بالنصف الثانى من القرن العشرين ولما كان المنهج كطريقة فى البحث يأتى فى أهميته بعد تحديد الموضوعات أو الميادين الأساسية التى يتناولها العلم كان الفصل الثانى وهو بعنوان «المنهج فى علم النفس الاجتماعى» وقد بدأ الفصل بتصنيف مناهج البحث السيكولوچية ثم التخطيط العام للمنهج العلمى ثم تعرضنا بعد ذلك للمنهج التجريبى وعناصره أو خطواته ثم انتقلنا بعد ذلك إلى التشخيص النفسى للسلوك ثم منهج دراسة الحالة ثم انتهينا بعرض لمنهج القياس الاجتماعى أو ما يطلق عليه إسم «المنهج السوسيومترى»

ويحتل موضوع الاتجاهات النفسية والاجتماعية أهمية خاصة فى علم النفس الاجتماعى وعليه كان الفصل الثالث عن «الاتجاهات النفسية

والاجتماعية، وقد بدأ يشرح لأهمية دراسة الاتجاهات النفسية الاجتماعية ثم تعريف مصطلح الاتجاه وما يتضمنه التعريف ثم عرض لأنواع الاتجاهات النفسية الشائعة لدى أفراد المجتمع ولما كان الاتجاه كتنظيم نفسي مكتسب فإن هنالك ثلاث مكونات: إدراكية، وجدانية، ونزوعية تتضافر في تشكيله وتحديد السلوك الصادر عنه، وقد قدمنا لعدد من الأمثلة تشرح تلك المكونات التي تنظم الاتجاه، ثم عرضنا بعد ذلك للعلاقة بين الاتجاهات والقيم ونقاط التشابه، والاختلاف بينهما، ثم عرضنا بعد ذلك للعوامل المؤثرة في تكوين الاتجاهات ثم انتهينا إلى قياس تلك الاتجاهات وعرض الطرق المباشرة وغير المباشرة في القياس.

ثم تعرضنا بعد ذلك للرأى العام وكان هذا هو موضوع الفصل الرابع وقد تعرضت في بدايته للعلاقة بين مفهومي الرأي العام والاتصال، ثم تعاريف الرأى العام ونماذج من تلك التعاريف، ثم عرض لمقومات الرأى العام ـ وعلاقته بالاتجاهات، والعوامل المؤثرة فيه، وأثره في سلوك الفرد والجماعة وكيفية قياسه، ونموذج من المقاييس المستخدمة في هذا الشأن، ثم عرضنا لبحوث مصرية في الرأى العام والاتجاهات النفسية. أما الفصل الخامس وكان بعنوان «ديناميات الجماعة» وهو مجال جديد من مجالات علم النفس الاجتماعي لم يمض على ظهوره وتبلوره أكثر من خمسين عاماً فقد بدأ كيرت ليفين استخدامه في عام ١٩٣٩ ـ ويشير به إلى إمكانية الوصول إلى مجموعة متماسكة من المعارف عن طبيعة الحياة الاجتماعية ـ وقام هو ومعاونوه بعدد من الدراسات في مواقف اجتماعية متعددة في أثناء الحرب العالمية الثانية تناول فيها بحث القرارات الجماعية والمناقشات الاجتماعية وأثرها في تغيير العادات والتصرفات. وقد انتهت هذه الدراسات والدراسات التالية لها إلى أن الجماعة ككل دينامي بما يحدث في إطارها من عمليات تفاعلية يؤدى إلى تغير أجزائها، ومن هنا جاء الاهتمام بفهم

الحياة الاجتماعية فهماً دقيقاً بدراسة: طبيعة الجماعات والقوى النفسية المختلفة التى تؤثر فيها. وقد بدأ هذا الفصل بتعريف ديناميات الجماعة وما يعنيه المصطلح، ثم علاقة تلك الديناميات بالعلوم السلوكية المختلفة، ثم تعريف الجماعة وأشكالها ومحدداتها، ثم طرق اتخاذ القرار فى إطار الجماعة، ثم اضطراب السلوك الاجتماعى وعوامله وأشكاله، ثم تحدثنا عن العوامل المؤدية إلى ارتقاء الفرد وتقدمه أو تلك المعوقة لهذا الارتقاء والتقدم ثم الروح المعنوية، ثم ختمنا الفصل بدراسات وبحوث مصرية فى مجال ديناميات الجماعة، وقد أوضحت هذه الدراسات والبحوث أن هناك علاقة وثيقة بين ديناميات الجماعة وديناميات الشخصية ذلك أن كل منهما يشكل إطاراً لفهم سلوك الفرد فى جوانبه المتعددة مما يتيح لنا تفسيره والتنبؤ به وبالتالى إمكانية السيطرة على هذا السلوك وتوجيهه بما يكفل التوافق النفسى والاجتماعى للفرد ـ والتماسك والازدهار للمجتمع.

أما الفصل السادس فكان موضوعه «الاتصال» تعريفه، أشكاله، وظائفه، ومستوياته، ثم العناصر الرئيسية فى عملية الاتصال، ثم انتهينا بعرض لبعض البحوث الرائدة فى الاتصال الجمعى (الجماهيرى)، أما الفصل السابع فكان عن «سيكولوچية الإعلام ووسائله»، وقد بينا فى بدايته معنى الإعلام وأهميته ووجهة نظرنا فى تناوله وأثره فى سلوك الفرد والجماعة، وانتهينا بعرض لوسائل الإعلام المختلفة مع المقارنة بينها سواء فى المساحة الزمنية أو المكانية وفى أهداف كل وسيلة إعلامية منها ـ وكانت خاتمة الفصل تساؤل عما إذا كانت وسائل الإعلام تحل مشاكل الأولاد والبنات ؟ وكانت الإجابة من خلال دراسة تحليلية لمشكلات الشباب وحلولها من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

وقد آثرت استعراض نمط من الدوافع الاجتماعية المكتسبة والتى تشبع

لدى الفرد حاجات نفسية واجتماعية تدفعه إلى التفوق واحتلال مكانة راقية في المجتمع ومجالاته الانتاجية والابداعية المختلفة، وفي نفس الوقت يؤدي إشباعها إلى تماسك الجماعة وازدهارها، وعليه فقد عرضت في الفصل الثامن للدافع للانجاز ـ كنمط من تلك الدوافع ـ فبدأت بتعريفه، وخصائص ذوى الدرجة العالية من الانجاز، ثم مكونات الدافع للانجاز ثم امكانية قياسه ونماذج من مقاييسه وفي نهاية الفصل عرضت للفروق بين الجنسين في هذا الدافع، ولما كانت الشخصية الانجازية تستند إلى مقومات معينة تدفع بالفرد إلى الإنجاز ـ كان لابد من التعرض لهذا الجانب وكان هذا بعنوان «الشخصية الانجازية ـ نظرية سلوكية» كموضوع للفصل التاسع مستندين في هذا لعدد من الأدلة التجريبية، ثم تناولنا معوقات هذا الدافع وكيفية تنميته.

وفي الفصل العاشر وكان بعنوان «التوافق والصحة النفسية والمجتمع»، وقد بدأ الفصل بدراسة الارتباط الوثيق بين الشخصية والتوافق كإطارين مرجعيين لتفسير السلوك الإنساني ثم عرضت لمشاكل التوافق (الأعصبة)، والمحددات الأساسية للتوافق ثم إمكانية قياس التوافق النفسي الاجتماعي للفرد مع عرض لنماذج تلك المقاييس.

ويلاحظ أنه باستعراض التراث النظري في مجال علم النفس الاجتماعي أن هناك مراحل عمرية مختلفة يمكن أن يكون لها أهمية في علم النفس الاجتماعي كمرحلة المراهقة، ومرحلة الشيخوخة، أما مرحلة المراهقة فهو موضوع الفصل الحادي عشر وقد ركزت في تناولها على الأصول الثقافية والاجتماعية فبدأت باستعراض أن المراهقة ليست ظاهرة عالمية وانتهيت بعرض لأبرز مشاكل المراهقة. أما الفصل الثاني عشر من هذا المؤلف فكان بعنوان «الأبعاد الأساسية» للشخصية من وجهة نظر

حضارية مقارنة» ، وهذا الفصل يستعرض عدداً من الدراسات الحضارية المقارنة فى علم النفس عامة، والشخصية خاصة، وهى دراسات يشترك فيها باحثين من بلاد مختلفة متباينة الثقافات (الحضارات)، وكل منهم يتناول شخصية أفراد ثقافته وسلوكهم من وجهة نظره وبأدوات قننت لتصلح لهم - وكلها تلقى بالضوء على ما تتناوله بالدراسة والبحث من منظور جديد مختلف.

والله أسأل أن أكون قد وفقت بهذا الجهد فى عرض ما اشتمل عليه هذا المؤلف، وآمل أن يكون فيه استفادة لكل من يقرأه. وأخيراً ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً، وأَمَّا مَا ينفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فى الأَرْضِ ﴾ [١].

---

(١) قرآن كريم، سورة الرعد، (آية : ١٧).

المحتويات

الفصل الرابع

الـرأى العــــــام

الفصل الخامس

ديناميات الجماعــــة

الفصل السادس

الاتصـــــــال

الفصل السابع

سيكولوچية الإعلام ووسائله

الفصل الثامن

الدافع للإنجاز: مقدمة نظرية

الفصل التاسع

الشخصية الإنجازية: نظرية سلوكية

الفصل العاشر
التوافق والصحة النفسية والمجتمع

الفصل الحادي عشر
الأصول الثقافية والاجتماعية للمراهقة

الفصل الثاني عشر
الأبعاد الأساسية للشخصية من وجهة نظر حضارية مقارنة

الفصل الأول

علم النفس الاجتماعى

مقدمة نظرية

- تمهيد.
- تعريف علم النفس الاجتماعى.
- أهمية علم النفس الاجتماعى وتطبيقاته العملية.
- تميز علم النفس الاجتماعى عن العلوم الإنسانية.
- نبذة عن تطور علم النفس الاجتماعى.
- مراجع الفصل الأول.

الفصـل الأول

علم النفس الاجتماعى ـ مقدمة نظرية

تمهيد:

تدور التعريفات المختلفة لعلم النفس الاجتماعى Social Psychology حول محور واحد هو دراسة سلوك الفرد كما يتشكل من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة. ومعنى هذا أن موضوع هذا العلم هو الدراسة العلمية للسلوك الصادر عن الفرد تحت تأثير المنبهات الاجتماعية المختلفة وما بينها من علاقات. (٣: ١٤-١٥، ٤: ١، 7:509)، أى أن علم النفس الاجتماعى يدرس السلوك الاجتماعى للفرد والجماعة كاستجابة لمثيرات اجتماعية، ولذلك فهو يهتم بدراسة التفاعل الاجتماعى، ونتائج هذا التفاعل، وهدفه هو بناء مجتمع أفضل قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة. (١٣: ١٤-١٥)، وأيضاً يدرس الصور المختلفة للتفاعل الاجتماعى أى التأثير المتبادل بين الأفراد بعضهم وبعض، وبين الجماعات بعضها وبعض، وبين الأفراد والجماعات. (١: ٣٩-٤٠، ٢: ٣٥).

تعريف علم النفس الاجتماعى:

يحدد كرتش وكرتشفيلد Krech & Crutchfield (١٩٤٨) مجال علم النفس الاجتماعى بأنه يشمل جميع جوانب سلوك الفرد فى الجماعة. وهما بذلك يعرفان علم النفس الاجتماعى بأنه ذلك العلم الذى يتناول بالدراسة سلوك الإنسان فى الجماعة.

ويعرف لابرت ولامبرت Labert & Lambert (١٩٦٤) علم النفس الاجتماعى بأنه الدراسة التجريبية للأفراد فى المواقع (المواقف) الاجتماعية والثقافية.

وعلم النفس الاجتماعى عند شريف وشريف Sherrif & Sherrif (١٩٥٦) هو الدراسة العلمية لخبرة الفرد وسلوكه فى علاقاتهما بالمواقف الاجتماعية.

ويعرف سارجنت ويليام Sargent & Willamson (١٩٥٨) علم النفس الاجتماعى بأنه الدراسة العلمية للأفراد بوصفهم أعضاء فى جماعات مع تأكيدها لدراسة العلاقات الشخصية والاجتماعية (٥: ١٤-١٥).

ويحدد مكدوجل Mc Dougal (١٩١١) مجال علم النفس الاجتماعى بأنه كيفية إكساب المجتمع للفرد الذى يعيش فيه خلقا أو طبعا معينا، وتعتبر التنشئة الاجتماعية هى المحور الأساسى فى ذلك.

وبالإضافة إلى اهتمام علم النفس الاجتماعى بالتفاعل الذى يحدث بين الفرد والآخرين أو ما يمثله الآخرون، وما ينتج عن هذا التفاعل، وصوره، فإنه يهتم أيضا بدراسة التنشئة الاجتماعية للفرد، وكيفية تأثره بالنظام الاجتماعى وبالحضارة والثقافة التى ينشأ فيها، وكيف يؤثر ذلك فى تكوين اتجاهاته واعتقاداته وميوله، وهو يدرس سيكولوجية الجماهير، والرأى العام، والدعاية والإعلان والعلاقات العامة، كما يدرس كثيراً من المشكلات الناشئة عن العلاقات بين الأفراد والجماعات كالتعصب والمنازعات الطائفية والطبقية والثورات والحروب. (٦: ١٨-١٩).

ويعد علم النفس الاجتماعى أحد الفروع النظرية Theoretical Approaches لعلم النفس، والفروع النظرية بطبيعة مباحثها لاتهدف إلى نفع مباشر أو حل مشكلة علمية، بل إلى العلم لمجرد العلم، أى مجرد الكشف عن المبادئ والقوانين التى تهيمن على السلوك (١: ٣٩، ٢: ٣٤-٣٥)، وفى ضوء هذا التصور فإن ما يقدمه علم النفس الاجتماعى فى معالجته لموضوعاته المختلفة: المبادئ والقوانين بالإضافة إلى المنهج، مما يمكننا

من فهم وتفسير السلوك الاجتماعى للفرد والجماعة وهما محورى الدراسة فى هذا العلم، وكذلك معرفة العوامل المحددة لهذا السلوك سواء أكانت هذه العوامل عوامل الشخصية، أو عوامل المجال النفسى، ويقصد بعوامل الشخصية؛ العوامل المتعلقة بالنواحى الجسمية والفسيولوچية والنواحى العقلية والنواحى الانفعالية والنواحى الاجتماعية. ويقصد بالمجال النفسى للفرد مجموعة الحقائق والمؤثرات التى يعيها ويدركها وتؤثر فى سلوكه حيث يصدر عنه هذا السلوك. ويهدف الباحث فى علم النفس الاجتماعى كذلك إلى الكشف عن العوامل التى يتغير بتأثيرها سلوك الجماعة فى استجاباتها للمثيرات الاجتماعية. (٣: ١٥).

وإذا كان لنا أن نأخذ بتعريف محدد واضح المعالم لهذا العلم فيمكننا أن نستخلص التعريف الآتى: إن علم النفس الاجتماعى فرع نظرى يدرس:

(أ) الصور المختلفة للتفاعل الاجتماعى أى التأثير المتبادل بين الأفراد بعضهم وبعض، والجماعات بعضها وبعض، وبين الأفراد والجماعات، وبين الآباء والأبناء، بين التلاميذ والمدرس، بين العمال وصاحب العمل، وبين المعالج والمريض.

(ب) ومن صور التفاعل: التعاون والتنافس؛ الحب والكره، الارتياب والمحاكاه، التشجيع، التعصب والانحياز.

(جـ) كما يدرس نتائج هذا التفاعل ومنها تكوين الأفراد والعواطف والمعتقدات وشخصيات الأفراد.

(د) كما أنه يتطرق إلى دراسة العوامل التى تؤثر فى ذلك التفاعل.

وربما تبرز لدينا من التعاريف السابقة ثلاث مفاهيم جديرة بالنظر وهى مفاهيم: المواقف الاجتماعية، والمجال الاجتماعى الفرد؟ السلوك الاجتماعى. وفيما يلى تحديداً مبينا لها:

أ ـ المواقف الاجتماعية: وهى تلك المواقف التى تحتوى على مثيرات

اجتماعية فى أى نمط من الجماعات أو الثقافات.

ب ـ المجال الاجتماعي للفرد: وهو المجال الذى يتميز بوجود آخرين به سواء أكان هذا الوجود مباشراً أو كان ممثلاً بوجود أحداث سيكولوجية مرتبطة بهم مثل المفاهيم والذكريات.

جـ ـ السلوك الاجتماعي: وهو السلوك الذى يصدر عن الفرد ويتأثر فيه بالآخرين.

أهمية علم النفس الاجتماعى وتطبيقاته العملية:

لعلم النفس الاجتماعى أهميته الخاصة وتطبيقاته العملية: فى التربية والتعليم، وفى الصحة النفسية والعلاج النفسى، وفى القوات المسلحة وفى الصناعة وفى الإعلام، وفى كافة نواحى الحياة الاجتماعية الأخرى، ذلك أن فاعلية الجماعة ومستوى أدائها ودرجة انتاجيتها ومدى تحقيقها لأهدافها أمراً فى غاية الأهمية فى كل تلك المجالات (٣: ١٦، ٢١).

ولنأخذ على سبيل المثال عدد من المجالات التطبيقية تشتد حاجتها إلى فهم طبيعة السلوك الاجتماعى للفرد والجماعة وهى مجالات الصناعة، التربية والتعليم، الاتصال والإعلام.

أ ـ علم النفس الاجتماعى فى الصناعة:

لاشك أن المصنع ينهض فى مجتمع له مقوماته وظروفة ولذلك كان من الضرورى أن يتحقق بينها الشئ الكثير من التعاون، وأن نعمل على توفير الديمقراطية الصناعية للعاملين على اختلاف فئاتهم، وذلك بتجنيب العاملين القيود والاستفزازات التى تنتقص من احترام العامل لذاته، وأن تزيد إحساسه بمسؤليته ورغبته فى العمل.

ولا شك أن من يتعمق فى علم النفس الصناعى يجد أنه يستهدف رفع مستوى الكفاية الانتاجية للعامل أو الجماعة العاملة عن طريق حل

المشكلات المختلفة التى تغشى ميدان الصناعة والانتاج حلا علميا إنسانيا يقوم على مبادئ علم النفس ومفاهيمه ويحرص على راحة العامل وكرامته حرصه على زيادة الانتاج. ولذلك يهتم بتهيئة جميع الظروف المادية والنفسية والاجتماعية التى تكفل تحقيق غايته. كما يهتم بدراسة العوامل الإنسانية فى الصناعة والكشف عن أفضل الظروف الإنسانية للعمل وحل المشكلات الصناعية حلا علميا.

وتتوقف الكفاية الانتاجية للعامل على اتقانه لعمله ويتضافر فى هذا الاتقان الاستعداد الفنى والاعداد المهنى، ما يحيط بالعامل من بيئة مريحة، عوامل نفسية شتى ومنها استمتاع العامل بعمله وفهمه لقيمته، وادراكه وشعوره بأن المصنع يهتم به كإنسان ويعمل على ارضاء حاجاته المادية والنفسية ويشركه فى الرأى والأرباح.

ولذلك كانت العلاقات الإنسانية فى الصناعة أحد المحاور الأساسية للكفاية الانتاجية ـ اهتم العلماء فيه بدراسة الروح المعنوية للعمال، والموظفين فى الشركة والمصنع، وطرق الاتصال والتفاهم المتبادل بينهم وادارة العمل، وكذلك دراسة سيكولوچية ادارة الأعمال وقيادة الجماعات. وكذلك تخطيط العلاقات الاجتماعية لفرق العمال الذين يعملون معا، والارشاد النفسى للعامل المشكل.

وبهذا تجنب العامل القيود والاستفزازات التى تنتقص من احترام العامل لذاته، وبها أيضا تزيد من إحساسه بمسئوليته ورغبته فى العمل، ويكون العمل بالنسبة للعامل مصدرا لاشباع حاجاته المادية والنفسية، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا بالتعاون بين الفرد والجماعة والمصنع والوحدة الانتاجية.

ب ـ علم النفس الاجتماعى فى مجال التربية والتعليم:

يؤدى العلم إلى زيادة فهم المدرس لطبيعة العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين التلاميذ بعضهم وبعض، وبينهم وبين المدرس والعوامل المؤثرة فيها.

وكما أن هدف النمو المزيد من النمو والارتقاء فكذلك التربية هدفها المزيد من التربية فى جوانبها المتعددة. ووسيلتها فى ذلك إتاحة الفرص كى ينمو الطفل عقليا ونفسيا واجتماعيا. وعلم النفس الاجتماعى هو الذى يزود المدرس بما يحتاج إليه من معلومات عن النمو الاجتماعى للطفل.

ولذلك فالمعلم فى حاجة إلى فهم دقيق وواضح للتنشئة الاجتماعية: طبيعتها والعوامل المؤثرة فيها، وهو فى حاجة إلى الإلمام بالاتجاهات والقيم والمعايير لأن عمله يقتضى منه أحيانا تعديل هذه المعايير وتقويتها، كما أنه فى حاجة إلى فهم طبيعة الجماعات والصف الدراسى بمثابة جماعة: كيف تتكون والعوامل المؤثرة فيها، ودور الجماعة فى تعديل السلوك وكيف تستغل فى الاتجاه الذى يريد المدرس غرسه فى شخصية الطفل.

جـ ـ علم النفس الاجتماعى ومجالات الاتصال والإعلام والعلاقات العامة والدعاية:

تلعب دراسات علم النفس الاجتماعى دورا كبيرا فى التأثير على سلوك الفرد والجماعة ويمكن أن تكون ـ إذا أحسن استخدامها ـ عاملا هاما من عوامل التقدم الإنسانى. ويمكن أن تستفيد وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير والعلاقات العامة إلى أقصى حد من علم النفس الاجتماعى فى تدعيم وعى المواطنين بمسئوليتهم الاجتماعية وربط الإنسان الفرد فى نضاله اليومى بحركة المجتمع كلها، وتكوين اتجاهات سليمة وتعديل ما يحتاج إلى تعديل من الاتجاهات القائمة مستخدمين أنسب الطرق العلمية من دعاية ومناقشات وقرارات اجتماعية... الخ.

إن خصائص العلاقات العامة الذى يعمل على رفع الروح المعنوية بين العاملين ويعمل على إشعارهم بمسئولياتهم الاجتماعية قبل الجمهور والعملاء يتعين عليه فهم طبيعة الجماعات والاتجاهات الاجتماعية أى الرأى العام والعوامل التى تسهم فى تشكيله وطرق قياسه والتأثير فيه.. الخ.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن تقديم المادة العلمية والاتصال بالجماهير والعلاقات العامة والدعاية ومسح الرأى يحتاج إلى دراسة متخصصة وإحاطة بموضوعات علم النفس الاجتماعى على اختلافها.

وعلى ذلك فإن علم النفس الاجتماعى هو الدراسة العلمية لأفراد المجتمع بوصفهم أعضاء فى مجتمعات دراسة يهتم فيها بما يجب أن يكون بينهم من علاقات اجتماعية وشخصية.

تميز علم النفس الاجتماعى عن العلوم الإنسانية الأخرى:

يعرف وود وورث Wood Worth علم النفس بأنه «الدراسة العلمية لنشاط الفرد فى مجموعة كما هو على حقيقته أثناء تعامله مع غيره من الأفراد ـ ومع المجتمع كله» ويلاحظ أن هذا التعريف يتضمن محورين على جانب كبير من الأهمية هما: ـ

١ ـ إن علم النفس يدرس النشاط الكلى للفرد ظاهراً كان أم باطناً شعورياً أو لا شعورياً.

٢ ـ التركيز على القطاع الاجتماعى من السلوك لأهميته حيث التعامل مع الغير، والتعامل مع المجتمع.

ذلك أن دراسة السلوك باعتباره سلوكا يصدر عن الإنسان كوحدة نفسية جسمية تعيش فى مجتمع، ومع ذلك فهناك فروق فى الموضوع وفى المنهج بين علم النفس العام وغيره من فروع هذا العلم نظرية كانت أم تطبيقية، كما أن هناك فروق بين علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع والانثربولوجيا الاجتماعية.

أ ـ علم النفس الاجتماعى وفروع علم النفس الأخرى:

باستقصاء فروع علم النفس المختلفة نجد أنها تنقسم إلى شقين رئيسيين هما الفروع النظرية والمنهجية، والفروع التطبيقية أما الفروع النظرية

والمنهجية فتضع أسس النظرية لقطاع ما من قطاعات السلوك الإنسانى كما تضع أسس المنهج أو الطريقة المناسبة لدراسة تلك النظرية أو ذلك القطاع، أما الفروع التطبيقية فإنها تستخدم ما انتهت إليه الفروع النظرية والمنهجية فى حل مشاكل تغشى مجالات المجتمع بوجه عام.

ومن الفروع النظرية والمنهجية: علم النفس العام ويستهدف الكشف عن المبادئ والقوانين التى تفسر سلوك الإنسان، وعلم النفس الفارق ويدرس ما بين الأفراد أو الجماعات أو السلالات من فوارق فى الشخصية أو الذكاء والاستعدادات، وعلم النفس الارتقائى ويدرس مراحل النمو بدءاً من مرحلة الرضاعة وحتى مرحلة الشيخوخة، وخصائص تلك المراحل من خصائص عقلية واجتماعية ومزاجية وجسمية واجتماعية ـ كما يدرس القوانين التى تسيطر على مسار النمو فى كل من هذه المراحل. وعلم نفس الشواذ ويبحث فى نشأة الأمراض النفسية والعقلية وضعف العقل والإجرام ووضع الأسس لمعالجتها، وعلم نفس الحيوان ويبحث فى سلوك الحيوانات، وعلم النفس المقارن، ويقارن بين سلوك الإنسان والحيوان، والطفل الراشد... الخ. وعلم النفس الفسيولوچى ويهتم بدراسة الأسس الفسيولوچية والجسمية للسلوك، وفى النهاية علم النفس الاجتماعى وهو ذلك العلم الذى يبحث فى سلوك الأفراد والجماعات تحت تأثير المواقف الاجتماعية المختلفة.

ومن الفروع التطبيقية نجد علم النفس التربوى والذى يستهدف حل ما يقوم فى ميدان التربية والتعليم من مشكلات، وعلم النفس الصناعى ويستهدف رفع الكفاية الانتاجية عن طريق حل المشكلات التى تغشى مجاله، وعلم النفس التجارى والذى يعمل على دراسة دوافع البيع والشراء لحاجات المستهلكين وتقدير اتجاهاتهم النفسية نحو المنتجات الموجودة فى السوق، وعلم النفس الجنائى ويدرس العوامل والدوافع التى تتضافر فى إحداث الجريمة. واقتراح أنجح الوسائل للعقاب أو العلاج أو الإصلاح وعلم

النفس القضائي ويدرس العوامل النفسية الشعورية واللاشعورية ذات الصلة بالدعوة الجنائية، وعلم النفس الإكلينيكي والذى يستهدف التشخيص والعلاج، وعلم النفس الارشادى والذى يعمل على مساعدة الأسوياء من الناس على حل مشكلاتهم النفسية بأنفسهم فى مجال معين. وفى النهاية علم النفس العسكرى.

بهذا نرى أن كل فرع من تلك الفروع سواء أكانت نظرية أم تطبيقية يختلف تناولها لذلك الجانب من السلوك سواء أكان هذا الاختلاف فى الموضوع أو كان فى المنهج الذى يدرس به ذلك الجانب ـ فالمنهج يأتى فى المرحلة الثانية بعد تحديد الموضوع ويلاحظ أن هناك قدرا من الاختلاف فى المنهج بين هذه الفروع نظرا لاختلاف موضوعها. وينسحب هذا الاختلاف فى الموضوع والمنهج بين علم النفس الاجتماعى وبقية الفروع المشمولة فى إطار دراسة علم النفس.

ب ـ علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع والانثربولوچيا الاجتماعية:

علم الاجتماع هو علم دراسة الجماعات الإنسانية: علاقات وأنظمة، وبتعبير آخر أنه العلم الذى يستهدف البحث فى تراكيب (فاعليات) وظيفية الأجهزة الاجتماعية بوصفها أجهزة عمل ذات ديمومة نسبية تشارك فيها جماعات من الناس كبرت أو صغرت هذه الجماعات (مرتون، وبروم وكوترل: علم الاجتماع اليوم ١٩٦٠ : ٢٥٠) وعليه فإن علم الاجتماع يركز اهتمامه على سلوك الجماعة وما يصدر عنها من أنظمة اجتماعية وظواهر عمرانية: كأنظمة الزواج والطلاق، والملكية، والجزاء، وهو هنا يركز انتباهه على الجماعة لأعلى سلوك الفرد كما يفعل علم النفس الاجتماعى أما الانثربولوچيا الاجتماعية فهى «الدراسة العلمية للإنسان منذ ظهوره على سطح الأرض فى مجالات تكوينه، وصفاته الجسدية والاجتماعية. والسلوكية، وتطور ونمو حضاراته» ولهذا فالانثربولوچيا تحتوى على عدة

ميادين عمل منفصلة فى مناهجها ومباحثها، ومتصلة اتصالا وثيقا لكونها كلها أجزاء من علم دراسة الإنسان.

ولأن الإنسان يتكون من شقين مكملين لبعضهما: المادة والناتج الإنسانى غير المادى، فإن الانثربولوچيا بدورها تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: الانثربولوچيا الطبيعية والانثربولوچيا الحضارية، ولكل من هذين القسمين ميادين فرعية متعددة. وعلى ذلك فإن الإنثربولوچياالاجتماعية هى المدخل الأساسى لدراسة الإنسان ومجتمعاته المختلفة المتغايرة أبداً. وبهذا يبدو الاختلاف واضحا بين علم النفس الاجتماعى والانثربولوچيا الاجتماعية سواء أكان هذا الاختلاف فى الموضوع أو المنهج.

نبذة عن تطور علم النفس الاجتماعى:

أولاً: فى القرن الرابع قبل الميلاد أنتج الفكر اليونانى نظما فلسفية متكاملة، ونجد هنا أن فلاسفة اليونان قد عنوا بدراسة النفس: تكونها، معناها، مادتها، مكانها للعالم المادى، الوظائف النفسية والعقلية وطريقة اثبات كل ذلك، كذلك عنوا بدراسة الصلة بين الفرد والمجتمع ومحاولة التحكم فى هذه الصلة، وتوجيهها الوجهة السليمة وتسمى هذه المرحلة بمرحلة التفكير الفلسفى، وتعتبر محاولات الفلاسفة اليونان أكثر انتظاما وأقرب إلى روح التفكير المنطقى القابل للتعميم، وربما كان أبرز من ساهم فى تطور علم النفس الاجتماعى من الفلاسفة الاغريق أفلاطون وأرسطو فقد تكلم أفلاطون عن أول مبدأ لتكوين المجتمعات وذلك عندما تكلم عن (المدينة الفاضلة)، فهو يعتبر أن الميل للاجتماع ظاهرة طبيعية ناشئة من تعدد حاجات الفرد وعجزه عن قضائها بمفرده، ولذلك تألف الناس أولا فى جماعات غفيرة تعاونت على توفير المأكل والملبس ثم تزايد العدد وكونوا المدينة. فهذه المدينة الأولى ليس لها حاجات إلا الضرورية وهى قليلة يتسنى ارضاؤها بلا

عناء ولكن سرعان ما تختفى هذه القناعة وتظهر حاجات جديدة فتضيق الأرض بمن عليها فتنشب الحروب بين الشعوب.

أما أرسطو فقد ناقش آراؤه فى تكوين الجماعات وذلك فى كتابه (السياسة) وفيه يعتبر الجماعة الأولى هى الأسرة، ويعتبر أن تحقيق دوافع الفرد وحمايته من الأخطار هى الغرض الأول من الجماعة سواء أكانت أسرة أو قرية أو مدينة. وتتألف الأسرة من الزوج والزوجة والبنين والعبيد. الزوج هو رب الأسرة لأن الطبيعة حبته بالعقل الكامل، أما المرأة فأقل عقلاً ووظيفتها العناية بالمنزل والأولاد تحت اشراف الرجل، أما العبيد فهم ضرورة اجتماعية وهم أقل قدرة من حيث الذكاء الفطرى، أى أن أرسطو يؤمن بوجود فروق بين الجماعات وبين البنين والبنات وبين السادة والعبيد. كذلك يؤمن بوجود فروق بين الشعوب فشعوب الشمال الجليدى شجعان لهذا لا يكدر عليهم أحد صفوة حريتهم ولكنهم عاطلون من الذكاء، لهذا هم كانوا عاجزين عن السيطرة على جيرانهم، أما الشرقيون فيمتازون بالذكاء ولكنهم خلو من الشجاعة، أما الشعب اليونانى فيجمع بين ميزتى الذكاء والشجاعة.

ثانياً: وقد نشأت فى البلاد الغربية فى العصور الوسطى ـ كذلك وبعد ظهور الدين الإسلامى حضارة إسلامية متقدمة وازدهرت العلوم والفلسفة وحفظ نتاج الفلسفة اليونانية من الضياع بترجمته إلى اللغة العربية، ووضع فلاسفة العرب مؤلفاتهم متضمنة جوانب عن النفس، وجوانب تتضمن الصلة بين الفرد والمجتمع. وهذه الجوانب بلا شك كان لها تأثير فى تطور علم النفس الاجتماعى، ومن أبرز الشخصيات العربية والتى كان لها اسهام واضح فى تطور علم النفس الاجتماعى: الفارابى، ابن سينا، الغزالى.

(أ) الفارابى: يعتبر الفارابى أن الدافع للاجتماع هو وجود حاجات عند الفرد ولا يستطيع أن يشبعها بنفسه فهو يقول (كل واحد من الناس

مفطور على أنه يحتاج فى قوامه وفى أن يبلغ كمالاته إلى أشياء كثيرة لايمكن أن يقوم بها كلها هو وحده بل يحتاج إلى عدد من الناس يقوم له كل واحد منهم بشئ.

وهو يتكلم عن تماسك الجماعة والعوامل التى تؤدى إليها مثل تشابه الخلق والشيم الطبيعية والاشتراك فى اللغة واللسان. وكذلك يشير إلى الصفات الضرورية للزعامة فالزعيم يجب أن يكون كامل الأعضاء سليم الجسم، جيد الفهم والتصور، جيد الحفظ، جيد الفطنة، محبا للصدق وأهله، كبير النفس، محبا لكلامه. وهذه مشكلات يهتم بها علم النفس الاجتماعى الحديث ويحاول التوصل إليها ولكن منهجه مختلف عن منهج الفارابى وأمثاله.

(ب) الغزالى: اهتم الغزالى بتكوين المجتمع وبدراسة ديناميياته وكل ذلك بهدف فهم الدوافع لتكوين المجتمع والعمل على إصلاحه وهديه إلى الطريق القويم طريق الدين وتعاليمه، وقد اعتبر أن تكوين المجتمع ضرورة لضمان بقاء الفرد وسلامته وبقاء الفرد وسلامته شرطان لسعادته ووجود المجتمع ضرورة لتوفير الحاجات الضرورية التى لا يستطيع الإنسان العيش بدونها.

ويتوقف بقاء الإنسان على إشباع دوافعه العضوية، ولكنه عاجز عن توفيرها وحده، لذا يتحتم التعاون بين الناس لتوزيع الأعمال فنشوء المجتمع جاء نتيجة لعجز الفرد وعدم قدرته علي الحياة بمفرده لذلك خلق الله في كل إنسان رغبة للتجمع فطرية. ولكن عندما يتعقد المجتمع تظهر مشاكل جديدة فى التعاون والعلاقات الإنسانية. ونمو المجتمع وتطوره يخلقان حاجات جديدة مثل حب الجاه والسيطرة ولكن الإنسان الذى يطمح إلى تحقيق السعادة بمعرفة الله عليه أن يختار الطرق التى توصله إلى تحقيق غايته. أى أن الإنسان نتيجة لوجوده فى

مجتمع ما يحتاج إلى أشياء معينة ضرورية له، ولكن عليه أن يحدد أهدافه حتى لا ينشغل عنها بأهداف أخرى.

ولما كانت سعادة رجل الدين فى معرفة الحق والتوصل إليه فإنه قد يجد نفسه فى صراع مع متطلبات البدن والمجتمع ومتطلبات العلم والدين ومرحلة النمو والنضج التى يمر بها لها تأثيرها كما أنها تغير من أهداف الشخص. ويعتبر الغزالى أن رغبة الإنسان فى تحقيق الأهداف الاجتماعية وإشباع الدوافع التى تخلقها الحياة فى مجتمع معين غاية إلهية لاستمرار الحياة الاجتماعية والعضوية والدنيوية.

ثالثا: وقد شهدت العقود الأخيرة تزايدا مذهلا فى الدراسات النفسية إلى الحد الذى يصعب معه معالجة هذا التزايد ونعرض فى هذه الفقرة من تطور علم النفس الاجتماعى للفترة من عام (١٩٣٩-١٩٦٤). فقد عملت الاضطرابات الاجتماعية التى صحبت الحرب العالمية الثانية والصراعات المستمرة بين الدول والأيدولوجيات التى سيطرت منذ ذلك الوقت على مسرح الأحداث إلى تعميق الاهتمام بعلم النفس الاجتماعى وأن تستحدث امتدادا عظيما فى هذا الفرع من فروع الدراسة. فقد دفعت الحرب عديدا من علماء النفس للتصدى لمسئولياتهم فيما يختص ببحث أوجه التوتر الاجتماعى (ميرفى ١٩٤٥).

وامتد الاهتمام من المشكلات الوطنية والسياسية ليشمل نطاقا واسعا من قضايا المجتمع بما فى ذلك الدعاية والنظام الاقتصادى والتوترات الاجتماعية فى العلاقات الصناعية والتأثيرات الثقافية والطبقية التى تقع على الأفراد، كما يشمل بالطبع المشكلات التقليدية للجريمة والطلاق والانتحار وإدمان الخمر والانحراف الجنسى والأمراض العقلية، ومجرد أن وضعت الحرب أوزارها أنشأ كيرت ليفين مركز بحوث ديناميات الجماعة التابع لمعهد ماسوتشوتس للتكنولوجيا، بينما تم فى انجلترا تأسيس معهد تافيستوك

للعلاقات الإنسانية بغرض تشخيص المشكلات الاجتماعية وعلاجها، كذلك ساهمت منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة والاتحاد الدولى للصحة العقلية بدور فعال فى تشجيع الدراسات فى مجال الصحة العقلية وشئون الجماعة، كما يشهد الظهور السريع للطب العقلى الاجتماعى بوصفه مادة مستقلة لها أساتذتها ومجالاتها بالأهمية المتزايدة التى يعلقها الاكلينيكيون على العوامل الاجتماعية فيما يختص بنشوء الاضطرابات العقلية (أوبلز ١٩٦٠)..

ولقد أدى الادراك المتزايد للعوامل النفسية فى مجال الحرب والسياسة إلى تعقيد بالغ فى وسائل الدعاية والإعلان التي دخلت عليها بالطبع تسهيلات جمة نتيجة التطورات التى طرأت على وسائل الاتصال الجمعى وعلى الأخص التلفزيون فرجل الدعاية الحديث أصبح يكيف وسائل مخاطبته تبعا للأمانى والمخاوف والأحزان والميول العامة لأولئك الذين يود التأثير فيهم. وهو اتجاه يجب التحقق من أهميته بسبب الدور الذى يمكن أن يلعبه فى الإسراع بإحداث التغييرات الاجتماعية سواء المفيدة منها أو الضارة وتمشيا مع تطور الدعاية.

كذلك فإن الدراسات المتعددة للاتجاهات الاجتماعية تعتبر من الناحية المنطقية مرتبطة بالأبحاث فى محيط الرأى العام وإن كانت غالبيتها تتم على أيدى باحثين مختلفين فقد صممت بعض الاستخبارات للتأكد من اتجاه جماعات مختارة إزاء الدين والكنيسة وتحريم المسكرات والشيوعية والاصلاحات السياسية والتفرقة العنصرية وما شابه ذلك من موضوعات.

كذلك يلاحظ فى هذه الفترة التقاء نتائج الدراسات السيكولوجية بالانثربولوجية بالاجتماعية فى الكشف عن الظاهرة المدروسة: فهمها، وتفسيرها، وعلاجها وقد ظهر هذا الاتجاه واضحا فى المجالات الجنائية والاكلينيكية.

مراجع الفصل الأول

١ـ راجح (أحمد عزت)، أصول علم النفس، القاهرة، الدار القومية للطباعة، ط٦، ١٩٦٦.

٢ـ راجح (أحمد عزت)، أصول علم النفس، القاهرة، دار المعارف، ط١١، ١٩٧٧.

٣ـ زهران (حامد عبد السلام)، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٧٣.

٤ـ سويف (مصطفى)، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، القاهرة، الأنجلو، ط٣، ١٩٧٠.

٥ـ سلامة (أحمد عبد العزيز)، عبد الغفار (عبد السلام)، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار النهضة العربية، بدون تاريخ.

٦ـ نجاتي (عثمان)، علم النفس في حياتنا اليومية، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ط٤، ١٩٦٤.

7. English, H.B & English A.C., A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms, London, 1958.

8. Myers. D., Social Psychology, McGraw Hill, London, 1993.

الفصـــل الثانى

المنهج في علم النفس الاجتماعى

- تمهـــيـــد
- تصنيف مناهج البحث السيكولوچية.
- التخطيط العام للمنهج العلمى.
- المنهج التجريبى وخطواته.
- التشخيص النفسى للسلوك.
- منهج دراسة الحالة.
- منهج القياس الاجتماعى (السوسيومترية).
- مراجع الفصل الثانى.

الفصــل الثانى

المنهج فى علم النفس الاجتماعى

تمهيد:

لا تكتمل دراسة أى علم إلا بدراسة مناهج البحث فيه، وإذا كانت العلوم عندما تقوم بجمع حقائقها وتنسيقها واستخلاص القوانين التى تفسر الظواهر التى تدرسها تعتمد على المنهج التجريبى بوجه عام، فإن لكل علم طرقه الخاصة فى البحث ذلك لأنه يجب أن تلائم مناهج البحث الخصائص النوعية التى تميز موضوع كل علم على حده.

فإذا عرفنا أن منهج البحث فى العلوم الطبيعية يعتمد فى المقام الأول على الملاحظة والتجريب قدرنا أن هذا العلم ـ علم النفس ـ باعتباره أحد هذه العلوم يشترك معنها فى منهج البحث غير أن هناك ظواهر ووقائع ينفرد بدراستها علم النفس هى الحالات الشعورية الفردية ـ والاستعدادات اللاشعورية ـ وعلى هذا لابد أن يختلف المنهج الذى يستخدمه علم النفس من بعض الوجوه عن منهج هذه العلوم.

ويلاحظ أنه يوجد فى هذا النطاق الضخم للعلوم السلوكية قدر من النظام والتنظيم بين الحقائق والمناهج معا. ومعنى ذلك أنه يوجد سمات مشتركة ومميزة لشتى المناهج المستخدمة وفى هذا يشير كارل بيرسون أن (كل ميدان هو علم ما دام يستخدم على نحو متسق المنهج العلمى).

والمنهج كطريقة فى البحث يأتى فى أهميته بعد تحديد الموضوعات أو الميادين الأساسية التى يتناولها العلم ـ أيا كان هذا العلم ـ بالدراسة والبحث، ولذلك يعرف المنهج بأنه طريقة منظمة لتناول وعلاج الحقائق والمفاهيم المختلفة، أو هو طريقة منظمة فى البحث تعين الباحث على الوصول إلى هدفه وتحقيق فروضه، أو هو طريقة فى التفكير وحل مشكلات البحث العلمى.

تصنيف مناهج البحث السيكولوچية:

يمكننا تصنيف المناهج السيكولوچية وفق أكثر التصنيفات شيوعا كالتالى:

(١) هناك نماذج كثيرة للمناهج العامة، ونماذج كثيرة لوسائل أكثر نوعية، أما المناهج العامة فليست خاصة بكل ميدان على حده، ولكنها تستخدم كأمر مشترك ويملكه علماء النفس جميعا، أما المناهج النوعية فهى خاصة بميادين الدراسات النفسية الأكثر نوعية فى البحث. ويمكن أن نرى بسهولة أن تصنيف المناهج هذا يتوقف إلى حد كبير على مراحل البحث.

(٢) نموذج آخر للتصنيف يستند إلى التميز بين المناهج الذاتية والموضوعية، فلما كانت الخبرة المباشرة لأى فرد ظاهرة خاصة وفردية، فقد أطلق على كثير من المناهج المستخدمة فى دراسة الخبرة المباشرة والعمليات العقلية اسم المناهج الذاتية، والطريقة العامة لدراسة هذه الظواهر؛ التفكير، الصور الذهنية، الأحاسيس الوجدانية، الاحساسات، المدركات الحسية، وفى تطبيق واستخدام هذه المناهج الذاتية يطلب إلى الفرد التحدث عن هذه الخبرات. ومن هذه المناهج (الإستبطان، الاسقاط).

أما المشاهدة الموضوعية فهى لا تعتمد على ما لدى الفرد موضوع الدراسة من تحيزات وأحكام وتتيح نحو أفضل من التحقق المستقل. ومن أمثلة تلك المناهج (المنهج التجريبى، الملاحظة الموضوعية).

(٣) تصنيف ثالث للمناهج النفسية أكثر نفعا، ذلك الذى يستند إلى ظروف الضبط وأغراض المشاهدة، ويمكن وصف المناهج العامة فى البحث بأنها: تجريبية، أو فارقه، أو اكلينيكية، وهذه المناهج لا يتداخل بعضها فى بعض إلا قليلا، والاختيار بينها يكون على أساس المشكلة النوعية المطلوب حلها وطبيعة الفروض الممكنة للدراسة.

التخطيط العام للمنهج العلمي:

أ ـ يختار الباحث تفسيرا لكي يضعه موضع التجربة عند البدء بالخطوة الأولى في بحثه، وهذا الاقتراح موضع التجربة يعد (فرضا) يوجه البحث إلى حقائق تدعمه أو تنفيه فالفرض ليس إلا مجرد سؤال.

ب ـ ويخطط البحث العلمي بحيث ينطوي على تحليل مباشر لكل الظروف الهامة في الفرض، ومن الخير أن يتخذ البحث صورة (التجربة) التي تجرى تحت ظروف مضبوطة خلال التغير المنظم لأحد هذه الظروف بوجه خاص.

جـ ـ فإذا جاءت نتائج البحث غير مثيرة للجدل أصبح الفرض مؤيدا، وتتضمن الخطوة التالية ربط نتائج عدد كبير من الفروض المختبرة علميا والتي يجمع بينها نظام ما من العلاقة، ثم قد تنطوي هذه الخطوة الأخيرة على صياغة القانون.

د ـ تأتي بعد ذلك مرحلة وضع نظرية تفسر القوانين، ذلك أن القوانين ومثلها في تلك النظريات تمثل تعميمات يمكن أن تستخلص منها الاستنباطات الصورية.

بهذا نجد أن النظرية والتجربة هما عون البحث العلمي: النظرية تقترح نموذج المتاهه (على سبيل المثال) والتجربة تقرر المسالك المسدودة المختصرة ، فإذا تبين أن المتاهه لاتحتوى إلا على مسالك مسدودة عدلت أو تركت، وهذا ما ينبغي أن يحدث. من هذا نرى أن التخطيط العلمي إنما يسير وفقا للنظام الآتي:

فرض ←── تجربة ذات تصميم معين لتحقيقه ←── نتائج تثبت أو تنفي الفرض أو تعدل منه ←── قانون ←── نظرية تفسر القوانين.

وربما تعطى الخطوات التالية صورة أكثر شمولا للعمل الذي يجب على الباحث أن يقوم به في الدراسة التجريبية.

(١) التعرف على المشكلة وتحديدها.

(٢) صياغة الفروض واستنباط ما يترتب عليها.

(٣) وضع تصميم تجريبى يتضمن جميع النتائج وشروطها وعلاقاتها، وقد يستلزم ذلك:

(أ) اختيار عينة من المفحوصين لتمثل مجتمعا معينا.

(ب) تصنيف المفحوصين فى مجموعات أو المزاوجة بينهم لضمان التجانس.

(جـ) التعرف على العوامل غير التجريبية وضبطها.

(د) اختيار أو تصميم الوسائل اللازمة لقياس نتائج التجربة والتأكد من صدقها.

(هـ) اجراء اختبارات استطلاعية لاستكمال نواحى القصور فى الوسائل أو التصميم التجريبى.

(و) تحديد مكان اجراء التجربة، ووقت اجرائها، والمدة التى تستغرقها.

(٤) اجراء التجربة.

(٥) تنظيم البيانات الخام واختصارها بطريقة تؤدى إلى أفضل تقدير غير متحيز للأثر الذى يفترض وجوده.

(٦) تطبيق اختبار دلالة مناسب لتحديد مدى الثقة فى نتائج الدراسة. (٥: ٣٧٨).

وإذا كنا قد اتفقنا على أن لكل علم طرقه الخاصة فى البحث، وذلك لأنه يجب أن تلائم مناهج البحث الخصائص النوعية التى تميز موضوع كل علم على حده وعلى سبيل المثال هل هناك منهج خاص بعلم النفس الجنائى دون غيره من العلوم النفسية هنا يكون للمنهج فى علم النفس الجنائى معنى آخر هو معنى الوسيلة العملية للإحاطة بالسلوك الإجرامى

إحاطة واقعية أو بعبارة أخرى يقصد بالمنهج فى علم النفس الجنائى تلك الوسائل والأدوات التى تكفل تفسير هذا النمط من أنماط السلوك تفسيرا علميا واقعيا يكشف عن أسبابه الفردية وغير الفردية سواء أكانت عوامل تتعلق بشخصية الإنسان المجرم، أو كانت عوامل تتعلق بالبيئة والظروف الاجتماعية التى يعيش فى كنفها.

ويلاحظ أن أئمة القانون يشيرون إلى أن هناك منهج تجريبى فى علم الإجرام يعالج الظاهرة الإجرامية ويفسرها ويكشف عن أسبابها سواء أكانت تلك الأسباب لصيقة بالمجرم أو بالجريمة ذاتها. ومن هنا فهم يشيرون إلى أن هذه الوسائل إما أن تتناول المجرمين أو الجرائم، وأن وسائل البحث التجريبى على المجرمين هى الملاحظة والاستبيان والمقابلة ودراسة الحالة والفحص النفسى والطبى، وأما وسائل البحث على الجريمة كما وكيفا فهى أساسا وسيلتان: الدراسة الاحصائية، والمسح الاجتماعى. (٤ : ٣٠ ـ ٣٦).

المنهج التجريبى Experimental Method

يعتمد هذا المنهج على ملاحظة أساليب السلوك وقياسها فى مواقف معينة محددة إلى درجة ما من درجات التحديد. وأنصار هذا المنهج من علماء النفس يذهبون إلى أن ملاحظة السلوك فى موقف معين دقيق يعطى صورة أصدق وأشمل عن الشخصية أكثر من التقرير اللفظى الذى يقدمه الفرد عن نفسه وعن سلوكه.

والتجربة: هى ملاحظة مقصودة مقيدة بشروط تجعلها تحت مراقبة الباحث وإشرافه، فهى تغير مدبر، أى تغير يحدثه الباحث عمدا فى ظروف الظواهر، أو هى أحداث ظاهرة فى ظروف صناعية معينة يرتبها الباحث قبل اجراء التجربة، بقصد جمع معلومات عن الظاهرة تعينه على التحقق من صحة فرض افترضه، أو هى طريقة مقننة لاختبار صحة فرض، وتشتمل التجربة على عدة عناصر فيما يلى بيانها ثم تفصيلها:

١- الفرض تبدأ منه التجربة، وتحديد الهدف منه

٢- تصميم التجربة.

٣- تنفيذ التجربة (وتسجيل الملاحظات).

٤- تحليل البيانات (ما لوحظ وسجل أثناء التجربة).

٥- كتابة النتائج التى تم التوصل إليها (فى شكل تقرير).

أولاً: الفـــــرض Hypothesis

الفرض بحكم تعريفه عبارة عن قضية تقريبية لم تثبت بعد تتعلق بالعلاقة بين ظاهرة ملاحظة (متغير تابع = السلوك أو الأدء). وظرف مصاحب أو سابق (متغير مستقل = الأحداث البيئية الخارجية). ومن تعريفاته كذلك أنه عبارة عن أفكار تعرض لذهن الباحث أثناء ملاحظاته أو بعدها تدور حول الموضوع الذى يبحثه. والفروض غالبا ما تعرض للباحث فى صورة أسئلة تتحدى تفكيره فيعمل على اختبارها للتحقق من صحتها أو بطلانها، هذه الأفكار هى الفروض.

ومن أمثلة الفروض:

١ـ الأشخاص اليقظين جدا يستجيبون للمنبهات الضوئية بسرعة أكبر من الأشخاص الذين يغالبهم النعاس.

٢ـ زمن الرجع للمنبهات الصوتية أسرع من زمن الرجع للمنبهات الضوئية.

٣ـ المهارة أو الكفاية فى قيادة السيارات تختلف وفقا لمستوى أو نسبة الكحول فى الدم.

٤ـ الممارسة مع معرفة النتائج أكثر فاعلية فى تحسين الأداء من الممارسة دون معرفة النتائج.

٥ـ الشخص الذى يحفظ سريعا، ينسى سريعا.

٦ـ الطلبة المتفوقين فى دراستهم هم أكثر الطلبة انطواءاً على أنفسهم وانعزالاً عن المجتمع.

٧ـ هناك علاقة بين التدخين والتفكير، وبين الفقر والإجرام، وبين السينما وتغير اتجاهات الشباب.

وبهذا نجد أن الفرض حكم مبدئى بوجود علاقة بين ظاهرتين أو محاولة مبدئية لتفسير ظاهرة من الظواهر، وهو لا يعدو إلا أن يكون نوعا من التخمين وتخيل العوامل التى يظن الباحث أنها سبب الظاهرة، قد تصدق وقد لا تصدق، والتجربة هى القاطع بصدقه.

مصادر الفروض:

أ ـ تفكير منظم عن المشكلة.

ب ـ مجموعة من الحقائق تتجه أو تشير إلى نتيجة تقريبية معينة.

جـ ـ تجربة استطلاعية تؤدى إلى إجابة غامضة أو ناقصة عن المشكلة.

د ـ استنباط منظم صحيح فيما يبدو من قوانين ونظريات معروفة.

ويتبنى الباحث الفرض قبل أن يعمم التجربة التى تبرهن على صحته أو خطأه، ومهما يكن مصدر الفرض، فمجرد تحديده وصياغته يصبح الأساس الذى تقوم عليه التجربة. وهكذا فالفرض هو تقرير مبدئى بأن تغيرا فى شئ معين (المتغير المستقل) سوف يؤدى إلى تغير فى شيئ آخر (المتغير التابع).

ثانيا: التصميم التجريبى:

مرحلة فنية تطلق على وضع خطة البحث، أو خطة العملية التجريبية وتنظيمها، وتتضمن:

أ ـ تحديد المتغيرات.

ب ـ الضوابط.

جـ ـ الدقة فى تعريف المصطلحات العلمية.

د ـ أدوات البحث (جهازا كانت أو اختبارات).

هـ ـ العينات: (تجريبية ـ ضابطة).

و ـ الأسلوب الإحصائى لتحليل بيانات البحث.

وفيما يلى تفصيل لكل من هذه الخطوات:

أ ـ تحديد المتغيرات Variables

يحتوى التصميم التجريبى الكلاسيكى على متغير مستقل واحد، بينما تضبط متغيرات المثير الأخرى، وأثناء التجربة يحدث الباحث تغييرات فى المتغير المستقل على نحو منظم ويسجل التغيرات التى تطرأ على المتغير التابع، وبهذا نطلق على الظرف المثير فى الخطة التجريبية المتغير المستقل لأنه معزول عن المتغيرات المثيرة الأخرى ويغيره المجرب على نحو مستقل، وتقديم أو ادخال المتغير المستقل يؤدى إلى استجابات، وهى متغيرات تابعة لأنها تعتمد على ظرف أو حالة مثيرة.

وهنا لابد أن تفى أى خطة تجريبية جيدة بمطلبين:

١ـ أن تأخذ فى الاعتبار جميع متغيرات المثير التى يمكن التعرف عليها وتمييزها، أى المتغيرات المستقلة المراد ضبطها.

٢ـ أن تنتج بيانات، ومواد محددة واضحة لاشك فيها، ويفضل التعبير عنها.

أنواع المتغيرات:

تنقسم المتغيرات إلى ثلاثة: متغير تابع، متغير مستقل، متغير وسيط.

ـ **المتغير المستقل:** فإنه يمثل البيئة المحيطة بالفرد ـ ولها وجود مادى مستقل عنه بما ينتظمها من مؤثرات.

ـ **المتغير التابـــع:** فإنه يمثل السلوك ـ أو الاستجابات التى تصدر عن الفرد تجاه هذه المؤثرات.

ـ **المتغير الوسيط:** فهو مفهوم فرضى يعبر عن علاقة بين المتغير المستقل ـ والمتغير التابع.

ومعنى ذلك أن المتغير التابع ـ يطلق على الظاهرة (السلوك) الذى [illegible]

دراسته أو قياسه، وهو الذى يتوقف فى حدوثه على عوامل أو ظروف أخرى، وتسمى العوامل أو الظروف التى تعتبر مسئولة عن وقوع الظاهرة باسم (المتغيرات المستقلة) أو المتغيرات التجريبية، وهى تلك التى نتناولها بالتثبيت أو العزل أو التغيير.

والمتغيرات المستقلة إما أن تكون خارجية: طبيعية (كدرجة الحرارة، الرطوبة، التهوية، ارتفاع المكان عن سطح البحر، شدة الإضاءة) أو اجتماعية (كقيم المجتمع وعاداته وتقاليده، أو المتغيرات الاجتماعية الخاصة بالجماعة). أو تكون متغيرات مستقلة شخصية ـ وهذه لايمكن ضبطها بدقة تامة.

ونظرا للعجز عن ضبط هذه المتغيرات ضبطا تاما، وبما أن سلوك الفرد يختلف باختلاف المواقف، وفى نفس الموقف، فمن الضرورى تكرار التجربة على عدد كبير وأخذ المتوسط.

ب ـ الضوابط:

هى كل عملية نضعها فى الخطة التجريبية لحذف تأثير متغير مثير، أو لضمان بقاء أثره ثابتاً، ومضطرداً على المتغير التابع يعتبر ضابطاً.

وهناك أسلوب آخر للضبط يهدف إلى جعل الظروف معينة ثابتة، بحيث أن أى أثر لها لن يخفى آثار المتغير المستقل. وأحد أشكال هذا الأسلوب طريقة الجماعات الضابطة أى أن يختار الباحث جماعتين تجريبية تخضع للعامل المستقل. والأخرى ضابطة لا تخضع له.

جـ ـ أدوات البحث: (جهازا كان أو اختبارات)

تهدف أدوات البحث فى أى تجربة علمية إلى:

١ـ إحداث متغيرات تؤثر فى الموقف التجريبى أو ضبطه.

٢ـ تيسير وتسجيل البيانات.

ويلاحظ أن أدوات البحث تتنوع وتختلف وفقا لطبيعة المتغيرات

المدروسة فهناك متغيرات تستدعى دراساتها وجود أجهزة تستخدم في قياسها ـ كما في حالة متغيرات التعلم والذاكرة والادارك.... وغيرها، وهناك متغيرات أخرى تستخدم في دراستها إختبارات ورقية كما في حالة متغيرات الذكاء والقدرات العقلية، السمات المزاجية للشخصية، الاتجاهات والقيم والميول... وغيرها.

ولابد عند استخدام تلك الأدوات بشقيها ـ أن يتحقق الباحث من صلاحيتها للتطبيق على عينات بحثه سواء أكانت عينات تجريبية أو ضابطة، وأن يقوم بحساب معاملات ثباتها وصدقها على عينات بحثه، ويجب أن تكون هذه المعاملات معاملات ثبات وصدق مقبولة ومرضية، حتى يتأكد الباحث من إمكانية استخدامه لهذه الاختبارات (الأدوات بكفاءة واطمئنان).

ويلاحظ أن الخزانة السيكولوچية تزخر بالأدوات والأجهزة والاختبارات المختلفة التى تكفل قياس وتقدير كل ما ينتظم شخصية الإنسان من سمات وقدرات واتجاهات وقيم وميول... الخ.

وقد تبين من المرحلة السابقة أن القياس النفسى يعتبر أداة أساسية فى المنهج التجريبى، وهنا بعض الأمثلة على استخدامات القياس:

١ـ الانسان دائما يقيس الذكاء والقدرات العقلية ـ والصفات الخلقية لمن يعاشرهم أى يقدرها تقديرا كميا، فيحكم أن فلان أكثر ذكاءا وأقل غرورا.

٢ـ المدرس يقدر ما لدى تلاميذه من قدرات وصفات مختلفة دون الاستعانة بأجهزة، فقد يكون التقرير من خلال التحصيل الدراسى للطلاب: مقداره، جودته.... الخ.

٣ـ يلاحظ أن الاختبارات المدرسية (اختبارات التحصيل الدراسى) هى اختبارات عريقة في القدم، وهى وسائل للتصوير الكمى والقياس.

٤ـ الفرد ذاته لا يتعلم شيئ دون أن يختبر نفسه.

ومن المعلوم أن أى مجموعة من المعلومات لا يمكن أن تصبح علمية بالمعنى الدقيق إلا إذا أمكن التعبير عنها تعبيرا كميا. إلى جانب التعبير الكيفى الوصفى لهذه المعلومات.

فالأرقام روح العلم ـ وقياس السلوك يرمى إلى صوغه فى أرقام وصبه فى قالب كمى.

العينـــــات:

لا يكفى فى كثير من الأحيان اجراء التجربة على مجوعة واحدة من الأفراد، بل يتعين استخدام مجموعتين أو أكثر، ويكون ذلك حين لا يمكن مقارنة سلوك نفس الأفراد فى مواقف مختلفة.

(١) **مثال على ذلك:** هل يؤدى التدريب على حفظ النثر إلى سهولة وتحسن فى حفظ الشعر. هنا تجرى التجربة على مجموعتين، نبدأ باختبار قدرة كل منهما على حفظ الشعر، ثم ندرب الأولى وحدها ونترك الثانية دون تدريب.

ثم نعيد اختبار قدرة كل منهما على حفظ النثر بشرط أن يكون هناك تكافؤ بين المجموعتين، وتسمى الأولى التى تدربت على العمل (المجموعة التجريبية)، وتسمى الثانية التى تركت دون تدريب (المجموعة الضابطة). وهى متكافئة والمجموعة التجريبية إلا فى العامل المدروس.

(٢) هل الأفضل أن تعلم المدرسة الأطفال النظام أو العناية بكتبهم بالشدة والقسوة أم بالترغيب.

هنا تجرى التجربة على مجموعتين ـ طبقا للأسلوب السابق فى التجربة رقم (١) ـ وقياس الفرق بينهما فى الأسلوب.

(٣) يمكن استخدام مجموعة ضابطة واحدة، مع أكثر من مجموعة تجريبية

واحدة، كما هو الحال فى التجارب التى تجرى لاختيار القيمة العلاجية للأدوية الجديدة ـ ويكون التجريب كالآتى:

مجموعة (A) تعطى الأدوية (الأقراص) ويطلق على هذه المجموعة اسم المجموعة التجريبية للمجموعة التجريبية .

مجموعة (B) تحرم الأدوية (الأقراص) ويطلق على هذه المجموعة اسم المجموعة التجالضابطة على المجموعة الضابطة .

مجموعة (C) تعطى أقراص مزيفة شبيه بالدواء الأصلي وهذه هى المجموعة التجريبية رقم (٢) .

وكانت النتيجة :

إن من اصيبوا بالبرد من المجموعة الأولى أقل من الثانية وكان عدد من لم يصابوا فى المجموعة الثالثة كعددهم فى الأولى ومعنى ذلك أن الأثر الظاهر للدواء يرجع إلى عوامل نفسية كالايحاء وتوقع الشفاء، وليس إلى طبيعة الدواء مما يثبت الحالة النفسية للدواء على الأفراد.

د ـ كتابة التقرير الخاص بالتجربة:

ينبغى أن يشتمل التدريب على الاجراءات التجريبية للبحث قدرا من التدريب على عرض بيانات ومواد التجارب بطريقة معيارية، وهذه الصورة القياسية مطلوبة عند كتابة التقرير فى كراسة المعمل.

ومحتويات التقرير يجب أن تحتوى على القواعد التالية التى ينبغى أن يراعيها كل تقرير، وبالتالى يمكن الحكم على جودة التقرير أو رداءته فى ضوء هذه القواعد:

١ـ العنوان (ويعبر عن طبيعة التجربة).
٢ـ المشكلة (صياغة الفرض، الهدف من التجربة، الفروض موضع الاختبار).
٣ـ الجهاز (والأدوات المستخدمة لجمع البيانات).
٤ـ طريقة اجراء التجربة (التصميم ـ الاجراء).
٥ـ النتائج ـ والمناقشة ـ والخاتمة.

وتحتوى الخاتمة على بيانات التجربة، وتكون مختصرة، وتجيب على

الأسئلة التي طرحت عند تحديد الهدف من التجربة، وتتخذ صورة المبادئ العامة التي تلخص ما تمت البرهنة على صدقه وكذبه.

٦ـ المراجع:

ما سبق كان عرضا للمنهج التجريبي ـ وخطواته ـ وربما اذا كنا بصدد الحديث عن مناهج البحث في علم النفس الاجتماعي فيجب أن نبدأ منه، ثم نتطرق إلى بعض خطوات تصميم هذا المنهج وهو الأدوات المستخدمة في جمع البيانات التي تستخدم في تفسير السلوك في أى شكل من أشكاله سويا كان أم غير سويا، أو بمعنى أدق ننتقل إلى التشخيص النفسي للسلوك باستخدام الاختبارات الموضوعية والاسقاطية واضعين في اعتبارنا أن السلوك يحتاج إلى علاج وليس إلى عقاب.

التشخيص النفسي للسلوك:

يقصد بالتشخيص Diagnosis فحص الأعراض المرضية واستنتاج الأسباب وتجميع الملاحظات في صورة متكاملة، ثم نسبتها إلى مرض معين محدد فالتشخيص فهم للمرض، وبيان العلاقة بين الأعراض المرضية في زملة Syndrome مرضية.

فالأعراض المرضية المنفردة قد تتواجد في نوعيات متباينة من الأمراض، فانتفاء النشاط أو نقص التركيز أو القلق قد يوجد في أكثر من حالة مرضية مختلفة ولكن دلالة كل من هذه الأعراض تتحدد بالأعراض المزاملة أو المصاحبة لها، ويستخدم بعض النفسيين لفظ تشخيص فيما يشبه هذا المعنى فهم يقصدون به اكتشاف الأسباب وتصنيف الأعراض بحيث يأخذ تسمية معينة كالفصام أو الضعف العقلي أو العجز في القراءة أو الانحراف السيكوباتي أو غير ذلك من فروع التصنيفات النفسية الاكلينيكية.

وفي الوقت الحاضر يأخذ التشخيص النفسي عادة صورة تحديد المشكلة ... والأسباب المرضية لما يواجهه الفرد من صعوبة ، والأساليب العلاجية

الممكنة لمواجهة ما يجره من صعوبة والتغلب عليها، والتنبؤ بما سوف يسفر عنه العلاج من نتائج ـ أى سلوك المريض فى المستقبل (٦: ٧٤ـ٧٥).

وينبغى أن نذكر أن التشخيص ذى الدلالة ينبغى أن يهتم بسمات شخصية الفرد وميوله ودوافعه وصراعاته ودفاعاته، فى فهم ديناميات الشخصية، وبذلك يستطيع الاخصائى النفسى الاكلنيكى فهم السلوك وتفسيره وتحقيق الفهم العميق لمشكلات التوافق (٦: ٨١).

وتعتبر الاختبارات النفسية أداة هامة من حيث أنها تكمل المعلومات التى نحصل عليها بطرق مختلفة، وقد تلقى عليها أضواء جديدة، كما أنها كثيرا ما تسد الثغرات التى توجد فى مجموعة من المعلومات التى لدينا، كما أنها تعين على التنبؤ بدرجة عالية وخاصة فى مجالات التحصيل الدراسى والعمل.

ومن الممكن أن نلخص الدور الذى تؤديه الاختبارات النفسية فى العمل الاكلنيكى فى النقاط الثلاثة الآتية:

(١) تقويم إمكانيات الفرد وقدراته، فعن طريق الاختبارات يمكن أن نعرف ما يستطيع أن يقوم به الفرد.

(٢) تقديم وصف تشخيصى لسلوك الفرد: بما فى ذلك مشاعره واتجاهاته وأفكاره ويطلق على الاختبارات التى تقيس هذه النواحى الاختبارات الوصفية التشخيصية.

(٣) تقويم ديناميات السلوك، وتقدم بذلك مجموعة الاختبارات التى يطلق عليها الاختبارات الاسقاطية عادة، وتساعد نتائج هذه الاختبارات فى ادراك العوامل المؤثرة فى سلوك الفرد، وفى رسم خطة العلاج، وذلك عن طريق الاتجاهات التى تكشف عنها هذه الاختبارات سواء أكانت نحو الأسرة أو العمل أو الدراسة أو الدوافع المؤثرة على الفرد بدرجة واضحة أو أساليب التكيف والعوامل المؤثرة فى السلوك. (٦: ٨٧ـ٩٨).

ويرى كثير من النفسيين أن الاختبارات الموضوعية للشخصية تقدم

للمختص النفسي الاكلينكي صورة للشخص كما يرى نفسه، وتعتبر نوعا من المقابلة المقننة (٦: ٤١٠) وقد تستخدم الاختبارات الموضوعية كوسيلة لتكوين علاقة طيبة بين الفاحص والمفحوص قبل بدء الفحص النفسي الاكلينكي العميق، ويتخذ الفاحص من بعض اجابات المفحوص نقط استفسارات في المقابلة بعد ذلك (٦: ٤١٢) ولكن لابد بالإضافة إلى الاختبارات الموضوعية للشخصية أن تستخدم أساليب أخرى مثل المقابلة التشخيصية والاختبارات الاسقاطية (٦: ٤١٢).

أما الاختبار الاسقاطي فإنه يمثل بالنسبة للمفحوص موقفا مثيرا يتيح الفرصة كي يعكس عليه دون شعور منه: حاجاته الخاصة، وادراكاته، وتفسيراته الذاتية، والمواد المتعددة للأساليب الاسقاطية مثل الصور... الخ. تستخدم منبهات لاستجابات تكشف عن تركيب شخصية الفرد، ومشاعره، وقيمه، ودوافعه، وخصائصه التوافقية، وتعقيداته، وبعباره أخرى أنه يسقط الجوانب الداخلية من شخصيته من خلال تفسيراته وتكويناته، وبذلك يكشف لا اراديا سمات كامنة تحت السطح الظاهرى من شخصيته لا يمكن إظهارها باستخدام اختبارات الشخصية الموضوعية (٦: ٤٣٣).

وعندما نطبق مفهوم الاسقاط فى أساليب تقويم الشخصية فإنه يصبح أكثر تحديدا فى معناه فهو يشير إلى ضبط العمليات المعرفية للشخص أى ادراكاته، وتداعياته، وذكرياته، وأحكامه وتأثرها بالحوادث الخارجية مثل المثيرات والمؤثرات النفسية الداخلية كالحاجات الدافعية والأنماط التوافقية.

أى أن ما يراه الفرد وما يتذكره وما يفكر فيه جزء من استجابته للمثير الخارجي ولموجهات داخلية، فالاسقاط هو تركيز على المحددات الداخلية للادراك والفكر. (٦: ٤٣٤-٤٣٥).

وتتميز الاختبارات الاسقاطية عن الاختبارات الموضوعية بالنواحى الآتية:
(١) أن الموقف المثير الذى يستجيب له الفرد غير متشكل، وناقص التحديد،

وإن ذلك من شأنه أن يقلل من التحكم الشعورى للفرد فى استجاباته بما يترتب عليه سهولة الكشف عن شخصيته.

(٢) أن الفرد لا يدرك طريقة تقدير استجاباته، ولذلك فإنه يكشف عن نفسه بسهولة ودون محاولة اخفاء شخصيته أو بعض نواحيها عن المختبر.

(٣) إن الاستجابات لا تقدر من ناحية أنها صواب أو خطأ ولكنها تقوم من ناحية دلالتها على شخصية المفحوص على اعتبار أنها إسقاطات لمشاعره ورغباته ومشكلاته على مدرك خارجى وهى مواد الاختبار.

(٤) إن الاختبارات الاسقاطية لا تقيس النواحى الجزئية من الشخصية، ولكنها تحاول أن ترسم صورة للشخصية ككل من حيث مكوناتها أو العلاقات الديناميكية بين هذه المكونات.

(٥) إن الاختبارات الاسقاطية لا تقيس المظاهر السطحية للشخصية بل إنها تتغلغل فى شخصية المفحوص إلى التنظيم الأساسى للشخصية، والديناميكيات المؤثرة فى هذا السلوك الظاهرى.

والواقع أن الاختبارات النفسية (مثلها مثل جميع الوسائل) يمكن الافادة منها إذا أحسن استخدامها، كما أنها تؤدى إلى أضرار متعددة إذا ما أسيئ فهمها فهى فى يد الأخصائى أداة بالغة الفائدة والقيمة.

منهج دراسة الحالة: Case Study Method

تفوق دراسة الحالة ـ الفحص الاكلينيكى فى أهميته، ذلك أنه الطريقة التى يستطيع المتخصص فى علم النفس بوساطتها أن يدىل إلى فهم نمو السلوك، وذلك أن الاستبصار النفسى بطبيعة أية مشكلة لايمكن أن يتحقق إلا بمعرفة القوى التى أثرت فى الشخص بعلاقاتها الزمنية، والتى استجاب لها على النحو الذى جعل منه ما هو عليه اليوم بحيث شكلت سلوكه الحالى، وفى كثير من الحالات الاكلينيكية يزودنا التاريخ وحده لا بتشخيص سليم للحالة فحسب، بل يشير بطريقة العلاج أيضا.

وتتضمن دراسة الحالة ثلاث مناطق عامة: الأولى العضوية والبدنية والفسيولوجية، والثانية البيئية، والثالثة التفاعل المتبادل بين الاثنتين بما فى ذلك أثر هذا التفاعل فى السلوك فيما بعد.

ملخص عن بيان تاريخ حالة:

١ـ بيانات.

٢ـ تقرير المشكلة.

٣ـ عوامل ولادية ـ وبدنية مقررة للسلوك.

أ ـ عوامل ولادية.

ب ـ عوامل بدنية (خاصة بالنمو).

٤ـ عوامل أو مواقف بيئية ذات أثر فى السلوك.

أ ـ عوامل فى البيت:

١ـ الأب.

٢ـ الأم.

٣ـ الأخوة والأخوات.

٤ـ عوامل فيزيقية.

٥ـ طريقة الضبط والاشراف.

ب ـ عوامل اجتماعية وحضارية.

جـ ـ عوامل تربوية.

د ـ عوامل مهنية.

هـ ـ عوامل ترفيهية.

٥ـ الاستجابة للقوى الولادية والفسيولوجية والبيئية التى يجوز أن تكون قد أثرت بدورها فى السلوك الحاضر.

أ ـ استجابات فى الطفولة المبكرة.

ب ـ استجابات فى الطفولة المتأخرة والمراهقة.

٦ـ مصادر المعلومات. (٢: ٧٩٤ـ٧٩٧).

وإذا أراد الباحث أن يصل من هذه الاستمارة إلى نتائج دقيقة فينبغى أن يكون قد تدرب خلالها ـ تدريبا كافيا ـ وعلى بقية أساليب البحث الأخرى كاستخدام الملاحظة الخارجية للحدث وبقية الأساليب الأخرى.

وينبغى أن يكون فى حساب الباحث الذى يستخدم منهج دراسة الحالة ـ أن البيانات الخاصة بتاريخ الحالة تعتمد على الذاكرة، والأمر الثانى أن أى بيان للمفحوص قد يكون محاطاً بهالة أو يكون متحيزاً.

منهج القياس الاجتماعى (السوسيومترية)

تمهيد:

تمتد جذور هذا المنهج إلى أعمال ج. ل. مورينو Moreno الذى نشر عام ١٩٣٤ مؤلفه الأساسى (من الذى سيكتب له الخلود؟) والذى ترجم بعد ذلك إلى الفرنسية تحت عنوان (أسس السوسيومترية Les bases de Sociometric) وينطبق تصوره على امكانية تطبيق القياس على الفرد الاجتماعى واقامة نوع من «الجغرافية النفسية للجماعات» باعتبار أن كل وحدة اجتماعية تشكل حسب رأى مورينو نظاما للتفضيل والرفض المعنويين.

ويصلح منهج السوسيومترية فى دراسة الجماعات الصغيرة ـ والتفاعلات الاجتماعية على شبكة العلاقات الاجتماعية، كما تصلح لدراسة ظاهرة الصداقة وعواملها، وظاهرة القيادة وتحديد شخصية القائد من خلالها، كما تصلح لدراسة عوامل تماسك الجماعة وعوامل تفككها، وعلى مستوى الفرد يستطيع الباحث الحصول على صورة اجتماعية عاطفية يقرر على ضوءها إعادة العاطفة إلى أفراد منزوين أو منبوذين وتأليف فرق منسجمة... الخ.

وجوهر هذا المنهج يتلخص فى سؤال أعضاء جماعة معينة يعرفون بعضهم بعضا معرفة جيدة على الأصدقاء الذين يتمنون أن يشتركوا معهم بغية القيام بنشاط معين، أو معاونته. فى مجال عملهم، أو القيام برحلة إلى مكان ما وهنا نرى روح الاختيار الاجتماعى هى فى الواقع مؤشرا نحو الأهداف المفضلة وليس اختيارا مجردا نوعا ما، يقضى بالطلب من الأشخاص الاجابة عن أسئلة عامة إجمالية ومحددة، ويمكن طلب هذا الاختيار بواسطة: الأعمال، الألعاب، الاعداد للقيام برحلة أو خلافه... الخ.

ويتم الاتفاق مسبقا على أن تؤخذ بعين الاعتبار الأمور المفضلة التى يتم الاعراب عنها بقدر المكان لهؤلاء المشتركين فى تلك الأنشطة على اختلافها.

ويمكن للاختيار فى الواقع أن يتبدل حسب الأوضاع الملحوظة (إذ يفضل أحد الرفاق أحدا آخر للعمل دون أن يتم اختياره هو ذاته للهو). ومن جهة أخرى فإن الأفراد موضع الاختيار يجب أن يكون واضحا فى أذهانهم أن تلك الاختيارات سوف تكون صالحة للتطبيق فيما بعد، وبهذا يحصل الباحث الذى يقترح الاختيار على موافقة الجماعة ـ موافقة مرتبطة بنوع العلاقة التفاعلية المتبادلة دون أن تكون مبنية على المجاملة أو الفضول.

ومن شروط هذا المنهج ـ الأخذ فى الاعتبار شروط الزمن المناسب، التقديم ، اللغة ، الشكل الشفهى أو الكتابى ، الشكل الجماعى أو الفردى، وأخيرا حالة وأسلوب الشخص الذى يقترح، ويقرر هذه المعطيات ويستعملها عند الاقتضاء.

وهذه العوامل لاشك يكون لها قيمة على طبيعة الأجوبة ذلك أنها تشكل ديناميات الموقف التجريبى الذى يتم فيه القياس عامة ومن ثم يكون له عائد فيما طبق له.

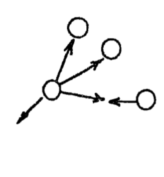
والفكرة الأساسية فى القياس الاجتماعى (أو السوسيومترية هى الذرة الاجتماعية) ولايقصد من ذلك الفرد بحد ذاته وإنما شبكة للعلاقات الاجتماعية يشكل كل فرد فيها نقطة الارتكاز، وهنا يمكننا التمييز بين اتجاهين: الأول خارجى، والثانى داخلى.

يتفق الاتجاه الخارجى مع عواطف الميل أو (الكراهية) التى يشعر بها الفرد ازاء بعض محيطه الاجتماعى، هذا الامتداد القوى (سلبيا أو ايجابيا) قد يفسر فى الاختيار عن طريق ابداء عدد غير ثابت من الاختيارات الايجابية (قبول) والاختيارات السلبية (نبذ) وذلك ازاء بعض أفراد فئة ما، هذا فى الوقت الذى يمكن فيه للفرد أن يبقى حياديا ازاء آخرين لا يقبلهم ولا يرفضهم.

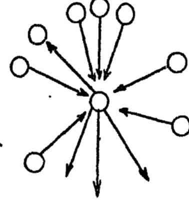
وأما فى الاتجاه الداخلى فيبدو الشخص نفسه هدفا لعواطف متعددة

تفسر في الاختيار نفسه بقبول عدد غير ثابت من الاختيارات والنبذ من قبل بعض أصدقائه فى حين يلتزم فيه الآخرون بالحياد التام حياله.

وتبدو قيمة هذه المعلومات فى أنها تسمح باستنباط (النظام الاجتماعى) للأفراد داخل فئتهم ، ـ بعض الأفراد يحصلون على عدد كبير من الاختيارات وهؤلاء هم الزعماء، بينما لايحصل غيرهم إلا على عدد ضئيل من الاختيارات وهم (المهملون)، ثم هناك (المنزوون) الذين لا يحصلون على شئ اطلاقا، وبهذا الشكل تظهر طبيعة (الجاذبية الاجتماعية ـ والعاطفية) على شكل العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فمنهم من يكون الزعيم أو القائد وهو الذى يحصل على أكبر عدد من الاختيارات، ومنهم من لم يحصل على أى اختيار، ومن الأفراد من لا يختار غيره ولم يختاره غيره من أفراد المجتمع وفقا لطبيعة العلاقة الاجتماعية بين الأفراد، ولذلك فإن العلاقات الاجتماعية المتنوعة التى تجمع عددا من الذرات الاجتماعية تشكل إزاء شبكة اجتماعية كثيفة نوعا ما يمكن فيها ظهورعدد من النواه ـ والرسوم النموذجية، تلك التى تمثل الاختيارات المتبادلة (سواء أكانت ودية أو عدائية) أو تلك التى تتضمن اختيارات متبادلة من طرف واحد . ولذلك ومن خلال تلك الاختيارات وتمثيلها بواسطة خطوط بيانية ورسوم تعبيرية يمكن تمثيل شبكة العلاقات الاجتماعية فى الجماعة وما يسودها من حب وكراهية وانعزال أو نبذ بالشكل الآتى :



ذرة اجتماعية لشخص منزوى



ذرة اجتماعية لزعيم

ولاشك أن هذا النوع من الفحص يقتضى ممن يطبقه من الباحثين أن يأخذ بعين الاعتبار عدد من الأمور الهامة منها :

١ـ حجم العلاقات، أى مجمل العلاقات الاختيارية ـ والادارکية التى يندمج فيها الفرد. قد يتبدل هذا الحجم حسب وضع الشخص الاجتماعى : وحيدا أو منزويا لا ينتظر شيئا من الآخرين ، أو على العكس من ذلك يكون منفتحا مع الآخرين، ومدركا لوضعه هذا.

٢ـ درجة التبصر ـ أى قوة الإدراك التى يبرهن عنها الفرد تجاه الآخرين، والتى تختلف حسب نسبة القرائن الصحيحة أو الخاطئة، إذ قد تكون الأخطاء كامنة لا يدركها الفرد فى علاقاته بالآخرين أو ظاهرة يدركها فى تلك العلاقات .

ويمكن تلخيص مدى ما يمكن أن يسهم به منهج القياس الاجتماعى أو السوسيومترية فى مجال علم النفس الاجتماعى على النحو الآتى :

(١) يمكن تفسير النتائج المستقاة من هذا المنهج غبر مستويات ثلاث هى الأشخاص، العلاقات بين الأشخاص، كيان الجماعة ككل ومدى تماسكها وتفككها.

(٢) يمكن من خلال تلك النتائج تفسير التكيف الاجتماعى للأفراد أو مستوى العلاقات الاجتماعية ضمن الجماعة وربطها مع بعض العوامل الفكرية والاجتماعية.

ويلاحظ أن هذا المنهج يحتاج إلى تدريب وممارسة من الباحثين الذين يقومون باستخدام تلك المجالات السابقة حتى يكون لنتائجه عائد يعتد به وبنتائجه فيما يستخدم من أجله. ليس هذا فى مقياس السوسيومترية فقط، وإنما يستلزم هذا فى بقية المناهج الأخرى كذلك.

مراجع الفصل الثانى

١ـ أندروز . ت. ج. ، مناهج البحث فى علم النفس، أشرف على ترجمته ا. د. يوسف مراد، القاهرة، دار المعارف، ج،١ ، ١٩٦٧.

٢ـ اندروز ت. ج. ، مناهج البحث فى علم النفس ، أشرف على ترجمته ، أ. د. يوسف مراد، القاهرة، دار المعارف، ج،٢ ، ١٩٦١.

٣ـ اسماعيل (عزت سيد) ، علم النفس التجريبى ، الكويت ، وكالة المطبوعات، بدون تاريخ.

٤ـ ثروت (جلال) ، الظاهرة الاجرامية (دراسة فى علم الاجرام والعقاب) ، الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨٣.

٥ـ ديوبولد (ب) فان دالين، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس، ترجمة محمد سعيد نوفل وآخرون، القاهرة ، الأنجلو المصرية، ١٩٧٧.

٦ ـ هنا (عطية) ، هنا (محمد سامى)، علم النفس الإكلينيكى، جـ١ ، التشخيص النفسى، القاهرة، دار النهضة العربية، ط٢ ، ١٩٧٦.

7. Colmon, J.C., **Psychology and Effective Behavior**, Bombay, India, 1971.

8. Nutten, et al., **Experimental Psychology**, It's Scope and Method, London, 1968.

الفصل الثالث

الاتجاهات النفسية الاجتماعية

Social Attitudes

- تمهيد.
- تعريف الاصطلاح وما يتضمنه.
- أنواع الاتجاهات النفسية.
- مكونات الاتجاهات.
- العلاقة بين الاتجاهات والقيم.
- العوامل المؤثرة فى تكوين الاتجاهات .
- قياس الاتجاهات ونماذج من المقاييس.
- مراجع الفصل الثالث.

الفصل الثالث
الاتجاهات النفسية الاجتماعية
Social Attitudes

تمهيد:

تمثل دراسة الاتجاه مكاناً بارزاً فى الكثير من دراسات الشخصية، وديناميات الجماعة، وفى الكثير من المجالات التطبيقية مثل التربية، الدعاية، والإعلام، العلاقات العامة والإدارة والتدريب القيادى، وحل الصراعات فى مجالات العمل والصناعة، وتنمية المجتمع وتعليم الكبار، وتوجيه الرأى العام والدعاية التجارية والسياسية والتوعية السياسية، ومكافحة التعصب العنصرى، والدعوة إلى التفاهم والسلم الدوليين.

ذلك أن جوهر العمل فى هذه المجالات هو دعم الاتجاهات الميسرة لتحقيق أهداف العمل فيها، وباضعاف الاتجاهات المعوقة. بل أن العلاج النفسى هو فى معنى من معانيه محاولة لتغيير اتجاهات الفرد نحو ذاته، ونحو الآخرين ونحو عالمه.

وبالطبع هناك موضوعات كثيرة يمكن أن تتوفر الاتجاهات نحوها مثل: تعليم المرأة والادخار، والاتجاه نحو فرد معين أو مؤسسة معينة أو نحو جماعة من الناس، فإذا كانت الاتجاهات نحو (موضوعات اجتماعية) فإنها تكون (اتجاهات اجتماعية) مثل اتجاه التعصب العنصرى. (٧ : ٦٧)

وهذا المصطلح له قدر من المرونة يسمح باستخدامه على نطاق الفرد أيضاً (الاتجاه الخاص) وهذا هو موضوع الاتجاه السيكولوجى (٢ : ٢٦٤).

والواقع أن موضوع الاتجاهات تحتل أهمية خاصة فى علم النفس الاجتماعى لأن الاتجاهات النفسية الاجتماعية تعتبر من أهم نواتج عملية التنشئة الاجتماعية ـ كما أن الاتجاهات تعتبر محددات موجهة ضابطة منظمة للسلوك الاجتماعى (٣ : ١٢٨).

تعريف الاصطلاح وما يتضمنه:

تتعدد تعريفات الاتجاه وتختلف، وذلك باختلاف الاطار النظرى والمنهجي للعلماء، ولكننا نرى من ناحية أن هذا التعدد والاختلاف فى تعريف الاتجاه لاشك أنه يثرى هذا المفهوم فى جوانبه المتعددة، ومن ناحية أخرى فإننا نرى أن هذه التعريفات جميعها يمكن أن تلتقى حول عدد محدد من المحاور الأساسية يدور عليها العلماء رغم اختلافهم فى تعريف هذا المفهوم، وهذه المحاور هى التى تحدد طبيعة مفهوم الاتجاه. وفيما يلى أهم التعريفات المختلفة للعلماء فى تحديد مفهوم الاتجاه.

- عرف البورت Allport الاتجاه بأنه حالة استعداد عقلى عصبى انتظمت عن طريق الخبرات الشخصية، وتعمل على توجيه استجابة الفرد نحو الأشياء أو المواقف التى تتعلق بهذا الاستعداد. (١٠ : ٣٥٤)

وبهذا المعنى يكون الاتجاه ذات تأثير توجيهى أو دينامى على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف تستثيرها هذه الاستجابة، ويمكن تقريب معنى هذا التعريف بأن الاتجاه هو الحالة الوجدانية القائمة وراء رأى الشخص أو اعتقاده فيما يتعلق بموضوع معين من حيث رفضه لهذا الموضوع أو قبوله أو درجة هذا الرفض أو القبول (٤: ٣٣٦).

٢ـ أما مورجان Morgan فيعرف الاتجاه بأنه ميل استجابة الفرد نحو أو ضد موضوع أو شخص أو فكرة ... الخ، أو بتعبير آخر فإن الاتجاه هو ميل للاستجابة بشكل ايجابى أو سلبى تجاه مجموعة من المثيرات. ويلاحظ من هذا التعريف أن الاتجاه كاستعداد عصبى ونفسى يكون له قوة تحديد وتوجيه السلوك وجهة معينة بما يتفق وطبيعته، وطبيعة المثيرات التى تستثيره فى مواقف معينة، كذلك يلاحظ من هذا التعريف أن سلوك الإنسان ليس وليد الصدفة أو أنه يمضى بشكل عشوائى ـ وإنما

هو نتاج المعانى التى سبق للفرد أن كونها من خبراته السابقة ـ وهنا يكون السلوك دالة لها من حيث اتجاهها وجهة معينة دون أخرى.

٣ ـ الاتجاه النفسى هو تنظيم نفسى مكتسب للعمليات الانفعالية والإدراكية المعرفية والنزوعية التى تضافرت فيما بينها وشكلت اتجاه معين حول بعض النواحى الموجودة فى المجال الحيوى الذى يعيش فيه الفرد، وهذا التعريف يتضمن:

أ ـ أن الاتجاه النفسى تنظيم نفسى مكتسب من خلال احتكاك الفرد بالبيئة التى يعيش فيها.

ب ـ أن الاتجاه لايظهر فى سن مبكرة من عمر الفرد وإنما يظهر فى سلوك الفرد عندما يكون قادراً على التعلم منذ سن الخامسة على وجه التقريب.

جـ ـ إن الاتجاه يتكون من ثلاثة مكونات متصلة ومتفاعلة فيما بينها هى المكونات الانفعالية (التأثرات الوجدانية) القائمة حول موضوع الاتجاه، المكونات الادراكية المعرفية (المضمون المعرفى والادراكى للاتجاه)، ثم المكون النزوعى أو الإرادى.

د ـ إن هذا الاتجاه يتشكل ويكتسب فى ضوء عناصر المجال الحيوى الذى يعيش فيه الفرد ـ ومن هنا تبرز أهمية هذا المجال بما ينتظمه من أفراد ومؤسسات ونظم اجتماعية ... الخ. فكل ما ينتظم هذا المجال يكون الفرد إزاءه اتجاهات اجتماعية معينة بشكل أو بآخر بما يتفق:

(١) وتنظيم الفرد النفسى وأفكاره وخبراته.

(٢) بما يتفق وحاجاته أو بما يشبع حاجاته المتعددة.

(٣) بما يتفق وما يفرضه المجتمع من أساليب للضبط الاجتماعى.

٤ ـ الاتجاه «تكوين فرضى»، ومعنى هذا أن الاتجاهات الاجتماعية هى بمثابة تكوينات أو أبنية فرضية، نحن نفترض وجودها، ونفترض أن لها تأثير على سلوك الإنسان (توجيهه وتحديده) دون أن يكون لدينا القدرة على تحديدها بشكل مجرد، وإنما يمكن أن نلاحظهـا وذلك من خلال تأثيرها فى سلوك الإنسان الظاهر، أو عن طريق ما يصدر عنه من استجابات لفظية أو غير لفظية.

والاتجاه بهذا المعنى شأنه شأن أى مصطلح آخر فى المجال السيكولوجى ـ كمصطلحات العمليات العقلية أو السمات المزاجية أو الصفات الخلقية ... أو غيرها.

كما يتضح من التعريف السابق أن الاتجاه يمكن أن يكون من قبيل العوامل الذاتية أو الكامنة غير الموضوعية والملاحظة للعيان بشكل مجرد، ومن ثم يمكننا القول بأن الاتجاهات بهذه الصورة هى متغيرات وسيطة (أى تتوسط بين المثيرات الخارجية (البيئة) ـ والاستجابة أو السلوك سواء أكانت هذه الاستجابة موجبة أو سالبة. (م ــ الاتجاه ــ الاستجابة) وبهذا الشكل يتيح للباحث التنبؤ بما سيكون عليه السلوك فى مواقف ذات خصائص معينة.

وباستقراء التعاريف السابقة يتضح لنا عدة عناصر أساسية وهى:

١ ـ إن الاتجاه هو استعداد عصبى نفسى، أو ميل محدد للاستجابة، أو تنظيم نفسى مكتسب، أو هو حالة وجدانية وراء رأى الفرد سالبا أو موجبا «وهو بهذا الشكل تكوين فرضى أو متغير كامن وسيط من قبيل المتغيرات الوسيطة.

٢ ـ الاتجاه بهذا الشكل ينتظم خبرات الفرد الشخصية.

٣ ـ الاتجاه ذات تأثير توجيهى أو دينامى على استجابات الفرد نحو كل ما ينتظم المجال الحيوى للفرد من عناصر أو مثيرات.

٤ ـ الاتجاه كتنظيم تتضافر فى تشكيله ثلاثة مكونات فرعية هى المكون الادراكى المعرفى، والانفعالى والمكون النزوعى الإرادى، وهذه المكونات متصلة متفاعلة فيما بينها.

٥ ـ الاتجاه يساعد على التنبؤ بما سيكون عليه سلوك الفرد فى مواقف اجتماعية ـ ذات خصائص معينة، وعليه فإن الاتجاه ييسر التعرف على سلوك الأفراد عبر المواقف الاجتماعية المختلفة، مما يكون له قيمة كبرى فى فهم سلوك الأفراد فى أى مجال من المجالات.

أنواع الاتجاهات النفسية:

تتعدد الاتجاهات عند الإنسان، بمعنى أن الإنسان يكون اتجاهات اجتماعية تجاه كل ما ينتظم المجال الحيوى له، فهو يكون اتجاها نحو من يعرف من الأفراد والنظم الاجتماعية السائدة والعادات والقيم والتقاليد، يكون اتجاهًا اجتماعيًا نحو المشكلات الاجتماعية، نحو مؤسسات المجتمع نحو قيادات هذا المجتمع وزعاماته، الفرد يكون اتجاهات اجتماعية نحو بيئته الاجتماعية بكاملها، ولكننا نجد عند قياس تلك الاتجاهات لدى أفراد مجتمع واحد أن الاتجاهات تختلف بالرغم من توحد المثيرات الاجتماعية أو توحد عناصر البيئة الاجتماعية التى يعيشون فى إطارها، ويرجع السبب فى ذلك إلى تباين مكونات شخصية الأفراد، تباين المجال النفسى الذى يوجد فيه الأفراد والجماعة، تباين الدوافع والغرائز والحاجات والخبرة، وحيل الدفاع والتعليم ـ وكل هذه عوامل تشكيل :لاستجابة ومحدداتها ولاشك أن التعرف على الصورة الكاملة لاتجاهات الفرد نحو بيئته الاجتماعية ييسر التنبؤ بسلوكه فى معظم المواقف.

ويصنف د. السيد خير الله «المدخل إلى علم النفس» القاهرة، عالم الكتب ط٣/ ١٩٧٣ . ص ٢٦٩ أنواع الاتجاهات النفسية كالآتى:

(أ) الاتجاهات الاجتماعية فى مقابل الاتجاهات الفردية:

تسمى الاتجاهات المشتركة بين عدد كبير من الأفراد بالاتجاهات

الجماعية. والاتجاهات التي تميز فرداً عن آخر تسمى اتجاهات فردية، فإعجاب الناس بالبطولة اتجاه جماعي. وإعجاب الفرد بزميل له اتجاه فردي

(ب) الاتجاه العلني في مقابل الاتجاه الخفي

فالإتجاه العلني يظهره الفرد دون حرج أو تحفظ، ومثل هذا الاتجاه أحياناً ما يكون متفقا مع معايير الجماعة ومثلها وقيمها، أما الاتجاه الخفي فهو الاتجاه الذي لا يتفق ومعايير المجتمع ومن ثم يخشى الفرد الافصاح عنه.

(جـ) الاتجاه السالب في مقابل الاتجاه الموجب:

يطلق على الاتجاه لفظ (اتجاه ايجابي) إذا كان ينحو بالفرد تجاه الموضوع ويقربه منه، أما إذا كان ينأى بالفرد عن الموضوع ويبعده عنه فيسمى (اتجاه سالب).

(د) الاتجاهات العامة في مقابل الاتجاهات الخاصة (النوعية):

ينكر بعض علماء النفس وجود الاتجاهات العامة التي تنصب على الكليات، ويعترفوا فقط بوجود الاتجاهات النوعية (الخاصة) التي تنصب على النواحي الذاتية، لكن الكثير من الأبحاث الميدانية والتجريبية أثبتت وجود الاتجاهات العامة بجوار الاتجاهات الخاصة.

(هـ) الاتجاه القوي في مقابل الاتجاه الضعيف:

إن القوة والضعف تميز شدة الاتجاه الذي ينعكس على نزوع الفرد ـ ومدى تفاعله مع الآخرين، فرد الفعل الحاد في موقف اجتماعي معين إنما يدل على اتجاه قوي، والعكس صحيح بطبيعة الحال، وتؤيد بعض الأبحاث الفرض القائل بأن (الجماعة الصغيرة التي يسيطر عليها الاتجاه الشديد الحاد ذات فاعلية في دينامية المجتمع عن الجماعة الكبيرة التي يسيطر عليها الاتجاه الشديد الحاد ذات فاعلية في دينامية المجتمع عن الجماعة الكبيرة التي لا يسيطر عليها مثل هذا الاتجاه (٢ : ٢٦٩).

مكونات الاتجاهات:

أوضحنا فيما سبق أن الاتجاه كتنظيم نفسى مكتسب تتضافر فى تشكيله ثلاثة مكونات فرعية. وهى مكونات متصلة متفاعلة فيما بينهما، وهذه المكونات هى:

أ ـ المكون الادراكى المعرفى: وهو يشير إلى المعتقدات التى يعتنقها الفرد حول موضوع معين، كتلك التى يكونها نحو الاتجاه الدينى الذى يعتنقه، أو الاتجاه الديمقراطى أو الاشتراكى، أو نحو حزب معين، أو نحو العلوم الطبيعية دون الإنسانية ... الخ.

ب ـ المكون الوجدانى (العاطفى أو الانفعالى). ويتمثل هذا الجانب فى الشعور أو الاستجابة الانفعالية التى يتخذها الفرد إزاء مثير معين، وهذه الاستجابة الانفعالية قد تكون ايجابية أو سلبية، سارة أو غير سارة، حب أم كره وهنا نجد أن الجانب الوجدانى من الاتجاه يضفى على الاتجاه طابع الدفع والتحريك.

جـ ـ المكون النزوعى (السلوكى أو العملى)، ويتضمن هذا الجانب جميع نزعات الفرد السلوكية تجاه المثير أو أساليب الفرد السلوكية إزاء المثير: ايجابية أم سلبية فالاتجاه نحو الدين الإسلامى مثلا يدفع بصاحبه إلى التشيع لدينه فيندر أن نجد مسلما يدخل الكنيسة كما يتجنب النقاش فى أمور قد تميل به ضد معتقداته الدينية وهكذا الأمر بالنسبة لمن يعتنق الدين المسيحى. فالتشيع هنا هو ذلك النمط من السلوك الذى يتخذه الفرد للدفاع عن معتقداته الدينية تلك التى تشكل المكون الادراكى المعرفى من الاتجاه الدينى.

ولنأخذ بعض الأمثلة نشرح من خلالها تلك المكونات وكيف تنتظم فى شكل اتجاه نفسى يدفع السلوك ويوجهه.

أ ـ الاتجــــاه الــديني:

نمط من الاتجاهات الاجتماعية يدور حول اهتمام الفرد وميله نحو معرفة ما وراء العالم الظاهرى ورغبته فى معرفة أصل الإنسان ومصيره، ورؤيته بأن هناك قوة تسيطر على العالم الذى يعيش فيه، وهو يحاول أن يصل نفسه بهذه القوة بصورة ما، ولذلك يتميز معظم الأشخاص الذين تسود لديهم هذه المضامين باتباع تعاليم الدين فى كل النواحي، وتتمثل هذه التعاليم فى الايمان بالله والكتب السماوية (القرآن والانجيل)، والإيمان بالحياة بعد الموت، والإيمان بمختلف الظواهر فوق الطبيعية، وهذا هو مضمون الاتجاه الدينى.

فكأن الاتجاه الدينى بهذا الشكل يتألف من عدد من المعتقدات الدينية (المضمون الادراكى المعرفى للاتجاه)، ويميل الأفراد إلى الإيمان بها بفرح وحب (الجانب الانفعالى)، ويتشيعون لتلك المعتقدات (الجانب النزوعى أو السلوكى).

ب ـ الاتجاه الديمقراطى:

الديمقراطية بمعناها العام هى طريقة فى الحياة يستطيع فيها كل فرد فى المجتمع أن يتمتع بتكافؤ الفرص عندما يشارك فى الحياة الاجتماعية، وهى بمعنى أضيق تعنى الفرصة التى يتيحها المجتمع لأفراده للمشاركة بحرية فى اتخاذ القرارات فى نواحي الحياة المختلفة ويتضمن هذا المفهوم مجموعة من المعايير، وهذه المعايير تترجم بدورها إلى سلوك ومعتقدات وقيم ـ (تشكل جوهر الاتجاه الديمقراطى عند الفرد).

ولقد وجد الباحثون أن السلوك الديمقراطى يتصف بعدد من الخصائص أهمها:

ـ المشاركة الاجتماعية والمساواة فى هذه المشاركة.
ـ الاجتهاد فى فهم مشاعر الآخرين واهتماماتهم.
ـ أن يتقبل الفرد الأفراد الآخرين على أنهم متساوون معه.

ـ إذا حدث صراع بين فرد وآخر فلا يصل هذا الصراع إلى طريق العنف.
ـ أن يتقبل الفرد الصراع الذى قد يكون محتوماً فى بعض الأحيان.

وهذا يعنى أن الفرد الذى يتمسك بقيم الديمقراطية سيدفعه ذلك إلى أن يلتزم فى سلوكه ببعض الخصائص السابقة أو كلها، أى يصبح شخصاً ديمقراطياً فى سلوكه مع الآخرين.

جـ ـ الاتجاه العنصرى:

يكتسب هذا الاتجاه فى سن الخامسة تقريبا عندما يكون الطفل قادراً على التعلم والاكتساب، عند ذلك يكتسب الاتجاهات النفسية الاجتماعية لوالديه ومنها الاتجاه العنصرى ضد السود، فبعد أن كان الطفل الأبيض يلعب بحرية مع الطفل الأسود قبل سن الخامسة أصبح عند هذا السن يبادله كراهية، ويميل سلوكه نحوه بالعنف والعدوان، والسبب فى ذلك أن الوالدين يغرسان قيم معينة هى معتقدات تشير إلى أن السود هم أفراد سود البشرة، يميلون إلى القذارة والعدوان ... الخ، وهذا هو المضمون المعرفى الادراكى للاتجاه العنصرى، وما يلبث الطفل الأبيض أن يكرهه وتتحول اتجاهاته تجاهه إلى السلبية (وهذا هو المضمون الانفعالى والوجدانى)، ثم يبدء فى العدوان عليه، وهذا هو المضمون النزوعى. (معتقدات يتعلمها الطفل الأبيض عن الزنجى، وانفعال كراهية تجاهه ثم عدوان فى أى شكل من أشكاله).

ويرى الكثير من علماء علم النفس الاجتماعى أنه يجب أن تتسق المكونات الأساسية للاتجاه وهى المكون الادراكى المعرفى، والمكون الانفعالى العاطفى، والمكون النزوعى السلوكى حتى يتجنب صاحب الاتجاه الشعور بالقلق والتوتر.

العلاقة بين الاتجاهات والقيم:

يلاحظ أن هناك تنوع واختلاف بين الباحثين فى الميدان فى استخدام هذين المفهومين وذلك نتيجة اختلاف الاطار النظرى لهؤلاء الباحثين،

حيث التعامل مع المفهومين بمسميات مختلفة وبالتالى اتباع أساليب قياس وتصميمات مختلفة.

فالاتجاه تنظيم ثابت نسبياً يتألف من بعض المعتقدات حول شئ ما أو موقف يوجه الشخص نحو استجابة ما يفضلها عن غيرها، ويلاحظ أن الاتجاهات قد تتعدد، وقد تتجمع فى تنظيمات ويتمركز كل تجمع من الاتجاهات حول قيمة ما فكأن القيمة تعتبر بمثابة جوهر أو مركز لتجمع الاتجاهات التى بينها علاقة قوية تظهر من خلالها قيمة معينة.

أما القيمة فهى بمثابة اهتمام أو اختيار أو تفضيل أو حكم يصدره الإنسان على شئ ما مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير الاجتماعية ولذلك فإن القيم تقوم بمثابة دوافع موجهة للسلوك ثم أنها نسبية مكاناً وزماناً.

وفى تحديد جوانب العلاقة بين الاتجاهات والقيم فيلاحظ أنهما يشتركان فى خصائص: التنظيم فكليهما تنظيم من المعتقدات التى تدور حول موضوع أو موقف محدد ثم أن كل منهما حالات ادراكية واقعية موجهة ومحددة للسلوك.

كما أنهما يختلفان فى عدد من النقاط يمكن ايجازها كالآتى:

أ ـ أن أى قيمة يمكن أن تؤدى إلى اتجاهات مختلفة لدى الشخص ذاته.

ب ـ أن اتجاه ما أو قيمة ما لدى شخص ما قد ينشأ عن قيمة تخالف الأخرى.

جـ ـ تختلف القيم فى مدى تأثيرها على سلوك الفرد، وتمتاز عن الاتجاهات فى أنها تشير إلى المثل الأعلى المقنن الموجه للسلوك.

د ـ أن القيمة أكثر شمولا وعمومية وأقل عدداً، بينما الاتجاهات أكثر نوعية وهى كثيرة ومتنوعة لدى الفرد.

هـ ـ أن القيم أكثر ارتباطاً بالثقافة السائدة فى المجتمع من الاتجاه النفسى.

و ـ أن القيم كدوافع للسلوك لها صفة المركزية بالنسبة للاتجاهات.

ز ـ إن الاتجاهات تبدو أكثر قابلية للتغير الظاهرى، بينما نجد أن القيم تقاوم هذا التغير، ويرجع ذلك إلى درجة الثبات النسبى للقيم، التى تشكلها وتدعمها الثقافة أو الإطار الحضارى بصورة قوية.

ح ـ إن العلاقة بين القيم والاتجاهات ليست متفقة، فقد تتضمن قيمة معينة اتجاهات متعارضة.

ط ـ يعتبر مفهوم القيم أكثر ديناميكية من الاتجاهات، حيث ترتبط مباشرة بالدافعية فى حين أن الاتجاهات ليست كذلك، فهى ليست عوامل أساسية موجهة أساسية.

ى ـ بينما تقوم القيم بدور أساسى ـ فى تحقيق الذات، وتحقيق توافق الفرد، نجد أن الاتجاهات تقوم بمثل هذه الوظائف ولكن بدرجة أقل، ولذلك فمن الصعب أن نضع حدوداً فاصلة بين هذه المصطلحات.

ك ـ أما كيف تتكون الاتجاهات وتكتسب القيم؟ فيلاحظ أن الاطارات واحدة وتتمثل فى الاتصال المباشر بموضوع الاتجاه أو القيمة، وكذلك خبرات التطبيع الاجتماعى المبكرة حيث تنشأ وتستقر تلك الاتجاهات أو القيم فى الأسرة.

ولنأخذ مثالاً على هذه العلاقة: هل التدين اتجاه أم قيمة؟ عندما ننظر فى التعاريف الاجرائية لكل من الدين كقيمة (٨: ٦)، والدين كاتجاه (٥: ١٨)، وذلك من خلال وسائل قياسهما نجد أن هناك قدر من الاتفاق فى محتوى تلك التعاريف ذلك أن كليهما بمثابة تنظيم من المعتقدات تدور حول موضوع أو موقف محدد. فإذا تصورنا مفهوم القيمة الدينية على أنها اهتمام الفرد وميله إلى معرفة ما وراء العالم الظاهرى ورغبته فى معرفة أصل الإنسان ومصيره ورؤيته بأن هناك قوة تسيطر على العالم الذى يعيش فيه، وهو يحاول أن يصل نفسه بهذه القوة بصورة ما، ولذلك يتميز معظم الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة باتباع تعاليم الدين فى كل النواحى. (٨: ٦) وتتمثل هذه التعاليم فى الإيمان بالله والكتب السماوية (القرآن والانجيل) والإيمان بالحياة بعد الموت، والإيمان بمختلف الظواهر فوق

الطبيعية، وهذا هو مضمون الاتجاه الدينى كما يحدده ايزنك.وويلسون (١٨١:٥)، فكأن الاتجاه بهذا الشكل يتألف من عدد من المعتقدات الدينية وهى التى تشكل القيمة الدينية ذاتها والتى يتمركز حولها الاتجاه. أو أن القيم تقدم المضمون للاتجاهات، فالاتجاهات إنما تمثل شكلاً أقرب ما يكون إلى الطابع التجريدى حيث تحدد القيم لهذا الشكل مضمونه واتجاهه (١ : ٣٢).

العوامل المؤثرة فى تكوين الاتجاهات:

ثمة عوامل على درجة كبيرة من الأهمية تؤثر فى تكوين الاتجاهات ونموها ومن هذه العوامل:

أ ـ تأثير الوالدين:

يعد تأثير الوالدين من أهم العوامل التى تسهم فى تكوين الاتجاهات لدى الأطفال الصغار ونموها، إذ أن لاتجاهات الوالدين الخاصة وما يقدمانه من تعزيز لبعض أساليب الطفل السلوكية تأثير عميق على تكوين اتجاهاته ونموها، وبصورة عامة فكلما تقدم الطفل فى العمر كلما تناقص هذا التأثير وقلت أهميته.

ومن المعروف أن الطفل يكتسب اتجاهات والديه كى تساعده على التكيف مع البيئة التى يعيش فى اطارها، يكتسب الطفل من خلال عملية التطبيع الاجتماعى أن يكون اتجاهات ايجابية سارة نحو والديه ذلك أنهما يقدمان إليه الاشباع لحاجاته المتعددة، ثم أن وجودها يعتبر صمام الأمان لهم، يتعلم أن يكون اتجاهات ايجابية أو سلبية سارة أو غير سارة نحو أو ضد ما ينتظم بيئته من أفراد ونظم ومشكلات اجتماعية.

ب ـ تأثير التعليم:

يعتبر التعليم مصدراً هاماً يزود الفرد بالمعلومات التى تسهم فى نمو اتجاهاته وتدعيمها ولاشك أن ما يتعلمه الطفل ويكتسبه فى المدرسة والجامعة

إنما يؤدى إلى اكسابه اتجاهات اجتماعية جديدة، أو تغيير ما لديه من اتجاهات أو تعديلها فى ضوء ما يتعلمه فيصبح أكثر تحرراً، فالتعلم إنما يؤدى إلى اكساب الطفل أنماط سلوكية واتجاهات اجتماعية تجعله أكثر مرونة وأقل تعصباً وتصلبا مع مواقف البيئة المختلفة، ولذلك فكلما ازدادات عدد السنوات التى يقضيها الفرد فى التعليم الرسمى كلما بدت اتجاهاته أكثر تحرراً.

جـ ـ تأثير وسائل الإعلام:

تساعد وسائل الإعلام فى تكوين الاتجاهات الاجتماعية وتدعيمها، أو تعديل بعضها وحذف البعض الآخر، وذلك من خلال ما يقدم فى جهاز التليفزيون من برامج هادفة تتصل ببعض النواحى السياسية والاجتماعية والتجارية والقانونية تلك التى تهم الجماهير العريضة، مثال ذلك الاتجاه نحو تنظيم الأسرة، الاتجاه نحو التمسك بالحقوق التى كفلها القانون للفرد لحقة فى التصويت، الاتجاه نحو نظافة البيت والمجتمع، الاتجاه نحو غرس الاتجاه نحو التكافل الاجتماعى ... الخ. ولكن ينبغى أن نأخذ فى اعتبارنا هنا أن تأثير وسائل الإعلام هو تأثير نسبى على تلك الجماهير العريضة، أو بمعنى أدق أنه من المحتمل ألا تسهم تلك الوسائل فقط فى تكوين الاتجاهات الاجتماعية بمفردها فإذا كانت تلك البرامج التليفزيونية بمثابة مثير يؤدى إلى استجابة تتعلق بتكوين الاتجاهات فإن هذا يتوقف على نمط شخصية الفرد المستقبل واطاره المرجعى.

ومن النظريات التى تفسر الكثير من المواقف التى تتضمن الاتجاهات المختلفة التى يتخذها الأفراد:

(١) نظريات التعرض للمثير. حيث أظهرت عدد من الدراسات التى تناولت الاتجاهات أن تعرض الفرد لمثير معين بصورة متكررة قد يجعله عادة ـ يكون استجابة أكثر ايجابية إزاء ذلك المثير.

(٢) نظريات التنافر المعرفى: ومضمونها أن الفرد قد يتعرض لمثير معين فى

عدد من المواقف المتباينة، فإذا اختلفت هذه المواقف بصورة جوهرية فإن الفرد قد يتعلم اتجاهات متعارضة إزاء نفس المثير، الأمر الذى يسفر عما أطلق عليه التنافر المعرفى، وكما هو الحال فى سائر مواقف الصراع التى قد يتعرض لها الفرد نجده يحاول تقليل هذا التنافر المعرفى بتغيير إحدى الفكرتين اللتين يعتنقهما إزاء المثير الواحد حتى يجعلها تسير فى نفس اتجاه الفكرة الأخرى. (٩: ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

قياس الاتجاهات:

تتعدد طرق قياس الاتجاهات وتختلف، فهناك الطرق المباشرة وهناك الطرق غير المباشرة، وهنا نتعرض لنماذج منها:

١ـ مقياس بوجاردس Bogardus

اهتم بوجاردوس بقياس المسافة الاجتماعية Social distance أو البعد الاجتماعى بين الأفراد، ويشتمل مقياسه على سبع وحدات تمثل درجات متفاوتة لمواقف الحياة الواقعية يمكن من خلالها الاستدلال على شعور الفرد بالقرب الاجتماعى أو البعد نحو جنس أو شعباً أو فرد آخر أو جماعة أخرى. ويتكون مقياسه من الوحدات الآتية:

(أ) أوافق على تكوين علاقة متينة بهم عن طريق الزواج.
(ب) أوافق عليهم كأصدقاء فى النادى الذى انتمى إليه.
(جـ) أوافق عليهم كجيران فى الشارع الذى أعيش فيه.
(د) أوافق أن يشغلوا عملا مثل عملى.
(هـ) أوافق عليهم كمواطنين فى بلدى.
(و) أوافق أن يكونوا مجرد زوار فقط لوطنى.
(ز) استبعدهم من وطنى.

ويلاحظ بهذا أن الاستجابات السبع تمثل متصل متدرج طرفها (أوافق على الزواج منهم) وهذا القطب يمثل أقصى درجات القبول، بينما على

القطب الآخر (استبعدهم من وطنى) إنما تمثل أقصى درجات الرفض. وعلى امتداد هذا المتصل الكمى يمكن أن تتدرج استجابات الفرد فأما أن تميل إلى الرفض، وإما أن تميل إلى القبول.

وقد استخدم هذا المقياس لمعرفة استجابات الشعب الامريكى نحو السويدين والأتراك.

٢ـ مقياس ليكرت Likert

لايعتمد ليكرت على المحكمين ولا على تصنيف العبارات تبعاً لأوزان قيمية معينة، ويتكون مقياسه من مجموعة من البنود Items أو العبارات يطلب من الفرد أن يجيب عليها بما يعبر عن رأيه من حيث المعارضة أو الموافقة، ويوجد أمام كل بند أو عبارة منها درجات تتفاوت من حيث الموافقة الشديدة إلى المعارضة الشديدة كالآتى:

(موافق جدا، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق مطلقا) وتأخذ كل استجابة منها درجة معينة تتفاوت بين (٥ ـ١)، وفى الاجابة على المقياس بطلب من الأفراد الذين تجرى عليهم المقياس وضع علامة على الاجابة التى تعبر عن رأيهم بالنسبة لكل عبارة من عبارات المقياس.

ويلاحظ أن أهم ما يميز طريق ليكرت هو تفاوت الدرجات أمام كل عبارة بين الموافقة الشديدة والمعارضة الشديدة، ثم أنها تتيح للفرد أن يعبر عن اتجاهه بالنسبة لكل عبارة من عبارات المقياس.

٣ ـ مقياس ثرستون:

وضع ثرستون مقياسه على أساس أن لكل اتجاه تدرجا معينا بين الايجابية المتطرفة والسلبية المتطرفة، وأن رأى الفرد فى موضوع ما يشير إلى اتجاهه نحو هذا الموضوع، وأن كل رأى يشير إلى مركز اتجاه الفرد فى التدرج العام، وهذا المركز يمثل متوسط الآراء التى يؤمن بها.

أما الطرق غير المباشرة فى قياس الاتجاهات فإنها تتضمن الاختبارات

الموضوعية والتى تتألف من عدد من الأحداث التى تقيس المعلومات حتى يبدو الاختبار وكأن الغاية منه هو قياس المعلومات لا الاتجاهات، كما تتضمن تلك الطرق غير المباشرة أنواعا من الاختبارات الاسقاطية ومن مقاييس الاتجاهات التى قننت على عينات مصرية نعرض لاثنين منها:

الأول : مقياس الاتجاهات النفسية للعلمين.

والثانى: استخبار ايزنك/ ويلسون للاتجاهات الاجتماعية والسياسية.

أولاً: مقياس الاتجاهات النفسية للمعلمين:

انبثق هذا المقياس من تلك البحوث التى بينت أن اتجاهات المدرسين نحو الشباب ونحو العمل المدرسى يمكن قياسها بدرجة عالية من الثبات، وأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالعلاقات القائمة بين المدرس وتلاميذه داخل حجرة الدراسة.

وعليه فقد صمم هذا المقياس لقياس اتجاهات المدرس تلك التى تنبؤنا بطريقة سلوكه مع التلاميذ، وبطبيعة علاقاته، معهم، ويبين بطريقة غير مباشرة كيفية رضائه عن التدريس، وكذلك فى انتقاء المدرسين ويمكن الافادة منه فى ارشاد الطلاب عند الانتقاء المهنى ... ويمكن أن يمتد استعمال هذا الاختبار إلى مجالات أخرى مثل قياس فاعلية برامج إعداد المعلمين أو قدرتهم على العمل مع مجموعات من الشباب.

ويشير د. جابر عبد الحميد جابر، ود. يوسف محمد الشيخ معداً الاختبار إلى (أننا نفرط فى تبسيط المسألة إذا افترضنا أن الفروق بين المدرسين عند نهايتى المقياس يمكن أن تفسر تماماً على أساس الاتجاهات نحو: التلاميذ، نحو التدريس، والمدرسة، والمادة الدراسية ... الخ، وبالتأكيد فالفروق هى فى الواقع نتيجة لعدد من العوامل، ويتضمن ذلك: الذكاء الاجتماعى والاكاديمى والمعلومات والقدرات والمهارات الاجتماعية وسمات الشخصية والطاقة والفهم والأساليب الفنية للتدريس.

ومهما يكن من أمر فيمكن افتراض أن اتجاهات المدرس إنما هى نتيجة

لتفاعل هذه العوامل المتعددة، وبذلك تمكننا الاتجاهات من التنبؤ بنوع الجو الاجتماعى الذى يعيشه المدرس فى حجرة الدراسة ....).

والاستخبار يشتمل على ٥٠ عنصرا ويقوم الشخص بتسجيل اجابته على ورقة منفصلة. وقد طبق هذا الاستخبار على عينات أجنبية استهدفت دراسة الاتجاهات النفسية بين مدرسى المراحل الدراسية المختلفة، كما طبق أيضاً على عينات مصرية استهدفت دراسة العلاقة بين المعلومات التربوية والممارسة التعليمية والاتجاهات النفسية للمعلمين. وقد بينت تلك الدراسة المصرية أنه كلما ازدادت المعلومات والممارسة ارتفعت الدرجات الدالة على تغير الاتجاهات النفسية للمعلمين بعداً عن السلبية واقتراباً من الايجابية كما تبين أن اتجاهات الإناث أكثر ايجابية من الذكور.

والاستخبار، بشكل عام له معاملات ثبات وصدق تسمح باستخدامه باطمئنان. (٦ : ١ ـ ١٢).

ثانياً: استخبار ايزنك/ ويلسون للاتجاهات الاجتماعية والسياسية:

أعد هـ.ج . ايزنك H. J. Eysenck و ج. ويلسون G. Wilson هذا الاستخبار عام ١٩٧٥، ويتكون الاستخبار من ١٧٦ عبارة تمثل مختلف الآراء فى مجال المشاكل الاجتماعية مختارة من خطب وكتب وجرائد ومصادر أخرى، وقد اختيرت تلك العبارات بطريقة من المحتمل أن يوافق أغلب الناس على بعضها، ولايوافقون على الأخرى.

ويمكننا الاستخبار من الحصول على تقدير لسبع سمات من سمات الشخصية، أو سبعة مكونات مميزة أو عوامل أولية أو ما يمكن أن يطلق عليها عوامل المضمون، وهذه المكونات هى:

التساهل، العنصرية، التدين، الاشتراكية، التحررية، الرجعية، المسالمة.

ويلاحظ أن مجموع درجات هذه المتغيرات (عوامل الاتجاه السبعة) يمكن أن يتبلور فى مقولتين كبيرتين أو عاملين من الدرجة الأولى:

يطلق على العامل الأول: عامل الراديكالية ـ المحافظة.

ويطلق على العامل الثانى: المزاج صعب المراس ـ المزاج لين العريكة.

أما الراديكالية فإنها تنزع إلى الاشتراكية، والتقدمية، بينما نجد أن المحافظة تميل إلى أن تكون تقليدية النزعة فى معظم الأمور وتأخذ بالنظام الاقتصادى الرأسمالى.

بينما تعكس الاتجاهات صعبة المراس صفات الشخصية على المصطلح نفسه، فهم أقوياء، يتسمون بصفات الرجولة، والعدوان، وهذا فى مقابل الاتجاهات لينة العريكة فهم رقيقو السلوك، وإنسانيون، يتعاطفون.

وقد قنن الاستخبار على عينات مصرية مسحوبة من المجتمع المصرى. وثبت صلاحيته للتطبيق حيث أن له معاملات ثبات وصدق مرتفعة تسمح باستخدامه باطمئنان. أما طريقة الاجابة والتصحيح فإن الاجابة تتحدد على بنود الاستخبار فى حدود مقياس من خمس درجات بمدى من ١ ـ ٥ فى كل بند أو عبارة.

وقد كشفت نتائج هذا الاستخبار على عينتين من الذكور والإناث قوام كل عينة منهم ٢٠٠ طالب وطالبة.

إن هناك فروق جنسية فى متغيرى التساهل والتحررية، والمسالمة، أما باقى متغيرات الاستخبار فلم تلاحظ هناك فروق بين الجنسين عليها. (٥ ـ ١٦٩ ـ ٢٠٦).

مراجع الفصل الثالث

١ ـ حسين (محيي الدين أحمد)، القيم الخاصة لدى المبدعين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١.

٢ ـ خير الله (سيد)، المدخل إلى علم النفس، القاهرة، عالم الكتب، ط٣/ ١٩٧٣.

٣ ـ زهران (حامد عبد السلام)، علم النفس الاجتماعي، القاهرة عالم الكتب، ط٢/ ١٩٧٣.

٤ ـ سويف (مصطفى)، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، القاهرة، الانجلو، ط٣/ ١٩٧٠.

٥ ـ عبد الله (مجدى أحمد)، أبعاد الشخصية بين علم النفس والقياس النفسي، الاسكندرية، دار الفكر الجامعي، ١٩٩٠.

٦ ـ كوك (والتر) وآخرون، مقياس الاتجاهات النفسية للمعلمين اقتباس واعداد د. جابر عبد الحميد جابر، ويوسف الشيخ، القاهرة، دار النهضة العربية، بدون.

٧ ـ مليكة (لويس كامل)، سيكولوجية الجماعات والقيادة، القاهرة: النهضة المصرية، ط٣/ ١٩٧٠.

٨ ـ هنا (عطية محمود): القيم (دراسة تجريبية)، المطبعة العالمية، ١٩٩٦.

٩ ـ ويتيج (أرنوف)، مقدمة في علم النفس، ترجمة [illegible] بإشراف أ. د. عبد السلام عبد الغفار، القاهرة، مكاكجروهيل للنشر، ١٩٧٧.

١٠ ـ يونس (انتصار)، السلوك الإنساني، الاسكندرية، المكتب المصرى الحديث، ١٩٦٦.

11- Eagly A. H., Choiken, S., The Psychology of attitudes., Harcourt Brace, U. S. A., 1993.

12- Myers, D., Social Psychology, McGraw - Hill, London, 1993.

الفصـــل الرابع

الـــــرأي العام

Public Opinion

- تمهيد.
- تعريف الرأى العام.
- مقومات الرأى العام.
- الرأى العام والاتجاهات الاجتماعية.
- العوامل المؤثرة فى الرأى العام.
- قياس الرأى العام
- بحوث فى الرأى العام والاتجاهات النفسية
- مراجع الفصل الرابع

الفصـــل الرابع

الرأى العـــــام Public Opinion

تمهيد:

تتفاوت العلاقة بين مفهومى الاتصال Communication والرأى العام Public Opinion، فمن الباحثين من يشير إلى أن الاتصال يتأثر بالرأى العام، وحجته فى ذلك «أن مصدر الاتصال سواء أكان محرراً فى جريدة أو منتجاً يحاول أن يقدم للناس ما يرضيهم وما يرغبون فيه، وبقدر معرفته بذلك بقدر ما يتأثر الاتصال بالرأى العام. وكثيراً ما تجرى البحوث لدراسة الرأى العام، وذلك بقصد توجيه الاتصال بما يرضيه»(١٤: ٧٩، ٣٠٣).

ومن الباحثين فريق آخر يتبنى وجهة النظر القائلة بأن الاتصال يؤدى إلى صياغة الرأى العام، وحجته فى ذلك «أن القيمة الحقيقية للاتصال تكمن فى كونه أداة كل الأنساق الفكرية فى الوصول إلى السيطرة على مشاعر الناس وآرائهم وتشكيل نظرتهم ومواقفهم وما يعتقدون إزاء شتى الموضوعات التى ترتبط بالمجتمع كأفراد وجماعات، وهذا التشكيل إن هو إلا صياغة للرأى العام. أى أن الرأى العام يصاغ من خلال الاتصال، وتتم عمليات الاتصال بالطبع من خلال قنوات وبوسائل معينة». (١١: ٦٧).

إلا أننا نجد من ناحية ثالثة أن كل من تناول العلاقة بين الاتصال والرأى العام من وجهة النظر السيكولوجية يتفق عل أن بحوث الرأى العام لها وظيفة قائمة وهى خفض التوترات داخل المجتمعات الحديثة، فعندما تناولنا الآثار المختلفة للتواصل بين أعضاء الجماعة أشرنا إلى العامل الآتى:

«زيادة تمكين الأعضاء من التوافق المتبادل فى مستويات الشخصية المختلفة، وعرضنا فى هذا الصدد وجهة نظر كرش وكرتشفيلد (D. Krech & R. S. Crutchfield, 1948: 307) من أن انغلاق الناس بعضهم بالنسبة للبعض الآخر. وجهلهم بآراء واتجاهات بعضهم يؤدى إلى ظهور (توترات)

تقلل من استقرار الموقف، وتكامل الجماعة، ولذلك فإن بحوث «الرأى العام التى تهدف إلى معرفة اتجاهاته وإذاعتها من شأنها أن تساهم فى خفض التوترات داخل المجتمعات الحديثة. (D. Krech & R. S. Krutchfield., 1948: 307)

وهكذا تبدو العلاقة بين الاتصال والرأى العام علاقة وثيقة فسواء أكان الاتصال يتأثر بالرأى العام، أو كان الاتصال يؤدى إلى صياغة ذلك الرأى كلياً، فإن الهدف من بحث هذه العلاقة هو توجيه الاتصال بما يرضى الرأى العام، ثم من ناحية أخرى إن دراسة هذه العلاقة لاشك تسهم فى خفض التوتر القائم بين أفراد المجتمع الحديث نظراً لأن هذا الاتصال يؤدى إلى إتاحة الفرصة للاتصال الدائم بين الأفراد، وبذلك يؤدى إلى عدم انغلاقهم بعضهم بالنسبة للبعض الآخر، وتطور سبل هذا الاتصال.

تعريف الرأى العام:

تختلف التعريفات الخاصة بالرأى العام كمصطلح علمى يدور عليه جانب من دراسات علم النفس الاجتماعى، وتتباين حيث اتجاهات العلماء ومذاهبهم، وفيما يلى أهم التعريفات المختلفة للعلماء فى تحديد مفهوم الرأى العام.

١ ـ الرأى العام هو «مجمل وجهات النظر والاتجاهات والمعتقدات الفردية التى تعتنقها نسبة لها دلالاتها من أعضاء المجتمع حول موضوع معين بالذات».

٢ ـ الرأى العام هو «حصيلة الآراء والمواقف والمعتقدات التى تعكس اتجاه نسبة مؤثرة من أفراد مجتمع واحد أو مجتمع ما إزاء موضوع بعينه»، وهنا يبدو تحفظاً إزاء هذا التعريف ذلك أن كون الرأى العام (محصلة) لا يعنى بالضرورة اتفاق الجزئيات لدى الأفراد إزاء شيء ما لتنوع خلفيات الأفراد وتعددها، إذ أن الناس يختلفون ثقافة وفهماً، بالرغم من تشاركهم فى بيئة واحدة، أو نسق اجتماعى واحد، على نحو

يوحى بأن الرأى العام ليس مجرد حصيلة بسيطة وإنما حصيلة مركبة التعقيد (١١ : ٨٢، ١٢٠).

٣ ـ الرأى العام هو محصلة «وجهات نظر كل أو أغلب أفراد المجتمع حيال القضايا والأحداث والفاعلين فى النظام السياسى، لا ينشأ ولا يدور فى فراغ، فهو أحد أنماط سلوك البشر الذين يعيشون فى ظل أوضاع اجتماعية واقتصادية وثقافية معينة، وبالتالى يتأثر من حيث تشكيله وامكانية قياسه بهذه المتغيرات المجتمعية».

٤ ـ الرأى العام وجود معنوى، وهو مجمع أحكام الجماهير واتجاهاتها وميولها ووجهات نظرها، وهو أحياناً يمثل انفعالها ويعكس شحنتها النفسية فى فترة زمنية معينة إلا أنه يختلف عن (الانفعال العام) (٨:١٦٤).

٥ ـ هو الحكم الذى تصدره الجماهير على عمل أو حادثة أو نشاط فى المجال الداخلى أو الخارجى المحلى أو العالمى (٨ : ١٦٤).

٦ ـ الرأى العام تعبير إرادى جماعى كامن أو ظاهر، لفظى أو حركى، منبعث من الجماعة عن أى أمر من أمورها، فهو يمثل سلوكاً جماعياً أو استجابة هامة لمثيرات اجتماعية فى المجال السلوكى للجماعة (٨ : ١٦٤).

ويلاحظ أن هذه التعاريف تدور وغيرها حول عدد من المحاور الأساسية نجملها فيما يلى:

(١) الرأى العام هو تعبير الجماعة أو المجتمع أو الجمهور العام أو الجماهير، وهو التعبير عن وجهة نظر الجماعة، وهو مجموعة الآراء التى يعبر عنها أفراد المجتمع، وهو نتاج جماعى، وهو مجمع أحكام الجماهير واتجاهاتها وميولها ووجهات نظرها.

(٢) الرأى العام هو البوتقة التى تصب فيها شخصية الفرد بما ينتظمها من مكونات ـ بالإضافة إلى ما يشكل إطار الفرد المرجعى من قيم وميول

واتجاهات ومعتقدات. وكذلك الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية للمجتمع.

(٣) الرأى العام هو بمثابة الحكم الذى يصدر على موضوع معين بالذات أو عمل أو حادثة أو نشاط ما يشغل بال الجماعة ويؤرقها سواء أكان هذا فى المجال الداخلى أو الخارجى.

(٤) إذا كان الرأى العام دالة لتعبير نسبة مؤثرة من أفراد المجتمع أو هو بمثابة إجماع لآراء الأمة ـ فإن هذا الإجماع هو إجماع نسبى غير كامل تماماً وذلك لتباين شخصيات الأفراد وأطرهم المرجعية.

(٥) الرأى العام قد يكون بمثابة تكوين افتراض ـ أو متغير كامن وسيط من قبيل المتغيرات الكامنة الوسيطة تلك التى تتوسط بين المنبهات والاستجابات، ولذلك فإن الرأى العام هو كيان ذات وجود معنوى غير محسوس، نحن نفترض وجوده دون أن يكون لدينا القدرة على تحديده بشكل عيانى مجرد.

(٦) أن الرأى العام لمجتمع ما لا ينشأ فى فراغ وإنما ينشأ فى نسيج هذا المجتمع وإطاره بما ينتظمه من أفراد ومؤسسات ونظم اجتماعية، ومن ثم فإن هذا الرأى يكون له انعكاسه على هذا المجتمع بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر وذلك فى ضوء أهمية المشكلة أو الموضوع الذى تشكل محور هذا الرأى العام.

والواقع أنه مهما اختلف العلماء فيما بينهم حول تفسير الرأى العام، وحول كونه اصطلاح للتعبير عن رأى الجماعة بالنسبة لموضوع من الموضوعات الهامة التى تتصل بحياتهم، أو نتيجة لتفاعل الآراء أو ثمرة لذلك كان من نتيجته ظهور قوة فى الرأى سميت بالرأى العام. أو أن الرأى العام هو النتيجة التى وصل إليها الناس بعد مناقشاتهم وقراءتهم عن موضوع يشغل أذهانهم، فإنه مما لا ريب فيه أن الرأى العام هو رأى الجماعة بالنسبة لأمر من الأمور التى تهمهم فى حياتهم، أو تتصل بحياتهم اتصال كيان،

ولذلك يستثنى العلماء من هذا رأى الأفراد بالنسبة لموضوع من الموضوعات التى لا تتصف بالأهمية (١٣ : ٣٦).

ولذلك يرى د. لويس مليكة متفقاً فى ذلك ونيوكومب أنه قد يكون من الأدق استخدام لفظ (الاتجاهات الاجتماعية) بدلا من (الرأى العام)، ولكنه يرى أن استخدام هذا اللفظ الأخير أصبح أكثر شيوعاً، ولا يعنى ذلك عدم وجود فروق بين قياس الاتجاهات وقياس الرأى العام، والواقع أن التعريفات التى يقدمها فى مؤلفه تتفق والتعريفات السابقة، ويمكن تلخيصها فى التعريف الآتى:

«الرأى العام هو النزعة المركزية التى تنتج من الصراع بين هذه الآراء المتفرقة، ومن ثم فهى تتشكل نتيجة للقوة النسبية، وتحت تأثير الصراع بين هذه القوى. وفى هذه العملية قد يكون لرأى جماعة الأقلية تأثير فى تشكيل جماعة الرأى العام أكبر من رأى جماعة الأغلبية، ونظراً لأن الرأى العام نتاج جمعى فهو يمثل الجماعة كلها معبأة للعمل فيما يتصل بالمشكلة، ومن ثم فهو ييسر تنسيق العمل الذى لا يشترط أن يقوم على الإجماع أو على حسن العلاقات بين الناس أو على مجرد الالتقاء العارض بين اختيارات الأفراد، أى أن الرأى العام يتجه دائماً نحو اتخاذ قرار رغم أنه لا يتسم بالإجماع»(١٤ : ٧٨-٧٩).

مقومات الرأى العام:

يقصد بمقومات الرأى العام تلك المحاور التى يقوم عليها وتشكل أبعاده الأساسية وأهمها:

أ ـ **الجماعة:** بخصائصها وصفاتها ونوعها وطبيعة أفرادها (اتجاهاتهم وجنسهم، دياناتهم، ميولهم، واهتماماتهم... إلخ)، كذلك تاريخها وعاداتها وتقاليدها وقيمها وتراثها وأهدافها ومصالحها والجو النفسى السائد فيها، ونوع القيادة والأوضاع السياسية والاقتصادية والبيئية والجغرافية التى توجد فيها.

ب ـ المشكلة: أو الموضوع العام أو المسألة العامة التى تدركها الجماعة، وتجذب الانتباه العام وأهميتها، والفروض والاقتراحات التى تقدم لحلها. (٨ : ١٧).

وقد تكون هناك مسألة بعينها، ويطلب فيها معرفة الرأى العام بصددها، ولذلك يتوجب فى هذه الحالة أن ينشر منها بوسائل النشر المختلفة، كما ينبغى أن يعتمد فى ذلك على الوسائل الصحيحة للاتصال بالجماهير بالشكل الذى لا تؤثر عليهم، وإنما يعرض الحقائق عرضاً موضوعياً مما ينتج عنه معرفة حقيقة الرأى العام.

ويعرف البعض أن الأفكار الراسخة فى الأذهان قد تكون سبباً من الأسباب التى تؤثر فى تكوين الرأى العام خاصة إذا كانت هذه الأفكار غير صحيحة، أو قد تكون للعادات أو التقاليد أو العرف الذى جرى عليه الناس دخل فى ذلك، والواقع أن نشر الحقائق المجردة الصحيحة يتيح الفرصة ولاشك للجماعة خاصة، إذا لم تتحكم العادات والتقاليد فى أعمال نفوسهم بالشكل الذى يصعب معه التخلى عنها من تكون الرأى العام بصددها. (١٣ :٣٧).

جـ ـ المناقشة:

المناقشة العامة والجادة الفعالة المنتجة... ويتحقق ذلك فى إطار التفاعل الاجتماعى الحر حيث تبدو وجهات النظر المختلفة، ويبدو النقد والنقد البناء والذى يتم من خلالها تبلور الآراء والاتجاهات المختلفة ـ كل ذلك فى إطار قيم المجتمع وعاداته وتقاليده. (٨ : ١٧١).

ونظراً لأن الرأى العام يقوم على الأخذ والعطاء عن طريق المناقشة فإنه يتحتم لقيامه وجود لغة مشتركة أو قدرة على الاتفاق على المعانى الرئيسية، وإلا أصبحت المناقشة دون جدوى بل تعذرت.

كما أن الرأى العام يقوم على أساس استعداد الجماعات للتوفيق بين

آرائها، فإذا استبدت كل جماعة بموقفها تعذر قيام الرأى العام الذى يتضمن المشاركة بين الناس فى الخبرات والاستعدادات للتوفيق بين الآراء ، وبذلك يستطيع الرأى العام أن يعمل كوحدة رغم انقسامه.

ومن الواضح أن نوع الرأى العام يتوقف إلى حد كبير على كفاية المناقشة العامة، وهى بدورها تتوقف على توفير ومرونة أدوات الاتصال الجمعى مثل الصحافة والإذاعة والاجتماعات العامة وهذه لن تكون لها قيمة إلا إذا كفلت حرية المناقشة. (١٤ : ٧٩).

ويضيف البعض ضمن مقومات الرأى العام أو محاوره عاملى الزمن، والخبرة السابقة (٨ : ١٧١).

الرأى العام والاتجاهات الاجتماعية:

الاتجاه هو الحالة النفسية القائمة وراء رأى الفرد فيما يتعلق بموضوع معين من حيث رفضه لهذا الموضوع أو قبوله ودرجة هذا الرفض أو القبول، ويمكن القول بأن كل شخص فينا يحمل نوعين من الاتجاهات: اتجاهات خاصة أو شخصية وهذه هى مجموعة اتجاهاته نحو أحداث حياته الخاصة وظروفها من حيث هى خاصة به، واتجاهات عامة أو اجتماعية وهذه هى مجموعة اتجاهاته نحو الأحداث والموضوعات العامة فى الحياة الاجتماعية (١٠ : ٣٣٦).

وقد قدمنا فيما سبق لبعض من تعاريف الرأى العام، ونضيف هنا أن الرأى العام هو التعبير باللفظ أو بالإشارة عن الاتجاه النفسى حول موضوع جدلى، وقد يتفق هذا ورأى (نيو كومب New Comb) فى أنه من الأفضل أن نطلق مصطلح : الاتجاهات الاجتماعية (Social Attitudes) على الرأى العام (Public Opinion)، أى أنه يرى أن الرأى العام يعبر عن الاتجاهات الاجتماعية.

وكثيراً ما يستخدم المصطلحين بنفس المعنى، بل إننا نجد كذلك بعض

الباحثين لا يفرق بين الاتجاه، والرأى العام نظراً لعدم وجود اتفاق بين العلماء على حدود التعريف، إلا أن هارتلى وهارتلى وهارت يرون أنه لن يفيد كثيراً أن نعتبر الرأى مجرد تعبير لفظى عن الاتجاه فالرأى من طبقة سيكولوچية أخرى غير الاتجاه، كما تختلف عنه من حيث علاقته الوظيفية بالسلوك، والرأى يوجد فقط حيث تعجز الاتجاهات عن تمكين الفرد أو الجماعة عن مواجهة الموقف، أى حين يقدم الموقف مشكلات تتضمن موضوعات جديدة وغريبة تتطلب من يواجهها التدبير فى عواقب المسالك المختلفة وذلك هو ما نعنيه بالرأى.

والرأى يتضمن أو يقوم جزئياً على الاتجاهات ولكن ذلك لا يعنى أنه مرادف للاتجاه، تلك التى تتفاعل فيما بينها خلال حدوث الفعل، وهذا التفاعل هو الذى يقوم الرأى خلاله بدور الوساطة بين الاتجاه، والرأى رغم أنه مكون إدراكى معرفى فى المقام الأول إلا أنه يكون له جوانب انفعالية ونزوعية، والرأى أقرب إلى السطح بعكس الاتجاه فهو أعمق وأكثر التصاقاً بالأنا. (١٤ : ٧١ – ٧٥).

العوامل المؤثرة فى الرأى العام:

فى تعريف الرأى العام أوضحنا أنه لا ينشأ فى فراغ، وإنما ينشأ فى نسيج مجتمع ما يعانى من مشكلة ما تؤرقه أو موضوع ما يشغل باله أو قضية تغشى تفكيره وعليه فإن ما ينتظم المجتمع من أطر مرجعية، وما ينتظم شخصية الفرد من مكونات هما عاملان رئيسيان فى التأثير على الرأى العام وتشكيله، ومزيد من التفصيل فيما يلى:

١ ـ التراث الثقافى السائد فى المجتمع:

يؤثر التراث الثقافى للمجتمع بشقيه المادى والمعنوى فى شخصية الفرد ونموه العقلى والخلقى والاجتماعى، وبالتالى فى تكوين الرأى العام لأفراد ذلك المجتمع. ويتعرض الفرد لهذا التراث وذلك من خلال عملية التطبيع

الاجتماعى خلال مراحل نموه المختلفة، وتلعب البرامج التعليمية ـ فى المدرسة والجامعة دوراً فى تكوين الرأى العام السليم وغرس اتجاهات النقد البناء واحترام الذات والآخرين، وغيرها مما يسود هذا التراث فى جانبه المعنوى.

٢ ـ الأسرة:

لاشك أن الأسرة هى المؤسسة الأولى فى حياة الإنسان والتى تلعب البعد الأساسى فى عملية التنشئة الاجتماعية، وهنا لابد أن نشير إلى الاتجاهات الوالدية فى التربية، ما يسود العلاقة الاجتماعية بين الوالدين بعضهما بالبعض وبينهما وبين الأطفال، ولاشك نتذكر أن مدرسة التحليل النفسى قد أشارت إلى أن شخصية الطفل تتشكل خلال الخمس سنوات الأولى من نموه، ففى هذه الفترة تتكون فكرته عن نفسه وعن الآخرين، تتكون فكرته عن المجتمع الذى يعيش فيه بكل ما ينتظمه، وبهذا فإن الأسرة هى الأساس فى تشكيل اتجاه الفرد وآراءه المختلفة.

٣ ـ الدين:

الدين نمط من أنماط الاتجاهات الاجتماعية المكتسبة من خلال عملية التطبيع الاجتماعى، وعليه فإن رجال الدين ومؤسساته تؤثر فى اتجاهات الفرد وآرائه وفقاً لما يعتنقه الفرد من اتجاه دينى.

٤ ـ الأحداث الهامة فى المجتمع:

لاشك أن كل ما يغشى المجتمع من مشاكل وأزمات سواء كانت حروباً أو حالات كساد اقتصادى أو تضخم أو كوارث طبيعية كالزلازل والسيول والأمراض المزمنة هذا بالإضافة إلى الاكتشافات التكنولوجية والعلمية كل هذا يؤدى إلى تكوين الرأى العام تجاه الحكومة أو تجاه الأحزاب القائمة، أو يؤثر فيما لدى الفرد من آراء واتجاهات كانت موجودة لديه.

٥ ـ القيادة:

لاشك أن هناك علاقة وثيقة، من جماهير الشعب والقائد، والقائد من ناحية يهمه معرفة الرأى العام للجماهير، وهناك جهات متخصصة ترفع هذا الرأى بصفة دائمة إلى القائد وذلك لأهميته فى صياغة القرار، إلا أنه من ناحية أخرى فإن القيادة كثيراً ما تؤثر فى اتجاه الرأى العام بما لها من شعبية وما تتمتع به من حب وثقة الجماهير العريقة. وعليه فالقائد يتأثر بالرأى العام ويؤثر فيه خاصة فى إطار الديمقراطية.

٦ ـ المناقشات الجماعية:

تعتبر المناقشات الجماعية إحدى وسائل التأثير فى آراء الجماعة فالمناقشات القائمة على حرية الرأى والنقد البناء تلك التى تدور حول قضايا المجتمع ومشاكله لاشك أنها تؤدى إلى صياغة رأى عام أوالتأثير عليه وتعديله.

٧ ـ قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وأنماط سلوكه:

وهى تلك المكونات التى تشكل الإطار المرجعى للجماعة التى يعيش فيها الفرد، وهى من أهم العوامل المؤثرة فى الرأى العام لأفراد الجماعة وعلاقاته بالناس ونظرته إلى شتى نواحى الحياة... إلخ.

٨ ـ تأثير وسائل الإعلام:

قد تساعد وسائل الإعلام فى تكوين هذه الآراء أو التأثير عليها وكذلك تدعيمها فى شخصية الأفراد، وهنا ندخل فى اعتبارنا : برامج التليفزيون، الراديو، السينما، الفيديو، الكتب، المجلات، والصحف،... إلخ.

٩ ـ تأثير الأقران:

إن أهم تأثير يحل محل تأثير الوالدين ـ وما يقدمانه من تعزيز لبعض أساليب الطفل السلوكية تأثيراً عميقاً على تكوين آراءه واتجاهاته ونموها ـ

خاصة كلما تقدم الطفل فى النمو يأتى من جانب الأقران ويبدأ فى وقت مبكر. وتزداد أهميته كلما تقدم الطفل فى العمر.

١٠ ـ شخصية الفرد وما ينتظمها:

لاشك أن العوامل السابقة من العوامل الأساسية التى تؤثر على تكوين الرأى العام، ولكن يجب ألا نقلل من شخصية الفرد وما ينتظمها من مكونات عقلية ومزاجية وخلقية واجتماعية وحسية، فتلك المكونات هى التى تؤثر فى استجابة الفرد وتأثره بالعوامل السابقة، وهذا هو ما يؤدى إلى أن إجماع الآراء على موضوع عام يكون إجماعاً نسبياً وليس كاملا، والسبب فى ذلك هو تباين شخصيات الفرد.

قياس الرأى العام:

قدم هانز أيزنك H. J. Eysenck فى مؤلفه The Psychology of Politics, 1988 قائمة تقيس الرأى العام، وهى قائمة تتكون من ٦٩ عبارة تمثل قطاعات واسعة من الآراء فى مختلف القضايا الاجتماعية، مختارة من كتب وخطب وجرائد يومية ومصادر أخرى، وقد اختيرت تلك العبارات بطريقة من المحتمل أن يوافق أغلب الناس على بعضها ولا يوافقون على الأخرى.

وعلى كل عبارة يمكن للمفحوص أن يسجل رأيه مستخدماً مقياس من خمس نقاط تتراوح بين القبول التام أو التحييد، والرفض التام أو النفور، ويتدرج المقياس بين القبول التام والرفض التام.

ومن أمثلة حالات الرأى الواردة فى هذه القائمة:

(١) توجد الأمة من أجل مصلحة الفرد، وليس الفرد من أجل مصلحة الأمة.

(٢) يستطيع أن يعيش الإنسان العادى حياة صالحة بدرجة كافية بدون الدين.

(٣) الرأسمالية غير أخلاقية لأنها تستغل العامل، ولا تعطيه القيمة الكاملة لعمله الإنتاجى.

(٤) الحب الحر بين الرجال والنساء يجب أن يشجع كوسيلة نحو تحقيق الصحة النفسية والجسمية.

أما فيما يتعين بطريقة تطبيق الاستخبار، والأدوات المستخدمة فى ذلك، ومعايير تقنينه ـ وما يتعلق ببنائه وتصميمه والتعديلات التى تمت فيه ينظر المؤلف.

ولاشك أن قياس الرأى العام له قيمته عند التخطيط العام للدولة. ويلاحظ أن استفتاءات الرأى العام ليست من السهولة والبساطة التى قد تميز الاستفتاءات فى مجالات أخرى، فعلى نوع وطريقة صياغة الأسئلة يتوقف مقدار الاعتماد على إجابات الأفراد، ويقرر كانتريل Cantril أن الأسئلة ذات الإجابات المفتوحة لها قيمتها الكبيرة فى معرفة أى الآراء هى السائدة فعلا فى المجتمع، وأن الأسئلة التى إجاباتها «نعم» أو «لا» لها قيمتها الكبيرة فى المشاكل المحددة تحديداً واضحاً، أما الأسئلة ذات الاختيار المتعدد فتفيد عندما يكون لأحد الجانبين أو لكليهما فى مشكلة واضحة عدة احتمالات، وبشكل عام فإن الاستفتاءات واستخدامها يحتاج إلى أخصائيين مدربين تدريباً حسناً على إجرائها وتفسير درجاتها، حتى يمكن الاعتماد على نتائجها فى صياغة القرار.

بحوث فى الرأى العام والاتجاهات النفسية:

ومن أهم بحوث الرأى العام والاتجاهات النفسية الاجتماعية ما يلى:

بحث «اتجاهات الراشدين نحو العلاقات بين الجنسين»:

وفيه يدرس الباحث العوامل النفسية الوثيقة الارتباط باتجاهات الراشدين نحو المظاهر المختلفة للعلاقات بين الجنسين فى المجتمع المصرى، وقد عبر عن هذا الهدف العام فى صورة أسئلة محددة، وفروض رئيسية تمثل المشكلة، ثم أعد مقياساً للاتجاه على أساس طريقة ليكرت، قام بتطبيقه على عينات من الذكور والإناث من المتزوجين ومن غير المتزوجين، ثم استخدم فى تحليل

النتائج طريقة التحليل العاملى، وقد أسفر هذا التحليل عن أربعة عوامل ذات دلالة فى كل من جدولى الذكور والإناث، وقد ناقش الباحث هذه النتائج الإحصائية فى ضوء الإطار الحضارى والثقافى الذى أجرى فيه البحث ـ أى فى ضوء حقائق الحياة اليومية والخبرة الواقعية فى المجتمع المصرى فى تلك المرحلة. (٤ : ٢٣٧-٢٥٥).

* بحث «الاتجاهات النفسية للشباب نحو مركز المرأة فى المجتمع»:

ويهدف إلى دراسة الاتجاهات لدى الشباب المصرى المتعلم من الجنسين نحو الأمور المتصلة بشتى صور العلاقات بين الجنسين كالنظرة إلى المرأة، واختلاط الجنسين، وأمور التعليم والعمل والسياسة والحياة الزوجية. وقد أعد الباحث مقياساً لهذه الاتجاهات طبق على أفراد البحث وحللت النتائج بقصد الكشف عن مظاهر الاتفاق والاختلاف بين الذكور والإناث، وبين مجموعتى الذكور ومجموعتى الإناث والاتجاهات المستقصاة ـ والعوامل المرتبطة بها ـ (٥ : ٢٥٦-٢٧١).

* بحث «قياس اتجاه الرأى العام فى القاهرة نحو منح المرأة حقوقها السياسية»:

ويهدف هذا البحث إلى معرفة الأسباب التى أدت إلى إحجام المرأة عن القيد فى جداول الانتخاب، ومعرفة ما إذا كان هناك حقوقاً سياسية أخرى يجب أن تحصل عليها المرأة. وقد أعدت لهذا الغرض استمارة طبقت على عينة من ألف حالة اختيرت فى إطار بيانات تعداد ١٩٤٧ الخاص بمحافظة القاهرة.

وقد كشف البحث عن أن الرأى العام فى القاهرة كان وقت إجراء البحث (أغسطس ١٩٧٥) يميل إلى تأييد منح المرأة حق الانتخاب بنسبة مئوية أكبر من نسبة تأييد منحها حق الترشيح. كما كشف البحث عن الأسباب التى أبديت لشرح هذا الموقف ـ وعن تأثير عوامل الجنس والسن والمستوى التعليمى والحالة الزواجية والحالة الاقتصادية.

كما أورد البحث الأسباب التى أبديت لشرح الإحجام عن القيد فى جداول الانتخاب من جانب الذكور (بنسبة ١,٥ ٪) والإناث (٦٧,٧ ٪) والحقوق الأخرى التى رأى بعض أفراد البحث ضرورة منحها للمرأة، وناقش الدلالات التطبيقية للبحث من حيث الدور الذى يمكن أن تلعبه برامج الاتصال الجمعى، والدور الذى يمكن أن يحققه البحث العلمى فى ترشيد الرأى العام نحو قضية معينة. (٧ : ٢٧٧-٢٨٤)

* **بحث «اتجاهات المتعلمين نحو العمالة والبطالة»:**

وهو بحث مشتق من بحث العمالة والبطالة بين الأشخاص الذين تلقوا تعليماً ثانوياً أو تعليماً عالياً، وفيه دراسة للاختيار التعليمى والمهنى والأسباب التى أدت إليها. وكذلك الرضا عن العمل ـ والاتجاه نحو العمل اليدوى، والعمل الحر والصور الأخرى من العمل، وتكشف الدراسة عن بوادر التغير فى اتجاهات الشباب المتعلم نحو العمل اليدوى، وفى علاقات الفرد بالمجتمع.

وهذه الدراسة توضح ضرورة الدراسة العلمية المنظمة للاتجاهات والقيم فى مختلف المواقف بقصد الاستفادة منها فى التطوير الاجتماعى فى الاتجاه المطلوب. (٦ : ٢٩٦-٣٠٨).

* **بحث «أثر التدريب فى تغيير الاتجاهات»:**

وهو بحث تجريبى يهدف إلى التعرف على تأثير البرنامج التدريبى والحياة بمركز التدريب على تنمية المجتمع على أبعاد هامة من اتجاهات المبعوثين إليه، وهى أبعاد يفترض وجوب توافرها فى العاملين فى ميادين تنمية المجتمع: التمركز حول القرى، والواقعية فى التوقعات، والإيجابية فى المشاعر نحو القروى، وتقدير أهمية العمل الجماعى، وقد طبق على المبعوثين اختبار إسقاطى مصور وذلك بعد التحاقهم بالمركز مباشرة، ثم قبل تخرجهم فيه، وقد كشف البحث عن أن البرنامج التدريبى وخبرات الحياة فى المركز

قد أثر تأثيراً دالا فى اتجاهات المبعوثين على الأبعاد السابقة، كما كشفت الدراسة عن عدد من العوامل التى ترتبط بالتغير فى هذه الاتجاهات. وأوضح دلالته التطبيقية (٢ : ٣١٧-٣٢٩).

* بحث «ديناميات الاتجاه نحو تنظيم الأسرة»:

وتم فيه التعرف على اتجاه القرويين والعمال وزوجاتهم نحو تنظيم الأسرة، وركز على الكشف عن ديناميات هذه الاتجاهات وأهم الأبعاد المرتبطة بها، وذلك بقصد الإفادة منها فى إعداد خطة لتغيير هذه الاتجاهات فى ضوء معرفة الدوافع والمخاوف والحيل النفسية التى تكمن ورائها. (١٥ : ١٩٨-٢٠٨).

* بحث «المعالم السلوكية لمنطقة متخلفة»:

ويوضح أثر الفروق الثقافية فى التنظيمات السلوكية كما تتمثل فى الاتجاهات الوالدية، والاتجاهات نحو العمل، والعلاقات الاجتماعية والاتجاهات إزاء الغيبيات وفى مظاهر السلوك الأسرى، كالارتباط العائلى والمعاملة المنزلية وغيرها. (أحمد زكى صالح، ١٩٧٠)[١].

* بحث «قياس اتجاهات الابتعاد النفسى بالأمثلة الشعبية»:

وفيه وجد الباحث اتجاهين واضحين بين الطلاب الذين أجريت عليهم الدراسة أسماها : اتجاه الابتعاد عن الناس بعامة. (د. فؤاد البهى السيد).

* بحث «الاتجاهات السياسية للشباب المعاصر»:

ويتناول أهمية الاتجاهات السياسية للشباب ودوره فى التقدم (ثروت بدوى، ١٩٧١).

* بحث «التفكير الخرافى»:

وفيه تحديد لأكبر الخرافات شيوعاً، ومدى تأثرها بالبعد الاقتصادى

---

(١) مؤتمر علم النفس الأول ، تقرير لجنة علم النفس والتغيير الاجتماعى، القاهرة، مايو، ١٩٧١.

والبعد الريفى، والحضرى، وبعد الجنس، والبعد التعليمى، ثم وضع مقياس الاتجاهات نحو الخرافات. (٣ : ١٨٧-١٩٧).

*** بحث «ماذا يفكر الشباب»:**

وتناول اتجاهات الشباب الجامعى فى مجالات متعددة وهى اختيار المهنة وتعليم المرأة وموضوع الوحدة العربية والأفكار الاقتصادية بشكل عام فى ضوء الاختلافات فى الجنس وفرع التعليم الجامعى، ومدة الدراسة بالجامعة (محمد فهمى وآخرون، ١٩٧١).

*** بحث «الاتجاهات النفسية عند الأولاد والوالدين والمربين نحو بعض المفاهيم الاجتماعية»:**

ويتناول قياس وتحديد الاتجاهات النفسية عند هؤلاء جميعاً نحو المفاهيم الاجتماعية مثل نظام التعليم والدروس الخصوصية، والامتحانات والتعليم المختلط والزواج وتنظيم الأسرة والجنس الآخر، والمرأة العاملة، والوحدة العربية، والاشتراكية والرأسمالية والمعركة وشباب اليوم، والموضة والدين ووسائل الإعلام، كل هذا بهدف لفت الأنظار إليها ـ والعمل على تدعيم الموجب منها، وتعديل السالب منها بما يتناسب مع كل مفهوم اجتماعى. (د. حامد زهران، ١٩٧٢).

*** بحث «المشكلات المنهجية فى قياس الاتجاهات الاجتماعية»:**

وتعرض الدراسات المتضمنة تحت العنوان السابق، القصور القائم فى عدد من مقاييس الاتجاهات المعروفة مثل مقاييس ثرستون وليكرت وجتمان، وتحاول الكشف عن الحلول المناسبة لعلاج هذا القصور.

وقد أدخل «دياب» تعديلا على أسلوب «شريف ـ هوفلاند» أدى استخدامه مع مجموعة من الطلاب العرب إلى التحقق من صدق بعض الفروض المرتبطة باتجاهاتهم نحو «الوحدة العربية»... وقد انتهى الباحث فى هذا إلى نتائج توضح أن درجة تمسك الفرد بموقفه عامل هام فى إلقاء الضوء على درجة تقبله ورفضه لموضوع ما.

وكذلك تلقى الدراسات أضواء على سلوك أفراد البحث من حيث انتقائهم لما يقرءون من صحف ولما يستمعون له من إذاعات تختلف فى مواقفها من موضوع الوحدة العربية، وبخاصة سلوك من يسمون بالمعتدلين الذى وجد أنه يتشابه تشابها كبيراً مع سلوك المعارضين المتطرفين، وهى نتيجة كان من الصعب شرحها بغير تقدير الاتجاه على أساس (المدى) بدلا من تقديها على أساس الدرجة المفردة، وأخيراً تكشف دراسات دياب عن نتائج لم تكن متوقعة من حيث تأثير عوامل التقارب فى استجابة فرد فى موقف معين لرسالة مكتوبة لها موقف معين، وقد أمكن شرح هذه النتيجة فى ضوء التعديل الذى أدخل على أسلوب «شريف ـ هوفلاند» فى قياس الاتجاه. (١٦ : ٣٧-٤٨).

*** بحث «المشكلات المنهجية فى بحوث الرأى العام فى المجتمعات النامية»:**

فيه يبدأ الباحث بتحديد أبعاد الظاهرة وينبه إلى صعوبة تطبيق المناهج المألوفة فى تحليل الرأى العام على المجتمعات النامية لأسباب عدة منها: أن الظاهرة لم تتكامل بعد فى هذه المجتمعات، ومنها الخوف التقليدى من السلطة وانتشار الأمية، واحتمال تضخم التأثير الناتج من تحيز القائم بالمقابلة، وسطحية الاتجاهات السياسية بعامة وعدم استقرارها.

ويترتب على ذلك كله عدم ملائمة الأدوات المألوفة فى جمع البيانات، إلا أن دراسة الرأى العام تكتسب فى المجتمعات النامية أهمية خاصة: أكاديمية وعلمية، وقد ناقش الباحث أهم الصعوبات الفنية المرتبطة ببحوث الرأى العام فى هذه المجتمعات وقدم لكل منها حلولا تمثل تحديداً منهجياً يتلاءم مع ظروف المجتمعات النامية.

وقد ركز الباحث على الدور الخطير الذى يتعين أن يلعبه خبير الرأى العام فى هذه المجتمعات وبخاصة فى الدراسات التوجيهية، وعرض نماذج للتجديدات المنهجية من واقع خبراته فى البحوث الميدانية التى أجراها فى

المجتمع المصرى، وهى خبرات جديدة بأن يمنحها الباحثون فرصة التطبيق والاختيار. (د. حامد ربيع)[١].

*** بحث «بين الإيجابية واللامبالاة» دراسة تتبعية لاتجاهات القرويين نحو العمل الجمعى ـ فى خمس سنوات:**

وهى دراسة تتبعية هدفت إلى تبيين اتجاهات القرويين فى عدد من قرى دلتا النيل نحو العمل الجمعى، وإلى الكشف عن التغيير الذى يمكن أن يكون قد حدث فى هذه الاتجاهات خلال خمس سنوات (١٩٥٨-١٩٦٣) وذلك بقصد الكشف عن ديناميات هذا التغير والعوامل المرتبطة بتكون الاتجاه وتغيره.

والاتجاه الإيجابى نحو العمل الجمعى يستند إلى مبالاة الجماهير بمشكلات المجتمع، ويحارب السلبية، والانعزالية، ويذكى فى الفرد صورة للذات الواثقة من قدرتها على الإسهام فى العمل للصالح العام، وتتغير معرفة هذا الاتجاه فى تبين مصادر القوة والضعف فى التنظيمات الشعبية ودورها فى قيادة الجماهير فى معركة التنمية، وذلك لأنها تساعد على رسم صورة موضوعية عن المجال النفسى والاجتماعى الذى يعيش فيه المواطن. وتوفر إدارة التغيير وإمكانياته لديه، كما أن معرفة هذا الاتجاه مطلب أساسى فى التخطيط للتنمية وفى تقويم برامجها.

وقد أسفرت الدراسة عن مؤشرات للتغيير بعضها إيجابى والبعض الآخر سلبى ـ فالعلاقات الاجتماعية بدأت تتحرر من قبضة المعيار القرابى، تقنع نسبة كبيرة من أفراد البحث بحياتهم فى القرية، إلا أنهم أقل قناعة فيما يتصل بمستقبل أبنائهم والنسبة الغالبة من أفراد البحث، تعى المشكلات، كما تدرك الغالبية أنه من الممكن إيجاد الحلول لهذه المشكلات، إلا أن

---

(١) حامد (عبد الله ربيع)، بحوث الرأى العام فى المجتمعات النامية (الصعوبات المنهجية)، فى مليكة: قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية، جـ٢، ص ٤٩-٦١، القاهرة، الدار القومية للطباعة.

نسبة كبيرة من أفراد البحث تنظر إلى الجهاز الحكومى على أنه المسئول والأقدر على حل مشكلات مجتمعهم المحلى كما أن نسبة كبيرة من أفراد البحث ينظرون إلى أنفسهم فى كل من المستويين الشعورى واللاشعورى على أنهم عاجزون عن الإسهام فى حل مشكلات مجتمعهم. (د. لويس مليكة، ١٩٦٦).

مراجع الفصل الرابع

١ ـ السيد (فؤاد البهى)، قياس اتجاهات الابتعاد النفسى بالأمثلة الشعبية.

٢ ـ أبو لغد (إبراهيم)، مليكة (لويس)، أثر التدريب فى تغيير الاتجاهات، فى مليكة (لويس) **قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية**، القاهرة، الدار القومية للطباعة، جـ١.

٣ ـ إسكندر (نجيب)، وآخرون، التفكير الخرافى ـ بحث تجريبى فى مليكة (لويس)، **قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية**، القاهرة، الدار القومية.

٤ ـ حافظ (إبراهيم)، اتجاهات الراشدين نحو العلاقات بين الجنسين، فى مليكة (لويس) **قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية**، القاهرة، الدار القومية للطباعة، جـ١.

٥ ـ حافظ (إبراهيم)، الاتجاهات النفسية للشباب نحو مركز المرأة فى المجتمع، فى مليكة (لويس) **قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية**، القاهرة، الدار القومية للطباعة، جـ١.

٦ ـ حمزة (مختار)، اتجاهات المتعلمين نحو العمالة والبطالة فى مليكة (لويس)، **قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية**، القاهرة، الدار القومية للطباعة، جـ١.

٧ ـ دياب (لطفى)، قياس اتجاه الرأى العام فى القاهرة نحو منح المرأة حقوقها السياسية، فى مليكة (لويس) **قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية**، القاهرة، الدار القومية للطباعة، جـ١.

٨ ـ زهران (حامد عبد السلام)، علم النفس الاجتماعى، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٧٣.

٩ ـ سويف (مصطفى)، **الأسس النفسية للتكامل الاجتماعى**، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٠.

١٠ ـ سويف (مصطفى)، **مقدمة فى علم النفس الاجتماعى**، القاهرة، الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٠.

١١ ـ سعد (إسماعيل)، الاتصال والرأى العام، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط٢، ١٩٨١.

١٢ ـ صالح (أحمد ذكي)، المعالم السلوكية لمنطقة متخلفة، بحوث مؤتمر علم النفس الأول، القاهرة، مايو، ١٩٧١.

١٣ ـ فهمى (محمود) ، فى تحرير الصحف الكبرى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢.

١٤ ـ مليكة (لويس)، سيكولوجية الجماعات، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٧٠.

١٥ ـ مليكة (لويس) ، ديناميات الاتجاه نحو تنظيم الأسرة فى مليكة (لويس)، قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية، القاهرة، الدار القومية للطباعة، جـ٢.

١٦ ـ مليكة (لويس) ، المشكلات المنهجية فى قياس الاتجاهات الاجتماعية، دراسات لطفى دياب فى مليكة (لويس) قراءات فى علم النفس فى البلاد العربية، القاهرة، الدار القومية للطباعة، قـ٢.

17. Eysenck, H., J., The Psychology of Politics, Routledge and Kegan Paul, London, 1968.

18. Eysenck, H.J., Know Your Own Personality, Penguin Books, London, 1976.

19. Eysenck, H.J. , Psychology is about People, Penguin Books, Lonon, 1977.

الفصل الخامس

ديناميات الجماعة

Group Dynamics

- تمهيد.
- تعريف دينامية الجماعة.
- علاقة ديناميات الجماعة بالعلوم السلوكية.
- تعريف الجماعة وأشكالها ـ ومحدداتها.
- كيفية تنمية الشعور بالانتماء إلى الجماعة.
- طرق اتخاذ القرار في إطار الجماعة.
- اضطراب السلوك الجماعي وعوامله وأنواعه.
- العوامل المؤدية إلى ارتقاء الفرد وتقدمه.
- العوامل المعوقة لارتقاء الفرد وتقدمه.
- الروح المعنوية.
- دراسات وبحوث في مجال ديناميات الجماعة.
- مراجع الفصل الخامس.

الفصـــل الخامس

ديناميات الجماعة Group Dynamics

تمهيد:

لاشك أن فهمنا لسلوك الإنسان الاجتماعى فهماً دقيقاً لا يتأتى إلا بفهم :

(أ) طبيعة الجماعات التى يعايشها الإنسان بدءاً بجماعة الأسرة وامتداداً بالجماعات الأخرى التى يمارس فيها الفرد أدواره المختلفة أو نشاطاته المختلفة عبر مراحل حياته المختلفة.

(ب) والقوى النفسية المختلفة التى تؤثر فى هذه الجماعات.

والمتعمق فى سلوك الإنسان ـ يجد أن أوجه النشاط المختلفة التى يقوم بها فى حياته فى محاولة منه للتكيف والبيئة الاجتماعية التى يعيش فى إطارها. هى نشاطات تحدث فى جماعات فالطفل يتلقى تعليمه فى جماعة من قرنائه فى المدرسة، ينشد الترويح فى جماعة النادى، يلتحق بعمل فى جماعة مهنية مختلفة ـ يمارس نشاطه السياسى فى إطار حزب معين ـ يمارس نشاطه الاقتصادى فى إطار جماعة أخرى... وهكذا، وهنا نجد أن الفرد يتفاعل مع غيره ممن ينتمون إلى هذه الجماعات ويكتسب من خلال هذا التفاعل [١] قيمة واتجاهاته ومعاييره ـ وعاداته، ويتعلم أساليب السلوك المتباينة التى تمكنه من العيش فى إطار هذ الجماعات فى أمان واطمئنان ـ أى بقدرة أكبر على التكيف وإياها.

ويلاحظ هنا أن التفاعل الذى يحدث بين الفرد والجماعة ـ إنما يكون له أثار على مستوى الفرد والجماعة[٢] ولذلك فإن الجماعة (ككل دينامى) بما يحدث فى إطارها من عمليات تفاعلية إنما تؤدى إلى تغير فى

---

(1) Social Interaction

(٢) فمثلا تتغير علاقات القوة فى الأسرة إذا مات عضو فيها ، أو إذا انضم إليها عضو بالزواج أو الميلاد.

أجزائها. ومن هنا جاء الاهتمام بفهم الحياة الاجتماعية فهماً دقيقاً بدراسة: طبيعة الجماعات، القوى النفسية المختلفة التى تؤثر فيها، وكذا الاهتمام بالإجابة على العديد من الأسئلة مثل:

(أ) كيف تتكون الجماعة؟.

(ب) ما هى العوامل التى تؤدى إلى ارتباط الجماعة ـ وازدياد فاعليتها؟

(جـ) ما هى العوامل التى تؤدى إلى انحلال وتدهور الجماعة؟

(د) كيف تؤثر الجماعة فى إدراك الفرد وتفكيره ودافعيته وسلوكه؟

(هـ) ما الذى يؤدى إلى ازدياد تأثير الجماعة فى إفرادها؟

(و) ما الذى يحدد العلاقات بين الجماعات المختلفة ؟

(ز) ما الذى يؤدى إلى قوة تماسك التنظيم الاجتماعى؟

(ح) كيف تؤثر البيئة الاجتماعية عامة على خصائص الجماعة؟

والإجابة على هذه الأسئلة يتيح للباحث فى مجال علم النفس الاجتماعى عامة وعلم ديناميات الجماعة بشكل خاص ـ إلمام بالمعلومات المرتبطة بطبيعة الجماعة، وطبيعة العوامل والقوى المؤثرة فيها وكذلك تحديد الإطار العام لمجال من مجالات علم النفس الاجتماعى ـ مجال جديد نسبياً هو علم ديناميات الجماعة.

تعريف دينامية الجماعة:

تعتبر دينامية الجماعة مجال من المجالات العالمية حديثة النشأة إذ لم يمض على ظهورها وتبلورها أكثر من تسعة وأربعون عاماً بالتقريب ـ فقد استخدمه كيرت ليفين ويشير به إلى إمكانية الوصول إلى مجمرعة متماسكة من المعارف عن طبيعة الحياة الاجتماعية، وقد قام هو ومعاونوه بعدد من الدراسات فى مواقف اجتماعية متعددة فى أثناء الحرب العالمية الثانية تناول فيها بحث القرارات الجماعية والمناقشات الجماعية وأثرها على تغيير العادات.

ولدينامية الجماعة ثلاثة استعمالات متباينة:

(آ) تستخدم للدلالة على أيديولوچية سياسية معينة ذات علاقة بتنظيم

الجماعات ـ وإدارتها وتؤكد هذه الاستخدامات لمفهوم ديناميات الجماعة على أهمية القيادة الديمقراطية.

(ب) يستخدم المفهوم للإشارة إلى مجموعة الأساليب التي تستخدم في البرامج التدريبية بقصد تحسين المهارة في أدائها وكذلك المؤتمرات والعلاقات الإنسانية.

(ج) وهناك من ينظر إلى دينامية الجماعة على أنها مجال من مجالات الدراسة يهدف إلى تحصيل المعلومات عن طبيعة الجماعة ـ والوصول إلى القوانين التي يخضع لها نمو الجماعة وعلاقة الجماعة بالأفراد وبالجماعات الأخرى.

وهناك مجموعة أخرى من العلماء يرجحون استخدام (دينامية) الجماعة للدلالة على ذلك الفرع من العلوم الإنسانية الذي يهتم بالدراسة العلمية المنظمة للجماعة ـ تكوينها نموها وما يرتبط بها من جوانب أخرى بغية الوصول إلى القوانين العلمية التي تنظم هذه الجوانب مؤكدين على عمليات التفاعل وما ينتج من ذلك من آثار إيجابية للفرد والمجتمع.

ويعرف بونر علم ديناميات الجماعة بأنه ذلك الفرع من علم النفس الاجتماعي الذي يبحث في تكون ـ وتغير بناء الجماعة ـ ووظائفها بحيث تصبح ذاتية التوجيه فالجماعة لا تتكون ولا تتغير إلا بجهود أعضائها في حل مشكلاتهم وإشباع حاجاتهم ـ ولذلك فالجماعة الدينامية في عمليات مستمرة من إعادة البناء ـ والتوافق بقصد التخفيف من التوتر بين أعضائها ـ وحل المشكلات المشتركة للجماعة والأفراد.

أو قد تكون دينامية الجماعة مرادفة للتفاعل مضاف إليه عنصر التغير ـ فمن الواضح أنه لا فردين ولا جماعتين متفاعلتين يكونان أبداً نفس الشيء بعد حدوث التفاعل ـ وإنما يتغيران إلى حالة أكثر أو أقل... كنتيجة للتفاعل، ولولا التفاعل لا يمكن للتغير أن يحدث. ومن هنا يهتم دارسوا ديناميات الجماعة باكتساب المعرفة عن طبيعة الجماعة ـ وخاصة تلك

القوى النفسية الاجتماعية المؤثرة فى الجماعة والتى تعمل على تحقيق الجماعة لوظائفها.

(١) ويستخدم مفهوم «دينامى» Dynamic بمعنيين فهو يستخدم أحياناً باعتباره مضاداً لمفهوم ثباتى Static ومعناه حينئذ ما يتضمن التحول والصيرورة. وأحياناً أخرى يستخدم باعتباره مضاداً لمفهوم «الى» Me-chanical ومعناه حينئذ ما يتضمن مجموعة من التغيرات المرتبطة فيما بينها تبعاً لقوانين حتمية ـ كما يتضمن زيادة على ذلك معنى القوة الدافعة ونوعاً من الغائية.

(٢) ويستخدم مفهوم دينامى كذلك بمعنى التغير داخل نظام وعندئذ لا يقف التغير عند حدود جزء معين من أجزاء النظام لكنه يشمل النظام كله لينتقل به إلى مستوى جديد من مستويات الاتزان.

(٣) ويرى ليفين K.Lewin أن مفهوم دينامى يشير إلى مجموعة الوقائع أو المفاهيم التى تتعلق بالتغير وشروطه، ويلاحظ فى الحقائق الدينامية انه لا يمكن تعينها إلا بطريق غير مباشر.

(٤) ويستخدم كرش وكرتشفيلد D. Krech & R. S. Crutchfield المفهوم للإشارة إلى مجموعة التغيرات التكيفية التى تحدث فى بناء الجماعة ككل نتيجة لحدوث تغيرات فى أى جزء من أجزائها.

(٥) ويقدم وارن H.C. Warren أربعة استعمالات لهذا المفهوم أبرزها أن المفهوم دينامى يستخدم فى علم النفس للإشارة إلى ما للسلوك والحالات النفسية من علل ونتائج، مع الإشارة إلى الحوافز بوجه خاص. أو كمرادف لما يتضمن القوة أو القدرة أو التحريك أو التغير (٣: ٣٩٦ – ٣٩٨).

من كل ما سبق يتبين لنا أن مفهوم دينامى يستخدم فى البحوث السيكولوجية فى مقابل مفهوم ثباتى، وإذا كان من الممكن إضافة لفظ «الجماعة» إلى لفظ «دينامى» لأمكننا أن نقدم التعريف الآتى لديناميات

الجماعة متفقين فى ذلك وتعريف كرش وكرتشفيلد ـ أن دينامية الجماعة يقصد بها مجموعة التغيرات التكيفية التى تحدث فى بناء الجماعة ككل نتيجة لحدوث تغيرات فى أى جزء من أجزائها، ووسيلة تلك التغيرات هنا هو التفاعل الاجتماعى.

أما من ناحية قيمة هذا الفرع ـ فهو شأنه شأن أى فرع آخر من فروع علم النفس يستهدف فهم وتفسير ذلك القطاع من قطاعات الدراسة ـ السلوك الاجتماعى ـ بهدف صياغة أسس وقواعد السلوك الاجتماعى واستنباط أساليب التأثير فى قرارات الجماعة والأعمال الجماعية، وأيضاً تفسير تلك الجوانب الدينامية للجماعة مثل: التغير، ومقاومته، والتأثيرات، والضغوط الاجتماعية، والقهر، والقوة، والتماسك، والجاذبية، والنفور، والاعتمادية، والتوازن، والاختلال، وعدم الثبات... إلخ.

ـ علاقة ديناميات الجماعة بالعلوم السلوكية:

لم تقتصر بحوث ديناميات الجماعة على ميدان واحد من ميادين العلوم السلوكية:

(أ) قام علماء الاجتماع بدراسة الجماعات المختلفة مثل جماعة العائلة، جماعات العمل، العصابات، جماعات الخدمة العامة والتطوعية، الوحدات العسكرية... إلخ. وقد تركزت تلك الدراسات على البناء الاجتماعى لتلك الجماعات المختلفة فيما بينها.

(ب) قام علماء الاجتماع بدراسة نفس الجماعات ـ مع التركيز على الطرق التى تؤثر بها الجماعات على سلوك واتجاهات وشخصيات الأفراد، وتأثير خصائص الأفراد على وظائف الجماعات.

(ج) وكذلك أسهم علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى دراسة الجماعات التى تعيش فى ظروف مختلفة تماماً عن ظروف المجتمع الصناعى الحديث

(د) واتسع اهتمام علماء السياسة إلى دراسة المؤسسات الكبيرة، وامتد إلى دراسة عمل الجماعات التشريعية، ومراكز التأثير والضغط.

(هـ) وتزايد اهتمام الاقتصاديين بجمع البيانات عن الطرق التى تتخذ بها القرارات فى العائلة فيما يتصل بالإنفاق - والادخار - وكذلك النقابات المهنية على اختلافها وكيف تتخذ القرارات فى مختلف الشئون الاقتصادية... إلخ.

من كل ما سبق يتضح لنا أن الاهتمام بالجماعات يشارك فيه العاملون فى مختلف العلوم الاجتماعية، أى أن دينامية الجماعة لها دلالتها لكل هذه العلوم فكل منها يدرس الجماعة من وجهة نظر معينة أو من جانب ما من جوانبها المتعددة، فعلم الاجتماع يدرس التفاعل وصوره وعملياته على الفرد والمجتمع أو من وجهة نظر تفاعلية وما ينتج عنها من اكتساب للقيم والعادات والاتجاهات وأنماط السلوك... إلخ. والعلوم السياسية تدرس الجماعة من ناحية نشاطها السياسى، كذلك يمكننا أن نشير إلى أن دراسة ديناميات الجماعة هى فى نفس الوقت دراسة لديناميات الشخصية وديناميات المجتمع، ولذلك أصبحت الجماعات هى محور الاهتمام فى كثير من المجالات التطبيقية.

ومن العوامل التى أسهمت فى تدعيم ديناميات الجماعة وجود مهن قائمة اشتدت حاجتها إلى البحث المنظم فى الحياة الاجتماعية، وكان من الطبيعى أن يحرص كل من يعمل مع الجماعات على الاستفادة من القوانين التى تحكم الحياة الاجتماعية فى أى ميدان من ميادينها التطبيقية المختلفة سواء كان ذلك فى ميدان تنمية المجتمع والخدمة الاجتماعية. أو ميدان العلاقات الإنسانية فى محيط الصناعة والعمل أو فى الإرشاد الزراعى أو التثقيف الصحى أو التوحيد والإرشاد أو العلاقات العامة والدعاية والإعلام أو فى مجال العلاج.

ونتيجة لزيادة الوعى بإمكان الاستفادة من دراسات الجماعة ازداد

الاهتمام بتدريسها فى برامج الدراسة فى الجامعات وازداد الاهتمام بإجراء البحوث.

أولا ـ تعريف الجماعة:

يطلق لفظ الجماعة Group على أى تجمع يجمع فردين أو أكثر من الأفراد يحدث بينهما شيء من التفاعل الاجتماعى Group Interaction يعتمد فيه إحداهما على الآخر، ويؤدى فيه كل واحد منهما دورا معينا فى تحقيق الصالح العام أو الأحداث المشتركة للجماعة. وبهذا المعنى تصبح الأسرة، جماعة الأصدقاء، رفاق النادى بمثابة الجماعات النفسية Psycho-logical Groups على أساس أن كل واحد من أفراد هذه الجماعات له من الخبرة بالتفاعل الاجتماعى قدر كاف يمكنه من أن يتوقع النحو الذى ينبغى للأفراد أن يسلكوا عليه عند إسهامهم فى تحقيق الصالح المشترك.

وهذا يختلف عن شكل آخر من أشكال الجماعات وهو الجمهرة التى تتألف من أناس لا يعرف بعضهم بعضاً فلا تعد بمثابة جماعات نفسية ولو أنها كثيراً ما يشار إليها بوصفها جماعات تجريبية.

وبداية فنحن نقصد بالجماعة... فردين أو أكثر يسلكون تبعاً لمعايير مشتركة، ولكل منهم دور فى الجماعة يؤديه، مع تداخل هذه الأدوار بعضها مع بعض والسعى لتحقيق هدف مشترك.

ولذلك يشترط فى الجماعة إذن:

(١) أن يكون لكل فرد فيها دوراً يؤديه.
(٢) أن تكون هناك معايير مشتركة تتحكم فى سلوك الأفراد.
(٣) تداخل هذه الأدوار مع بعضها البعض.
(٤) أن يكون للجماعة هدف وفلسفة.

ومن التعاريف المختلفة للجماعة Group نقدم أنماطاً منها:

(١) يعرف كرش وكرتشفيلد الجماعة بأنها شخصان أو أكثر توجد بينهما

علاقة سيكولوجية مريحة وصريحة أى أنه بالنسبة لكل عضو فى الجماعة يجب أن تكون هناك علاقة سيكولوجية بينه وبين الأعضاء الآخرين ـ بحيث يتأثر بسلوكهم وخصائصهم.

(٢) يعرف كاتل الجماعة بأنها مجموعة من الكائنات تستخدم تواجد الكل فيها فى إشباع بعض حاجات كل منهم.

(٣) ويحدد جيب الجماعة بأنها تشير إلى كائنين أو أكثر فى تفاعل لتحقيق هدف مشترك. والصورة يكون فيها وجود الأفراد مشبعاً لحاجات كل منهم.

(٤) ويعرف نيوكومب الجماعة بأنها شخصان أو أكثر يشاركان فى المعايير المتصلة بموضوعات معينة، وتتشابك أدوارهم الاجتماعية تشابكاً وثيقاً.

(٥) وقد يستخدم لفظ جماعة فى أربع نواح على الأقل فيجتمع الناس بعضهم مع بعض على أساس:

١ ـ ظرف موضوعى مشترك مثل المكان الجغرافى أو الدخل المادى.

٢ ـ الاشتراك فى مجموعة من القيم أو الاتجاهات مثل معتقدات المحافظين أو الأفراد.

٣ ـ القيام بأعمال أو أدوار سلوكية متماثلة مثل العمل فى مصنع.

٤ ـ الشعور المشترك بالانتماء مثل شعور طلبة الجامعة بأنهم والجماعة التى تضمهم شىء واحد علماً أنه من الخطأ وفقاً لهذا التعريف أن للتجمعات السكانية المختلفة والتى تجتمع على أساس أو آخر صفة سيكولوجية دون إقامة الدليل على صحة ذلك ـ كما ينبغى البحث عن مدى تشابه الفرد مع الجماعة عن طريق الدراسة المباشرة لمقدار التماثل العقلى بينه وبين الجماعة.

ومن المحددات الأساسية التى يمكن بواسطتها الحكم على سيكولوجية الجماعة المعايير الستة الآتية:

المعيار الأول: أن تتطابق أو تتشابه عقائدهم واتجاهاتهم أو ما يمكن أن

نطلق عليه الشعور بالانتماء إلى الجماعة، ويتضمن إدراك الفرد تشابهه مع زملاءه. وهذا ما دفع بنيوكومب وشريف T. New Comb & M. Sherif من استحداث مفهوم «جماعة الانتماء» ومعنى هذا المفهوم أن الأشخاص كثيراً ما يتخذون من الجماعة التي يودون الاتحاد بها إطاراً دلاليا لأفكارهم وأعمالهم، وليست هذه الجماعة هي تلك التي يكونون فيها أعضاء رسميين بقدر ما هي الجماعة التي يرون أنهم ينتمون إليها حقيقة.

المعيار الثاني: الاشتراك الكلي والجزئي في التجمعات: ظهر هذا المعيار لتحليل الجماعات نتيجة تميز البورت Allport بين الروابط التامة والروابط الجزئية، فبعض الجماعات تستحوذ على شخصية الفرد بأكملها في حين أن جماعات أخرى قد لا يخصها منه إلا القليل فمثلا اللاعب المحترف في كرة التنس يكاد لا يفكر في جميع أطوار حياته إلا بأسلوب النادى الذى ينتمي إليه بحيث يتحكم ذلك في طريقة مأكله ومشربه ونومه ـ فجماعة التنس التي ينتمي إليها هي بالنسبة له كل شيء فتجمع شمله شمولا كلياً وقد تكون له ميول قليلة نسبياً خارج محيط التنس ولكنها ضئيلة الأهمية، فإذا عرفناه كلاعب تنس كان لدينا وصفاً صادقاً لشخصيته، أما العامل المحترف في تجارة المباني مثلا فإنه قد ينتمي إلى عدد من المنظمات فجزء من اهتمامه موجه إلى ناد رياضي حيث يلعب الكره . وجزء آخر صغير لحزبه السياسي . وجزء ثالث للمسجد، وكل من هذه الجماعات تستأثر بجزء صغير من نشاط هذا الفرد، فإذا رأيناه في دور واحد فقط من أدواره في هذه الجماعات لكانت معرفتنا بشخصيته ضئيلة للغاية.

ومن المهم أيضاً أن تراعى الناحية الكيفية عند استخدام هذا المعيار لتقرير مدى اندماج شخصية الفرد في جماعة ما. فالفرد قد يقف قدراً قليلاً نسبياً من وقته لجماعته ويساهم بالقليل في أوجه نشاطها، ومع ذلك قد تكون نفسه منغمسة بها ومنغمسة فيها.

المعيار الثالث: الجماعات الأولية والثانوية: من المعايير الأخرى التي

يجب مراعاتها فى وصف الجماعات من حيث ما إذا كانت أولية أو ثانوية. وقد أكد كولى C.H. Cooley الفرق بين جماعة يعيش أعضاؤها معاً ومن ثم يمكنهم أن يتفاعلوا ويستجيبوا أحداهم للآخر بطريقة مباشرة ، وجماعة أخرى لا يعيش أعضاؤها، بعضهم مع بعض. وتنتمى الأسرة إلى النوع الأول ويكون أعضاء الحزب السياسى جماعة ثانوية. والطفل يتعلم أولا أن يتكيف مع الجماعات الأولية وبعد ذلك يتأثر بنفوذ الجماعات الثانوية طبقاً لما يتطلبه من التماثل الاجتماعى ـ ومقضيات الحياة كما تظهر فى المواقف الاجتماعية التى تهيئ له فرص الاجتماع بالاخرين .

المعيار الرابع: درجة تأثر أعضاء الجماعة بمبادئ الجماعة: وهناك معيار رابع يتلخص فى الدرجة التى تكون عندها أفعال الأعضاء داخل الجماعة واتجاهاتهم مطابقة لأحكام تنظيم الجماعة وذلك للأدوار التى يقومون بها. وفى كل نظام اجتماعى تتقيد حرية تعبير الأعضاء عن شخصياتهم بقوانين الجمعية ولوائحها وربما كان الجيش هو الجماعة التى تكون فيها أساليب السلوك أكثر خضوعاً للنظم واللوائح، وحتى فى الكلية ـ فإن كل فرد فيها من الطالب إلى العميد عليه أن يؤدى دوراً معيناً ـ وقد يكون هذا الدور مستقلا عن طبيعة تكوين شخصيته، ودرجة امتثال سلوك الجماعة لنظمها يمكن أن تقاس بمقياس التطابق مع النموذج المعترف به.

المعيار الخامس: العلاقات داخل الجماعة:

أما المعيار الخامس فهو نوع العلاقة التكوينية داخل الجماعة. وقد ميز البورت Allport بين الجماعة المتعاونة Co-acting حيث يؤدى الأعضاءأدوار متوازية ويستجيبون لمثير مشترك، وبين الجماعة المتفاعلة حيث يكون الأساس هو استجابة كل منهم للآخر وتنوع الجماعة كذلك من حيث عدد الأدوار المشتركة وأنماطها ومن حيث النظام التعاونى أو الاستبدادى السائد بين القادة والأتباع ومن حيث تعقد الأنظمة، ومن حيث تبلور مجموعة مشتركة من القيم والتصرفات.

حجم الجماعة وأشكالها:

أوضحت فيما سبق أن لفظ الجماعة يطلق على أى تجمع يضم فردين أو أكثر، وقد دلت الدراسات الحديثة فى مجال ديناميات الجماعة على أن حجم الجماعة وما ينتظمها من أفراد يؤثر فى نمط التفاعلات الاجتماعية التى تحدث داخلها ـ تماماً كما يؤثر على سلوك أفراد تلك الجماعات وعمليات اتخاذ القرارات ومن أشكال الجماعات:

أ ـ الجماعات ثنائية الأفراد:

يطلق على الجماعة التى تتألف من فردين فقط جماعة ثنائية الأفراد. وبصفة عامة تتسم التفاعلات الاجتماعية داخلها بالتعاون والإيجابية تبعاً لحجمها وقلة أفرادها، وتنمو الجماعة ثنائية الأفراد والتى تتكون بصفة تلقائية عن طريق التبادل الاجتماعى الذى يعنى تبادل الأخذ والعطاء بما يفيد التأثير المتبادل بين أولئك الأفراد إذ يبدو أن كل فرد قد يحس بالتفوق فى بعض مجالات حياته وبالنقص فى البعض الآخر.

ب ـ الجماعات ثلاثية الأفراد:

وتتألف تلك الجماعات من ثلاثة أفراد، وتوضح البحوث فى هذا الصدد أن مثل هذه الجماعات غالباً ما تكون غير مستقرة وتنمى المنافسة بين أفرادها، ولذا غالباً ما تنقسم إلى جماعة ثنائية الأفراد وشخص خارجى عادة ما يكون غير راض عما آل إليه حال الجماعة.

جـ ـ جماعات تتألف من أكثر من ثلاثة أفراد.

أوضحت دراسة الجماعات التى تتألف من أكثر من ثلاثة أفراد أنه كلما زاد حجم الجماعة زادت المنافسة داخلها، ومن ثم غالباً ما تحقق الجماعات التى تتألف من أربعة أو خمسة أفراد قدراً من الإشباع لأفرادها أكثر مما تحققه الجماعات الأكبر عدداً (٩ : ٣١٥-٣١٦).

كيفية تنمية الشعور بالانتماء إلى الجماعة:

يعتبر الشعور بالانتماء إلى الجماعة أحد المحكات الأساسية فى تماسك الجماعة، حتى أن أحد التعريفات التى تقدم لهذا المفهوم (مفهوم تماسك الجماعة) هو شعور الأفراد بانتمائهم إلى الجماعة وتحدثهم عنها بدلا من تحدثهم عن ذواتهم ـ وسيادة الود والولاء بين أفرادها ـ يعملون معاً فى سبيل هدف مشترك يكون الأفراد على أتم استعداد لتحمل المسئولية ـ ويكونون على أهبة الاستعداد للدفاع عن أنفسهم وعن جماعتهم ومن الأدلة على تماسك الجماعة:

ـ أحاديث الأفراد ـ مقاييس الصداقة ـ درجة انصياع أعضاء الجماعة لمعاييرها.

ـ احتفاظ الجماعة بتماسكها فى أوقات الأزمات ـ الحالة الانفعالية لأفراد الجماعة ـ المساهمة والانتظام فى نشاط الجماعة.

أ ـ أحاديث الأفراد: من علامات تماسك الجماعة ـ عبارات الشعور بالرضا، تردد كلمة نحن فى أحاديث الأفراد.

ب ـ مقاييس الصداقة : لاشك أن الصداقة تدعم تماسك الجماعة وتزيد من قدرتها على تطبيق معاييرها على الأفراد. ولكنها فى بعض الأحيان قد تعمل على الإقلال من صعوبات الاتصال بين الأفراد، ومن ثم فهى تسهم فى تعريف الأفراد بمعايير الجماعة.

جـ ـ درجة انصياع أعضاء الجماعة: المعايير التى تحدد قواعد السلوك وعدم مقاومتهم لهذه المعايير.

د ـ احتفاظ الجماعة بتماسكها فى أوقات الأزمات ـ لاشـك ـ أن الجماعات المنظمة تكون أقل عرضة للتفكك من الجماعات غيرالمنظمة فى حالات الإحباط ـ وفى حالة خروج أحد الأفراد عن إطارها المرسوم لها.

هـ ـ الحالة الانفعالية للأفراد: إذا افترضنا أن البيئة المباشرة «تؤثر فى الحالة

الانفعالية لأفراد الجماعة أمكن أن تأخذ هذه الحالة مقياساً لتماسك الجماعة.

و - المساهمة والانتظام في نشاط الجماعة : ويستدل ذلك بمقاييس عدة منها: درجة الغياب، ترك العمل، دفع الاشتراكات،... إلخ.

إلا أن هذه الأدلة ليست وحدها الدالة على تماسك الجماعة لارتباطها بعوامل أخرى، فالغياب مثلا قد يرجع إلى المرض، الخوف من العقاب، كما قد يرجع إلى نقص تماسك الجماعة.

طرق اتخاذ القرار فى إطار الجماعة:

يصف جوردن Jordan أربع طرق لاتخاذ القرار هى:

(١) التصويت Voting

(٢) الإجماع Consensus

(٣) تأجيل اتخاذ القرار Post Poning Decision

(٤) تفويض السلطة فى اتخاذ القرار

Delegation of Decision Making Authority

أولا ـ التصويت Voting

أسلوب شائع وطبيعى فى الجماعات الديمقراطية، يلجأ إليه أفراد الجماعة حين لا يكون هناك اختلاف حول الموضوع ـ ولا تجرؤ الجماعة على التصويت فى المسائل الهامة المختلف عليها.

وتشير بحوث جوردن فى هذا الموضوع إلى أن التصويت طريقة لا يعتمد عليها كثيراً فى الوصول إلى قرار فى (الجماعة المتمركزة حول الجماعة) أى الجماعة التى تتوزع فيها المسئوليات على أعضاء الجماعة بناءً على تخطيط صادر منهم ـ بدلا من أن يتمركز فى قائد الجماعة بصورة يغلب أن تكون مفروضة على الجماعة.

ثانياً ـ الإجماع Consensus

وهو تقديم اقتراح من جانب بعض الأعضاء ـ ويتبعها تقويم لها من جانب الأعضاء الآخرين ـ وتدور المناقشة إلى أن يحس الأعضاء بأن الجماعة على وشك اتخاذ القرار ـ ويتم ذلك بصورة مرنة جداً ـ وغير رسمية، ومعنى ذلك أن الجماعة هى التى تسيطر فعلا على اتخاذ القرار.

ثالثاً ـ تأجيل اتخاذ القرار Postponing Decision

وهى طريقة تتفق بها الجماعة على ألا تتفق ـ وتحمى الأقلية من إرادة الأغلبية، وتبقى على الجماعة، وتلجأ الجماعة إلى هذه الطريقة غالباً حين تحس أن هناك نزعة من جانب بعض الأعضاء إلى فرض سلوك معين يشارك فيها الكل. فقد يحدث فى مثل هذه الحالات وبالرغم من عدم اعتراض الجماعة على السلوك فى حد ذاته ـ إلا أنهم يقاومون محاولة فرض سلوك معين عليهم من جانب البعض منهم.

رابعاً ـ تفويض السلطة فى اتخاذ القرار:

Delegation of Decision Making Authority

كثيراً ما تلجأ الجماعة الديمقراطية لتيسير أعمالها والإسراع فى اتخاذ القرارات إلى تفويض سلطة اتخاذ القرار إلى فرد أو لجنة صغيرة تستطيع أن تتخذ القرار بسرعة أكبر، وكثيراً ما يكون ذلك فى ظروف خاصة.

وينبه كثير من الباحثين إلى أنه ليس من المعقول أن نتوقع من أعضاء الجماعة ـ أن يحسنوا اتخاذ القرار إذا لم تكن قد أعطيت لهم فرص سابقة لتحمل المسئولية. ذلك أن اتخاذ القرار مهارة يجب أن تتعلم ويجب توخى الصبر والمثابرة فى تعلمها فى المراحل الأولى.

اضطراب السلوك الجماعى، وعوامله

ـ لاشك أن تماسك الجماعة ضرورى لقيامها بعملها ولبقائها.

ـ إلا أن التنافس، العداوة، التفكك جوانب من السلوك الجماعى يصعب تجنبها نتيجة لتفاعل أعضاء الجماعة وما يتبع ذلك من صراع.

ـ وليس التنافس والصراع من العوامل السلبية دائماً ـ بل قد تكون عوامل بناءً وتنشيط ـ فالفرد الذى يكون اهتمامه بأهداف الجماعة ونشاطها سطحياً ـ يقل احتمال استثارته أو إحباطه نتيجة لفشل الجماعة.

ـ كما أنه ليس من الضرورى دائماً أن الجماعة المنشقة تضعف الجماعة الكبيرة، فقد يعمم فخر الجندى بفرقته إلى الفخر بالجيش كله.

ـ ولكن إذا تعارضت أحداث الجماعة المنشقة مع أهداف الجماعة الكبيرة ـ كان لنا أن نتوقع إضعافاً للجماعة الكبيرة.

أنواع اضطراب الجماعة:

تنقسم اضطرابات الجماعة إلى فئتين رئيسيتين:

الأولى : (١) تفكك الجماعة أو انقسامها إلى شيع متصارعة.

(٢) وانخفاض مستوى الروح المعنوية فيها.

(٣) وضعف قيادتها.

(٤) وانسحاب بعض أعضائها.

الثانية: الاضطرابات البسيطة التى تتميز بـ

(١) الهروب المؤقت من المجال.

(٢) العداوة بين الأشخاص.

(٣) الاضطراب العام ونشاط الجماعة، وسوف نتناول هذه الاضطرابات البسيطة بالشرح

الاضطرابات الجماعية البسيطة:

ـ وهو أكثر شيوعاً فى الجماعات المنظمة منه فى غير المنظمة.

ويتفق ذلك مع ما هو معروف من أن الجماعة المتماسكة التى تتسم بالشعور بالنحنية يغلب أن تزداد فيها المعارضة البناءة ـ وأن يشتد الصراع بين أعضائها دون أن يكون فى ذلك تهديد لبناء الجماعة، ثم إن العدوان يعبر عنه فى هذه الجماعات بصورة تمكن من تحويله إلى عمل منتج.

ـ وتنقسم هذه الاضطرابات إلى ثلاثة أقسام:

(أ) العدوان

(ب) الهروب المؤقت من المجال.

(ج) اضطراب عام فى نشاط الجماعة.

أ ـ العدوان:

ويأخذ صوراً متنوعة مثل: عدوان فرد على الآخر، إيلامه، سخريته له.

ويغلب أن يكون الأعضاء واعين بسلوكهم فى مثل هذه الحالات، ويساعدهم ذلك على أن يتجنبوا البحث عن (كبش فداء) بل قد يضحك الفرد من فشله ليخفف من توتره.

ب ـ الهروب المؤقت من المجال:

ويتمثل فى صورة انسحاب من محاولة حل المشكلة ـ أو محاولة تغيير المشكلة أو السلوك مسلكاً بديلا أو الفشل مثلا...، إلخ، وقد يلوم الأعضاء من يتخذونه (كبش الفداء) من بين الأعضاء.

ونظراً لأن هذا الهرب (هرب مؤقت) فهو لا يؤدى إلى انقسام الجماعة.

جـ ـ اضطراب عام فى نشاط الجماعة:

ويتمثل فى عدم التعاون، عدم التنسيق ولوم كل عضو للآخرين على فشله هو. وكل فشل جدى يتبعه اضطراب عام ولكنه مؤقت نتيجة لقدرة الأعضاء على أن يكفوا فى الوقت المناسب من لوم بعضهم للآخر.

عوامل اضطراب الجماعة

يمكن أن نلخص أهم عوامل اضطراب الجماعة فى فئتين :

الأولى: وتشمل ما يؤدى إلى تقييد أو إلى قطع الاتصال بين أفراد الجماعة.

الثانية: وهى العداوة بين الجماعات.

أولا ـ تقييد أو قطع الاتصال:

أوضحنا أن تماسك الجماعة يتأثر بعوامل عدة منها: درجة/نوع الاتصال فإذا حدد هذا الاتصال أو قطع يصعب على الأفراد أن يكون كل منهم فكرة عن الآخر، ومن ثم يبدأ كل فى التشكك فى نوايا الآخرين.

ولكن الاتصال المناسب الذى لا يكون فيه تهديد للأعضاء يقلل من شعور العداوة لأنه يشجع على المقارنة، ويعدل من اتجاهات بعضهم نحو البعض الآخر.

وخطورة تقييد الاتصال تكمن فى أنها تتدعم اجتماعياً ـ فهناك اتصال ولكنه محدود:

لذلك فإن الخصائص المشتركة تكون محرفة تبعاً لذلك نتيجة عدم الفهم فى العلاقات الاجتماعية ويدرك كل عضو الأعضاء الآخرين فى إطار من التهديد ومن ثم يستجيب بصورة دفاعية ـ العدوان.

(١) إذا انقطع الاتصال بين الجندى وقائده ـ ازداد احتمال سوء الفهم المتبادل وقلت كفاءة الجندى، حيث أن الأمور تقرر فى أهم ما يخصه دون أن يؤخذ رأيه.

(٢) ويمكن أن تنتج نفس الحالة بفعل (الاتصال الانتقائى) أى أن الفرد يتصل بالآخرين فيما يظن أن الآخرين يودون معرفته ـ أو يجب عليهم معرفته، وهو موقف يلزم كل شخص فيه بمبدأ (لا تتدخل فيما لا يعنيك).

(٣) كذلك فإن المرؤوس قد لا ينقل إلى رئيسه إلا المعلومات التى يرى أنها تحقق نقصاً له ـ أو أن الرسالة لا تنقل كاملة وبالتالى يكون هناك تناقص شعور كل فرد بالأمن.

ثانياً ـ العداوة بين الجماعات:

إذا لم تعمل جماعتان فى نفس الإطار المرجعى ـ وإذا لم تلتزما بنفس المعايير:

(١) فإن الكلمات والمفاهيم يصبح لها معانى مختلفة.
(٢) ويزداد الاحتمال فى قيام شعور العداوة بين الجماعتين.
(٣) وتبدأ كل جماعة فى تحريف دلالة سلوك الأخرى.
(٤) وينقطع أو يقل الاتصال بين الجماعتين.

ونحن نعلم أن العداوة فى المواقف الواقعية سلوك متعلم ذلك أن لدينا الطاقة الانفعالية للكراهية أو الشعور بالعداوة نحو الآخرين ـ ولكن الشعور بالعداوة أو إظهارها فعلا نحو الآخرين أمر متعلم مكتسب. فكما يحدث فى مواقف التعلم نحن ننتقى الناس الذين نستجيب لهم بشعور معين دون الآخرين.

تماما كما نتعلم الاتصال بجماعات دون الأخرى ـ فنحن نتصل بالأفراد الذين يشبهوننا وبالجماعات التى تشبه جماعتنا من حيث اللغة والمعايير... إلخ.

ونظراً لأن العداوة متعلمة ـ فإنه يمكن التخلص منها عن طريق إحلال نوع بديل من التعلم ولا يتم ذلك إلا حين يكون هناك عامل أو اتصال بين الأعضاء والجماعات.

(٣) العوامل المؤدية التى تقدم الفرد وارتقائه:

لاشك أن تحقيق الذات Self-actualization طريقة لتحقيق الأهداف الفردية موضوعيا فى وجود الآخرين.

فالشخص السوى يرغب فى الانتماء إلى الجماعات لأنها تهيىء له الفرص لكسب تقدير الآخرين عن طريق استغلال امكاناته.

ويتوقف تحقيق الذات فى العلاقات الاجتماعية على قدرة الفرد على أن يرتبط بالاخرين دون أن يشغل نفسه بما يظنه الآخرون عنه.

فالشخص الذى يحقق ذاته يتوحد بسهولة مع الآخرين دون أن يفقد فرديته، فهو مهما كان مستقلا فهو دائماً فى علاقات معقدة مع غيره من

الناس. وأن الجماعة مهما كان سيطرتها على الفرد فهى دائماً معتمدة عليه.

ويتميز سلوك الفرد فى تحقيق ذاته بدرجة عالية من التلقائية فى معالجته للمشكلات التى يواجهها مع الآخرين.

ولا يتحقق الارتقاء للذات عن طريق تحقيق الذات فقط ولكن عن طريق المحافظة على اتساق الذات Self-Consistency.

فالشخصية السوية هى التى تجد الإشباع ـ واحترام الذات فى اتساق الأفعال والاتجاهات. ثم إن الفرد يقاوم أى مطالب من جانب الجماعة لا تتفق مع صورة الذات.

وقد وجد أن القدرة على العمل البناء مع الآخرين تستمد جزئياً من الثقة بالذات وتتولد هذه الثقة فى جو من الحرية فتؤدى إلى الثقة فى الآخرين ومن ثم إلى تحسين العلاقات الاجتماعية.

فى مواقف القتال خلال الحرب قد لا يتحقق احترام الذات إلا عن طريق الاندماج الكامل فى الجماعة ذلك لأن صفة الفرد تكون متوقفة على سلوك الآخرين، فهو يشعر بالولاء التام لهم ويتركز اتساق الذات فى هذه الحالة فى صورته عن ذاته بوصفه عضواً يدين بالولاء التام لزملاءه فى المعركة.

يتضح هنا أهمية البحث الشخصى فى السلوك الجماعى ـ أنه لكى تقوم الجماعة وتعمل وتبقى يتحتم أن يقبل أعضاءها بعضهم البعض الآخر ولو فى حدود معينة ـ فلكى يحدث اتصال بين الأعضاء يجب أن يكونوا قادرين على الارتباط بعضهم بالبعض الآخر. بدرجة معينة من التقبل ـ والتقارب المتبادلين ـ ويختلف الأفراد على هذه السمة تبعاً لمبدأ الفروق الفردية بوصفها عوامل سيكولوجية هامة فى السلوك الاجتماعى ـ ومعظم العلاقات الإنسانية.

(٤) العوامل المعوقة لتقدم الفرد وارتقائه:

وهى سمات تعمل على أن تضيق بدرجة ملحوظة مدى تفاعلات الفرد وهدم الذات والجماعة.

وهذه العوامل المعوقة عميقة الجذور فى الشخصية وتتسم بالجمود.

(أ) عزل الذات Self Isolation

من العوامل المعوقة ويتراوح مداها من الاتصالات العارضة إلى الانزواء التام، وتتميز عزل الذات بنقص فى الحساسية نحو مشاعر الآخرين وأفعالهم. ونقص فى القدرة على تصور مشاعر الآخرين وأفعالهم وأفكارهم.

يؤدى هذا إلى تعذر حركة الجماعة بصورة فعالة سواء أكانت هذه الحركة فى صورة حل مشكلة أو تعلم أو إنتاج أو تعديل فى الأهداف أو الاتجاهات.

ولاشك أن عزل الذات له تأثيره على كل من الفرد ـ والجماعة ـ فالتفاعل أكثر من مجرد اتصال بين شخصين إذ يعطى كل فرد شيئاً من ذاته للآخر ـ ويتأثر كل منهما نتيجة لهذا التفاعل.

مثال : فى المحادثة التلقائية ـ وهى ظاهرة جماعية قد تأخذ عزل الذات صوراً متعددة منها:

أ ـ الانشغال بموضوعات خارجية (أمور سابقة أو تالية للمحادثة أو نشاط غير متصل بالموضوع).

ب ـ الشعور بالذات: أى توجيه انتباه الفرد نحو ذاته بدلا من توجيه انتباهه إلى المحادثة.

جـ ـ الشعور بالتفاعل : وهو شبيه بالشعور بالذات إلا أنه يتم على نحو شعورى.

د ـ الشعور بالآخر: وفيه يتشتت انتباه الفرد من محور المحادثة ليتركز على شخص آخر مشترك فيها تظاهراً بالاهتمام أوتعبيراً عن عاطفة حزينة

هذه الصور السابقة من صور عزل الذات تكون غالباً سبباً فى إيذاء مشاعر الآخرين، وإحداث الاضطراب فى صفوف الجماعة، كما أن الشخص الذى يتسم بها يواجه مقاومة عنيفة من الآخرين.

الروح المعنوية

يعرف بونر «الروح المعنوية» بأنها تقبل كل عضو للآخر وهى تتميز بالتجاذب بين أعضاء الجماعة.

وتقوم الروح المعنوية بدور العامل الوسيط والمدعم لروح الفريق (الشعور بالانتماء إلى الجماعة ـ مشاعر التوحد الجماعى).

والروح المعنوية: عامل هام فى استمرار الجماعة وصيانتها فى وجه الصعوبات، وقوى التفكك حيث تسهم فى التنظيم الداخلى للجماعة وتأكيد وحدة السلوك.

وفى تجربة عن «الأجواء الاجتماعية» تبين أن الجماعة الديمقراطية تتميز بمستوى عال من الروح المعنوية، ومن الممكن أن تتسم الاتوقراطية بروح معنوية مرتفعة إذا كانت متماسكة.

وفى دراسة لقسم الروح المعنوية بالجيش الأمريكى خلال الحرب العالمية الثانية. وكانت الدراسة جزءاً من مسح يهدف إلى تحديد تأثير إلقاء القنابل على المدنيين فى ألمانيا ـ وقد أوضحت الدراسة وجود ارتباط وثيق بين مستوى الروح المعنوية (كما تقاس عن طريق الموافقة / عدم الموافقة على التسليم بدون قيد أو شرط) وبين قدرة المدنيين على تحمل التخريب الشامل للمرافق العامة وخاصة المواصلات، وقد وجد أن الروح المعنوية بين النازيين كانت أعلى بكثير من مستواها بين غير النازيين ـ أى أن النازيين أظهروا تماسكاً جماعياً داخلياً أقوى مما أظهره غير النازيين.

ومن الخصائص الهامة فى الروح المعنوية ـ جانبها الشخصى ـ أى استغراق الذات فى قيم الجماعة وفى مناشطها استغراقاً يحول هذه القيم ـ

وهذه المناشط الجماعية ـ إلى قيم ومناشط شخصية عميقة، فالناس يحاربون في سبيل جماعتهم ويشعرون بالولاء الشديد لبلدهم لا نتيجة لضغوط اجتماعية فقط ولكن بسبب اهتمامهم بوصفهم أشخاصاً ـ بشيء يقدسونه ويجلونه ـ فأي هجوم أو نقد على أي منهم يستثير فيهم استجابة شخصية وجماعية، يؤكد هذا صدق القول بأن الفرد والجماعة لا يمكن فصل إحداهما عن الآخر في مجال العلاقات الاجتماعية.

نتتهى من ذلك

أن روح الفريق والروح المعنوية واستغراق الذات في مناشط الجماعة ضروريان لتماسكها. وبدون هذه العناصر الثلاثة قد تقوم الجماعة وقد تعمل. ولكنها لن تبقى كثيراً.

دراسات وبحوث في مجال ديناميات الجماعة:

أوضحنا فيما سبق أن فهم السلوك الاجتماعي للفرد يقتضي فهم الجماعات المختلفة التي ينشأ فيها ويمارس أنشطته المختلفة من خلالها، كما يقتضي فهم القوى النفسية التي تعمل داخل تلك الجماعات، وكذلك يقتضي منا فهم طبيعة التفاعل الاجتماعي الذي يسود داخل تلك الجماعات ونتائج ذلك التفاعل على شخصية الأفراد وسلوكهم واتجاهاتهم عامة، ومن هنا تبرز العلاقة بين ديناميات الجماعة وديناميات الشخصية، فهي علاقة وثيقة، وكل منهم إنما يشكل إطاراً لفهم سلوك الفرد في جوانبه المختلفة، وبالتالي يتيح لنا تفسيره والتنبؤ به وبالتالي إمكانية السيطرة على هذا السلوك وتوجيهه لما يكفل التوافق النفسي والاجتماعي للفرد وبالتالي تحقيق التماسك والازدهار للمجتمع.

وفي هذه الفقرة نعرض لعدد من الدراسات والبحوث المصرية والتي أجريت في مجال ديناميات الجماعة، نستطيع أن نلمح فيها ثلاثة محاور أساسية وهي:

أ ـ دراسة الجماعة نظرياً وتطبيقياً، والاستجابة للمطالب الملحة لها.

ب - مقومات نجاح العمل الجماعى.
جـ - أحكام الأفراد، ومدى تأثرها بالعوامل الاجتماعية والجماعية.

وفيما يلى عرض لتلك الدراسات والبحوث تستند فيها إلى منهج الدراسة ونتائجها.

(١) البناء السوسيومترى وبناء القوة فى قرية عربية، لويس كامل مليكة، ١٩٦٣ :

ويدور البحث حول الجماعة الريفية والقيادات الريفية ويهدف إلى الكشف عما إذا كانت توجد فى مجتمع القرية جماعات من الراشدين الذكور لها معالم واضحة محددة، وأسس قيام هذه الجماعات، كما يهدف إلى التعرف على خصائص البناء السوسيومترى فى هذا المجتمع متمثلا فى اختيارات القرويين فى عدد من المواقف وخصائص بناء القوة فى هذا المجتمع، كما يتمثل أيضاً فى «القوة المنسوبة» لكل فرد من أفراد هذا المجتمع، وكما يتمثل فى تحديدهم لمن يطلبون رأيه فى عدد معين من المجالات، وخصائص القادة المختارين فى ضوء المحكات السوسيومترية، ودرجة العمومية أو الموقفية فى هذه القيادات. وقد طبق الاستبيان السوسيومترى على كل الراشدين الذكور فى القرية. وناقش البحث دلالات النتائج فى ضوء نظريات القيادة ومن وجهة نظر الأخصائيين فى تنمية المجتمع وفى التوعية القومية وفى التنظيمات الشعبية (٥ : ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٥١).

(٢) دراسة تجريبية فى وظيفة ووظيفية جماعة صغيرة، د. أحمد فائق، ١٩٦٣م:

نستعرض هنا نتائج بحث أراد أن يختبر فيه تشابك العلاقات بين ما أسماه «وظيفة الجماعة» أى أن بناء الجماعة يخدم وظائف خاصة لأعضائها، و«وظيفية الجماعة» أى أن بناء الجماعة يخدم وظيفة خاصة بها. وبين تفضيل الشخص إيجاباً وسلباً للآخرين فى نشاط رسمى وغير رسمى،

وتوقعات الشخص لاختيارات الآخرين له إيجاباً وسلباً في نشاط رسمي وغير رسمي.

وقد حدد الباحث فروض البحث ثم اختبرها في جماعة طلابية من عشرة أشخاص من الذكور والإناث. وذلك بعد أن حدد أوزان الاختبارات واستوثق من ثبات القياس. وقد ناقش نتائج البحث وقارن بين «وظيفة» الجماعة و«وظيفتها» في كل من المجالين: التلقائية والابتكارية، وربط بين هذه النتائج وواقع الجماعة وهو أن نشاطها الرسمي سابق على تكوينها. وقد قدم الباحث في هذه الدراسة عدداً من الفروض المفيدة يمكن الاهتداء بها في فهم ديناميات الجماعة الصغيرة، وبخاصة من حيث تحقيقها أو تعطيلها لتلقائية عضو الجماعة وابتكاريته. كما يمكن الاستعانة بها في تشخيص الموقف الجماعي من حيث درجة الاتزان ودرجة التفكك. (٥ : ٣٢٤، ٣٥٢-٢٧٢).

(٣) العلاقة بين التوافق والتحصيل الدراسي لدى مجموعة من الطلاب الجامعيين، محمود الزيادي، ١٩٦٤:

نعرض هنا نتائج بحث قام به د. الزيادي في العلاقة بين التوافق والتحصيل الدراسي لدى مجموعة من الطلاب الجامعيين فبعد أن عرض لمختلف وجهات النظر في تعريف التوافق السوي، استقر على تعريف قائم على مفاهيم التحليل النفسي، وقد استخدم هذا التعريف في إعداد مقياس للتوافق الدراسي لطلاب الجامعات تدور أسئلته حول حياة الطالب الجامعية في ستة مجالات ثلاثة منها تختص بدرجة التعاطف والود والصداقة مع الآخرين ومدى استمتاع الطالب بهذه العلاقة وسعادته بها. ثم قام بتطبيق المقياس على عينة من الطلاب وأضاف درجة نجاح الطالب في نهاية العام، وقام بإجراء تحليل عاملي. وكان الفرض الذي هدف إلى تحقيقه هو أن التوافق النفسي السوي لدى طلاب الجامعات يعتمد على العلاقات الإنسانية الطيبة والكفاية الإنتاجية الطيبة دون أن يطغى أي من هذين الشقين على

الآخر. وقد أسفر التحليل عن عاملين أسمى أحدهما «العامل الاجتماعى» وأسمى الثانى «العامل اللا اجتماعى» وخرج من هذا التحليل بما يؤيد الفرض. والمرجو أن تسهم نتائج هذه الدراسة فى تصحيح الصورة التى تعلق بالأذهان أحياناً عن الطالب «الاجتماعى». كما أنها تقدم لنا أداة يمكن الاستعانة بها فى تبين جانب من جوانب توافق الطالب الجامعى وتنبهنا إلى الحاجة الشديدة إلى تهيئة الجو الجامعى المناسب لتحقيق هذا التوافق. (٥: ٣٣٤-٣٣٥، ٣٧٣-٣٨٥).

(٤) قياس الروح المعنوية عند طلبة المدارس الثانوية والمعاهد العليا، د. محمد نسيم رأفت:

نعرض فى هذا الجزء نتائج بحث فى الروح المعنوية عند طلبة المدارس الثانوية والمعاهد العليا أثناء العدوان الثلاثى وبعده. وقد أعد لهذا الغرض استفتاء طبق على عينة من ١٣٥١ طالباً وطالبة، وأراد أن يعرف من خلال تطبيقه مستوى الروح المعنوية والعناصر التى كانت مرتفعة عن غيرها. والفروق بين الجنسين وبين طلبة المعاهد العليا وطلبة المدارس الثانوية، والفرق فى المستوى بين طلبة القنال وباقى طلبة القطر. وأسفرت نتيجة التحليل العاملى لمعاملات الارتباط بين العناصر المختلفة للاستفتاء عن عامل أول يعبر عن الروح المعنوية العامة ويمثل الاتفاق الداخلى بين عناصرها، ويعبر العامل الثانى عن الناحية العاطفية الخالية من الفاعلية. وهو ذو قطبين، كما كشف البحث عن بعض فروق بين الجنسين وبين أفراد البحث من منطقة القناة وغيرها من المناطق. إلا أن النتائج تدل على أن جميع الطوائف كانت تتمتع بروح معنوية عالية أثناء العدوان. (٥ : ٣٣٥، ٣٨٦-٤٠٠).

(٥) تأثير الحياة المشتركة فى مركز التدريب على تنمية المجتمع، د. لويس مليكة، ١٩٦٤:

ونقدم هنا نتائج بحث استخدمت فيه الأساليب السوسيومترية ويهدف إلى التعرف على تأثير خبرات الدراسة والعمل والحياة فى مركز التدريب

على تنمية المجتمع فى العالم العربى (سرس الليان، منوفية، الجمهورية العربية المتحدة) على العلاقات بين المبعوثين إليه من مختلف البلاد العربية، كما يعبر عنها فى الاختيار السوسيومترى، وهل يختلف نمط البناء السوسيومترى من موقف لآخر. وما هى العوامل الهامة التى تسهم فى إحداث التغير فى البناء السوسيومترى إن وجد. وقد طبق فى هذا البحث استبيان سوسيومترى على المبعوثين إلى المركز فى ثلاثة أفواج. وذلك بعد التحاقهم بالمركز وقبل تخرجهم فيه. وقد كشفت النتائج عن أنماط التغير فى البناء السوسيومترى، وأوضحت الدور الذى تلعبه بعض العوامل المحددة لهذا التغير وأهمها الأسباب التى يذكرها المبعوثون أنفسهم، والمستوى التحصيلى للمبعوث، واتجاهه نحو العمل الجماعى، وجنس المبعوث، وجنسيته، ونسبة الاهتمام بفريق القرية الذى ينتمى إليه، وهى كلها عوامل يجب اعتبارها فى رسم برنامج الدراسة والتدريب فى المركز. (٥ : ٣٣٥-٣٣٦، ٤٠١-٤١٧).

(٦) الحاجة المتزايدة للقيادة الإدارية، مختار حمزة، ١٩٥٩:

وفى هذه الدراسة يقدم الباحث نتائج بحث هدف منه المقارنة بين مجموعة من الإدارات التى تتميز بوفرة الإنتاج نسبياً، ومجموعة تتصف بقلة الإنتاج نسبياً. وقد أعد لهذا الغرض استفتاء تتضمن أسئلته معظم عناصر الإشراف والقيادة التى افترض أنها عناصر ذات أثر فعال فى الإنتاج، وتفرق بين القيادة الناجحة وغير الناجحة. وقد ناقش نتائج تطبيق الاستفتاء فى ضوء مقابلات شخصية أجراها مع المديرين الذين ساهموا فى ملء الاستمارات. وهى نتائج تتفق إلى حد بعيد مع نتائج البحوث التى أجريت فى هذا الموضوع فى البلاد الأخرى من حيث خصائص القيادة الناجحة والقائد الناجح. كما أن هذه النتائج جديرة بالعناية والدرس من جانب المديرين والمسئولين عن اختيارهم وتدريبهم، فضلا على دلالات البحث فيما يتصل بنظرية القيادة (٥ : ٣٣٦، ٤١٨-٤٧٨).

(٧) القيادة فى قرية مصرية، د. محمود عودة، ١٩٦٦:

تتناول تلك الدراسة ظاهرة القيادة فى إحدى قرى دلتا النيل (محافظة المنوفية)، وقد استهدفت الدراسة تحديد الصورة العامة للقيادة فى مواقفها المتعددة فى القرية، كما استهدفت الكشف عن أبنية القوة والاتصال وقيادة الرأى وقيادة التمثيل وقيادة المبادرة وبناء العلاقات الانفصالية، والتوصل إلى العوامل المحددة لكل من هذه الأبنية.

وقد اختار الباحث اختياراً عشوائياً عينة بنسبة ٢٠٪ من الذكور الراشدين فى القرية وبلغ عدد أفرادها ١٢٠ ثم طبق عليها استبياناً من أسئلة تهدف إلى الكشف عن القادة فى المواقف السابقة المختلفة، واعتبر ربع الأفراد الذين حصلوا على أكبر عدد من الاختيارات فى كل موقف هم القادة فى هذا الموقف، ثم استخرج الرتبة القيادية العامة لكل شخص بجميع الاختيارات الممنوحة له فى جميع المواقف، وقام بتحليل خصائص القادة فى المواقف المختلفة على أساس متغيرات السن والمستوى التعليمى والمكانة الاقتصادية وعضوية الجماعات المختلفة واحتلال مركز وظيفى.

وقد قسم الباحث المجموعة القيادية العامة إلى ثلاثة أقسام: قيادات القمة، القيادة المتوسطة، والقيادة الضعيفة وذلك طبقاً لمدى الاختيارات الموجهة لأفرادها. وقد وضح له أن قيادة القمة تضم مجموعة مغلقة ومتصلة سواء عن طريق قرابة الدم أو المصاهرة، وتتداخل فيها النماذج الرسمية وشبه الرسمية وغيرالرسمية، فضلا عن أن القرويين يدركون أفرادها فى موضع القيادة فى كل المواقف، أما القيادة المتوسطة فتضم أشخاصاً يحتلون مكانة قيادية فى موقف أو فى موقفين على الأكثر، وقد خلص الباحث من تحليله لخصائص القادة فى بناء القوة على أساس المتغيرات التى اختار دراستها إلى نتائج لها دلالاتها من الناحيتين النظرية والتطبيقية. (٦: ٢٤٥-٢٤٦، ٢٥٠-٢٦١).

(٨) العلاقة بين نمط العضوية في الجمعية التعاونية وبعض الأبعاد الجماعية، (محمد نصرت، خيرت أبو السعود، محمد نوار):

ويعالج نصرت وأبو السعود ونوار في هذه الدراسة مشكلة لها دلالتها البالغة في ترشيد الحركة التعاونية في مجتمعنا، وهي الحركة التي ينعقد حولها الكثير من آمالنا في تحقيق أهداف التنمية. وهذه المشكلة هي تأثير الاختلاف في نمط العضوية في الجمعية التعاونية (اختياري وإجباري غير كامل وإجباري) في عدد من المتغيرات الجماعية مثل التماسك والمواظبة على ممارسة مناشط الجمعية، والشعور بالرضا عن خدمات الجمعية،... إلخ. وبعد أن وضع الباحثون الفروض، أعدوا مقاييس للتماسك ولتحديد درجة رضاء الأعضاء عن خدمات الجمعية، ولقياس المتغيرات الأخرى (التابعة) في البحث... وقد طبقت هذه المقاييس على ٣٠٠ عضو في الجمعيات التعاونية في محافظة الجيزة، تم اختيارهم على أساس طبقي عشوائي ومنتظم بواقع مائة عضو من جمعيات كل نمط من أنماط العضوية الثلاث (المتغير المستقل) . وقد نقصت العينة إلى ٢٥٦ عضواً بعد إلغاء بعض الاستمارات نتيجة تضارب بياناتها أو تخلف أصحابها.

وقد أوضح التحليل الاحصائي للنتائج أن جمعيات النمط الاختياري أشد جذباً (تماسكاً) من جمعيات النمطين الآخرين بصورة دالة. كما كشفت النتائج عن بعض فروق نوعية لها دلالتها بين الأنماط الثلاث من حيث فعالية بعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي يعمل بعضها بوصفها قوى جذب، ويعمل البعض الآخر بوصفها قوى تدفع الأعضاء للمواظبة والانتظام في مناشط الجمعية. ويخلص الباحثون من كل ذلك إلى أن مقومات الاستمرار والفعالية في الجمعية التعاونية تزداد احتمالاته في جمعيات النمط الاختياري عنه في جمعيات النمطين الآخرين: الإجباري والإجباري غير الكامل. وتتفق هذه النتيجة مع الكثير من نتائج بحوث ديناميات الجماعة في مجال تماسك الجماعة (جاذبيتها) . كما أن النتائج

جديرة بكل الاهتمام فى تخطيطنا وفى تنظيمنا للنشاط التعاونى. (٦ : ٢٤٦-٢٤٧، ٢٦٢-٢٧٩).

(٩) دور المناقشة الجماعية فى تخفيض مستوى القلق: دراسة تجريبية، أ.د. صفاء الأعسر:

تقدم أ.د. صفاء الأمر نتائج دراسة تجريبية قامت بها بهدف تقدير كفاءة بعض الإجراءات العلاجية المستمدة من مواقف العلاج التقليدى فى تخفيض مستوى القلق، وذلك فى مجموعات من طالبات المدارس الثانوية من الأسوياء، ولكن من ذوى الدرجات المرتفعة على عامل القلق.

وقد كانت هذه الإجراءات هى :

١ـ تقديم معلومات عن القلق.

٢ ـ مناقشة أفراد الجماعة فى مشكلات يختارونها دون تدخل القائد.

٣ ـ تعبير أفراد الجماعة عن مشكلاتهم بالكتابة عنها.

وقد استخدم اختبار للقلق لتحديد مستواه لدى أفراد العينة وعددها ١٧٤ طالبة، اختير منهن أربعون طالبة حصلن على الدرجات العالية فى الاختبار، وقسمن عشوائياً إلى أربع مجموعات متكافئة: ثلاث منها تجريبية والرابعة ضابطة. وقد أخضعت كل مجموعة تجريبية لأحد الإجراءات العلاجية الجماعية، ولم تخضع المجموعة الضابطة لأى إجراء، وبعد ذلك طبق اختبار القلق على المجموعات الأربع لمعرفة مقدار التغير فى مستوى القلق، ثم أعيد تطبيقه مرة أخرى بعد ٤٠ يوماً لمعرفة درجة ثبات النتائج.

وقد أسفرت نتائج البحث عن أن الإجراء العلاجى الجماعى الأول، وهو تقديم معلومات عن القلق أدى إلى خفض مستوى القلق وحتى بعد توقف تقديم هذه المعلومات بأربعين يوماً: أما الإجراء الثانى وهو مناقشة الجماعة لمشكلاتها، فقد أدى إلى خفض مستوى القلق، ولكن هذا الانخفاض لم يستمر بل عاد للارتفاع بعد أربعين يوماً. أما الإجراء العلاجى الثالث: تعبير الأفراد عن مشكلاتهم بالكتابة، فلم ينتج عنه أى تغير فى مستوى القلق.

وتفسر الباحثة هذه النتيجة على أساس أن الفرد فى الموقف العلاجى الأول ينشط انفعاليًا وعقليًا فى حين أنه فى موقف المناقشة يغلب النشاط الانفعالى، وفيه يقتصر على تقديم حلول ومقترحات قد تتفق أو تتعارض، دون أن يكون لصاحب المشكلة دور كبير فى حلها ودون أن يصاحب التفاعل الوجدانى نمو فى التفكير المنطقى فى المشكلات، وتتحفظ الباحثة، فتقصر هذا التفسير على موقف المناقشة دون تدخل القائد. والحقيقة أن هذه النتيجة جديرة بأن تثير الكثير من الأسئلة، وفى مقدمتها حقيقة الدور الذى يمكن أن يلعبه العامل الحضارى فى التوصل إلى هذه النتيجة، وهل يحتمل أن يكون الجو الاجتماعى ـ الحضارى السائد ـ وهو جو يغلب أن يتسم بالحاجة إلى الاعتماد على نماذج السلطة ـ أثره فى هذا المجال. هذا وقد عرضت الباحثة نتائج تحليل جلسات المجموعة التجريبية التى ناقشت مشكلاتها دون تدخل القائد، وهو تحليل يوضح فى نموذج حى، طبيعة التفاعل الذى تم بين أفرادها، كما أن الباحثة تقدم للتجربة بعرض طيب لديناميات عملية العلاج الجماعى. (٦ : ٢٤٧-٢٤٨، ٢٨٠-٢٩٣).

(١٠) أثر تقدير الذات وتصور تقدير الآخر على سوسيومترية جماعة صغيرة، د. أحمد فائق، ١٩٦٣ :

يتابع د. مليكة فى عرضه لهذه الدراسة تحليله لنتائج دراساته فى وظيفة ووظيفية الجماعة الصغيرة، فيتصدى لحل مشكلة لها دلالاتها المنهجية فضلا عن مضمونها، وهى: هل يتأثر الاختيار السوسيومترى للأفراد على أساس التلقائية والابتكارية بتقدير الذات وتقدير الآخر. وقد أدى إلى تساؤله هذا ما استنتجه من أن أفراد جماعة الدراسة يميلون إلى إقامة علاقاتهم على أسس لا تثير فيهم القلق، ويعبرون عن العلاقات الابتكارية (التنافس) التى تستثير فيهم هذا القلق.

وتكتسب مشكلة البحث أهميتها من أهمية دراسة الباحث لتقدير الذات، ولتقدير الآخر لذات الشخص، وتصور الشخص لتقدير الآخر له،

وذلك لتعميق فهمه للعلاقات السوسيومترية وقد ناقش الباحث مناقشة ناقدة كلا من هذه الأبعاد الثلاثة فى ضوء الدراسات والتجارب السابقة، وحدد موقفه من كل منها وقد هيأ له ذلك مدخلا إلى تجربة هدف منها إلى الكشف عن قواعد واضحة لعلاقة الاختيار والرفض فى الجماعة الصغيرة بتقديرات الذات والآخر.

وقد بدأ الباحث بتحديد الصفات الممكنة لتقدير الذات والآخر، وذلك عن طريق استفتاء عينة من الطلبة والطالبات على مراحل انتهى منها إلى ست وأربعين كلمة نصفها موجب فى وصفه للذات ونصفها الآخر عكسى وسالب فى وصفه لها، وصيغت من هذه الصفات بعد ضمها بطريقة عشوائية ثلاث صور: الأولى يقدر الشخص ذاته عليها، والثانية يقدر عليها أربعة أشخاص مختارين من أعضاء جماعته الصغيرة، والثالثة يتصور فيها تقدير زملائه الأربعة له على نفس قائمة الصفات. وقد كشفت المعالجة الاحصائية للنتائج عن أن الاختيار السوسيومترى يقوم على أسس غير عفوية وإن كانت لا شعورية فى أغلب الأحيان. ويتأثر هذا الاختيار بعلاقة تقدير الشخص لذاته بتصوره لتقدير الآخر له.(٧ : ٢٤٨-٢٤٩، ٢٩٤-٣١٣).

(١١) أثار السياق الاجتماعى والفيزيائى فى الحكم الإدراكى، د. سيد عثمان، د. فؤاد أبو حطب، ١٩٧٤:

يقدم الباحثان فى بحثهما نتائج تجربة قاما بها فى مصر على عينات مصرية، وتمثل امتداداً لخط ثرى عالمى من البحوث الأساسية فى ديناميات العمليات المعرفية بعامة وفى الحكم الإدراكى بخاصة، وقد استهدف الباحثان فى التجربة تعقيد تأثير اتفاق الجماعة على حكم الفرد الإدراكى، والفرق بين حكم الفرد الذى يتم فى موقف جماعى عن ذلك الذى يتم فى موقف فردى، وما هى تأثيرات الخصائص الفيزيائية للسياق على هذا الحكم.

وبعد أن استعرض الباحثان الدراسات والبحوث السابقة، توصلا إلى صياغة ثلاثة فروض تتصل بموضوع البحث، ويتناول أولها تأثير الحكم

الإدراكي للفرد باتفاق الجماعة ويتناول الثاني اختلاف هذا الحكم عن ذلك الذي يصدر في موقف فردي. بينما يتناول الفرض الثالث تأثير السياق الفيزيائي للمثيرات في الحكم الإدراكي. وقد وضعا هذه الفروض موضع الاختيار التجريبي. فصمما تجربتين طلب فيهما من ٤٠ من المدرسين من طلاب الدراسات العليا الحكم على أطوال خطوط في ٤ قوائم تبعاً لمقياس تقدير. وقد استهدفت التجربة الأولى تحديد تأثير اتفاق الجماعة على الحكم الإدراكي لعضوها الخامس الذي لم يكن على معرفة بهذا الاتفاق «المفحوص الغر» والذي طلب منه الحكم على أطوال الخطوط مرة في حضور الجماعة ومرة بعدها بأسبوع وهو منفرد. وفي التجربة الثانية كان يطلب من كل عضو من أعضاء الجماعة إصدار الحكم من خلال المشاركة في المناقشة مرة، ثم بعدها بأسبوع وهو منفرد.

ولم تدعم نتائج التجربتين الفرضين الأول والثاني المرتبطين بتأثير ضغط جماعتي الاتفاق والمناقشة. ولكنها دعمت الفرض الثالث المرتبط بآثار السياق الفيزيائي والفروق بين المثيرات ومن المحقق أن هذه النتائج رغم سلبية بعضها، إلا أنها جديرة بأن تسهم في التوصل إلى تحديد أدق للشروط والخصائص التي تنتج آثاراً إيجابية أو سلبية في أحكام الفرد. وقد ناقش الباحثان من هذه الشروط العوامل المرتبطة بالمثيرات المستخدمة وبالمفحوصين وبالآثار الثقافية في الأداء التجريبي.

ولعل نتائج هذه التجربة تؤكد مرة أخرى خطورة الأخذ بنتائج وتجارب تجرى في ثقافات أخرى قبل التحقق التجريبي من صدقها في ثقافتنا، كما أنها تمثل في نفس الوقت إسهاماً عربياً يثرى خط التجارب العالمية بما يضيفه إليها من تأكيد لدور المتغيرات الثقافية. بل لعلنا لن نكون مبالغين إذا قدرنا أن تكرار مثل هذه التجارب في ظروف متغيرة قد يسهم في إعادة التوازن في نظرنا إلى الدور النسبي لكل من الفرد والجماعة في الحكم الإدراكي. (٧ : ٧٣-٧٤، ٧٧-٩٧).

(١٢) الإبداع والحضارة، دراسة تجريبية من خلال التنشئة الأسرية للإناث، د. ناهد رمزى:

تستمد الدراسة التى تقدمها الباحثة هنا أهميتها من أن موضوعها وهو الإبداع هو جوهر التغير الاجتماعى والحضارى، ويصعب أن نتصور إبداعاً دون تحرر وتلقائية وانطلاق، ومن ثم فإنه يمكن افتراض أن انطلاق ونمو القدرات الإبداعية فى مجتمع ما يتأثر بالمستوى الحضارى للمجتمع ودرجة تفتحه على المجتمعات الأخرى واتصاله بها. وأن ذلك يتأثر بأسلوب التنشئة الاجتماعية.

وقد اختارت الباحثة للتحقق من هذه الفروض عينات ومجتمعات لها دلالتها البالغة من حيث امكانية القاء الأضواء على موضوع البحث، وهى عينات من طالبات المرحلة الثانوية، كما اختارت ثلاثة مجتمعات يفترض تفاوتها فى مستوياتها الحضارية داخل المجتمع المصرى، وهى محافظات القاهرة وبنها وسوهاج.

واستعانت الباحثة فى جمع بيانات البحث ببطارية شملت: اختبارات القدرات الإبداعية (الأصالة، الحساسية للمشكلات، المرونة، الطلاقة، مواصلة الاتجاه)، ومقياساً للتفاعل الاجتماعى تضمن ثلاثة أبعاد (الحرية، التقييد، التقارب، التباعد، التحرر، المحافظة) وقد خصصت جزءين مستقلين لكل من الأم والأب، ثم قامت بإجراء تحليل عاملى لبنود كل من مقياس الأب والأم، وتوصلت نتيجة هذا التحليل إلى ثمانية مقاييس للأب وعشرة مقاييس للأم.

وقد طبقت بطارية الاختبارات على عينات من طالبات ثانوى شملت ١١٣ طالبة من القاهرة (التى يفترض أنها تمثل بداية المتصل الحضارى من حيث التحرر)، ١١٠ طالبات من سوهاج (التى يفترض أنها تمثل نهاية المتصل الحضارى من حيث المحافظة)، ٩٩ طالبة من بنها (إحكاماً لضبط بعض المتغيرات التى قد يصعب حصرها تجريبياً)، ثم قامت الباحثة بإجراء تحليلات احصائية وعاملية لكل عينة على حدة.

وقد أوضحت النتائج صحة الفرض الأول الذى بدأت به الباحثة، وهو أن المستوى الحضارى للمجتمع وما يوفره من امكانيات الاتصال والتفتح يساعد على نمو القدرات الابداعية لدى أفراد هذا المجتمع، وفيما يتصل بارتباط أسلوب التنشئة الاجتماعية بالإبداع. فقد أدت التحليلات العاملية إلى عوامل تصنيفية عبرت عن وجود مناخ اجتماعى متعلق بالإبداع (تفتقد فيه المبدعات التفاهم والتواصل مع والديهن) كما كشفت عن استقلال بين الأنماط المختلفة للتنشئة وعن وجود الإبداع بوصفه قدرة عامة تكتسب خصائصها من عدد المكونات المتمايزة التى تقاس باختبارات مستقلة تجريبياً.

والخلاصة أن نتائج هذا البحث جديرة بأن تنال فنياً كل العناية، فهى فضلا عن دلالتها النظرية، إلا أنها جديرة أيضاً بأن تسهم فى ترشيد جهودنا نحو تحرير الفتاة العربية من القيود التى تعوقها عن الإبداع والانطلاق إلى آفاق جديدة تسهم بها فى تطوير المجتمع العربى، والبحث فضلا عن ذلك يتسم بالثراء وبأنه يمثل نقطة البداية فى سلسلة من البحوث نرجو أن توفق الباحثة إلى متابعتها بنفس المستوى الإبداعى الذى يتميز به البحث الحالى. (٧ : ٧٤-٧٥، ٩٩-١٢٤).

(١٢) تركيب العائلة العربية ووظائفها، د. محمد صفوت:

وفى الدراسة الأخيرة نقدم عرضاً وتلخيصاً لدراسة ميدانية متعددة الجوانب قام بها الباحث للمتغيرات التى وقعت فى تركيب العائلة العربية السورية وأبعاد هذه التغيرات وتأثرها بالتغيرات التى حدثت فى المجتمع، وكيف استجابت العائلة لهذه التغيرات. وقد شملت الدراسة ٤٠٠ عائلة فى مدينة دمشق واستخدم الباحث فى دراسته استمارة للبحث الميدانى تكونت من ٧٥ سؤالا شملت أسس وعوامل الزواج والمهر ودخل الأسرة والتركيب الاجتماعى الطبقى، تنظيم الأسرة وتحديد النسل، التعليم وسلطة المرأة، فى العائلة والمجتمع، الحجاب والفعالية الاجتماعية للمرأة، التنشئة الاجتماعية وتربية الأطفال، ودور القطاعين الحكومى والأهلى فى تسهيل عمل المرأة

بالإضافة إلى دراسة فى ظاهرة الثأر بين مجتمع القبيلة ومجتمع العائلة فى سورية.

وقد استعان الباحث فى دراسته الشاملة بمختلف أنواع الاحصائيات المستمدة من الوثائق والسجلات بالإضافة إلى التحليل الاجتماعى - التاريخى المتعمق. وقد استطاع أن يحدد معالم واتجاهات التغير الواقع فى مختلف ميادين البحث وقت إجرائه. بل استطاع أن يتنبأ باتجاهات المستقبل، هذا فضلاً عن الكشف عن العوامل المرتبطة بهذه التفسيرات مثل التعليم والمستوى الاقتصادى والحى والتفاوت بين الزوج والزوجة فى هذه العوامل والسلوك قبل وبعد الزواج، واشتغال المرأة بالعمل، والانسجام بينها وبين الزوج فى النظرة إلى أساليب التنشئة الاجتماعية وتربية الأطفال، وكذلك التطور فى أساليب الإنتاج من الزراعة إلى التصنيع، وخلص من كل ذلك إلى تأكيد الدور الذى يلعبه تعليم المرأة ودخولها ميدان العمل فى تحرر العائلة، وهو التحرر المقابل لعملية التحول الاجتماعى، كما أنه يتقدم بعدد من التوصيات لتأكيد هذا التحول وتعميق جذوره.

والخلاصة، توضح هذه الدراسة أنه يصعب فهم السلوك الاجتماعى، خارج إطار العائلة ونمط التنشئة الاجتماعية أو بمعزل عن التطور الاجتماعى وأنه يتعين لترشيد هذا السلوك أن نتابع بالدراسة العلمية أبعاد هذا التطور وانعكاساته على تركيب ووظائف العائلة فى مجتمعنا العربى الذى يتعرض اليوم لتغيرات بعيدة المدى رغم أن إيقاعها قد يبدو للبعض بطيئاً. (٧ : ٧٦-٧٧ ، ١٢٥-١٣٥).

مراجع الفصل الخامس

١ - دافيدوف (لندال)، مدخل إلى علم النفس، القاهرة، ماكجروهيل، ط٢، ١٩٨٣.

٢ - زهران، (حامد)، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٧٢.

٣ - سويف (مصطفى)، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٠.

٤ - ________ ، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، القاهرة، الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٠.

٥ - مليكة (لويس كامل)، قراءات علم النفس الاجتماعي، القاهرة، الدار القومية للطباعة، جـ١، ١٩٦٥.

٦ - ________ ، قراءات علم النفس الاجتماعي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، جـ٢، ١٩٧٠.

٧ - ________ ، قراءات علم النفس الاجتماعي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، جـ٣، ١٩٧٩.

٨ - ________ ، سيكولوجية الجماعات والقيادة، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٧٠.

٩ - ويتيج (ارنوف)، مقدمة في علم النفس، القاهرة، ماكجروهيل، ١٩٨٣.

١٠ - يونس (انتصار)، السلوك الإنساني، الإسكندرية، المكتب المصري الحديث، ١٩٦٦

11. Myers, D., Social Psychology, McGraw Hill, London, 1993.

12. Warren, H.C., Dictionary of Psychology, Cambridge, 1939.

الفصل السادس

الاتصال

Communication

- تمهيد.
- تعريف الاتصال.
- أشكال الاتصال.
- وظائف الاتصال.
- مستويات الاتصال.
- العناصر الرئيسية فى عملية الاتصال.
- بحوث فى الاتصال الج مى (الجماهيرى).
- مراجع الفصل السادس.

الفصل السادس
الاتصال
Communication

تمهيد:

لاشك أن عملية الاتصال بين البشر عملية أساسية نحس ونفهم من خلالها بيئتنا بما فيها من أناس، ونضفى عليها وعليهم معان متعددة، ويتأتى تبعاً لذلك أن نكون قادرين على التعامل معهم، أى نؤثر فيهم أو نتأثر بهم، وليس ثمة سبيل إلى هذا التأثر أو ذاك سوى عن طريق هذه العملية الأساسية: الاتصال Communication، ولاشك فى أن الفرد سواء وعى ذلك أو لم يعه يشكل دائماً المحور الأساسى الذى يدور من حوله وبواسطته كل ما يتم فى المجتمع الإنسانى من عمليات اتصالية (٦ : ٢١).

وفى هذا الفصل نتناول الاتصال الإنسانى، أساليبه، وسائله، قنواته، نعرض لمادة الاتصال وأشكاله، وصلته بالعلوم الأخرى، نعرض لأهم وظائف الاتصال ومدى تأثيره على المجتمع وقيمه وعاداته وتقاليده وأنماط سلوكه، ولا شك أننا فى عرضنا لكل هذه الجوانب نجد اختلافاً فى الرأى سواء فى تناول هذا المفهوم أو تناول علاقته بالمجتمع.

تعريف الاتصال:

١ ـ الاتصال هو العملية التى يتم بمقتضاها تكوين العلاقات بين أعضاء المجتمع (بصرف النظر عن حجم هذا المجتمع وطبيعة تكوينه) وتبادل المعلومات والإراء والأفكار والتجارب فيما بينهم. وفى تفصيل هذا التعريف:

(أ) هناك إجماعاً بين العلماء على اعتبار الاتصال عمليةأساسية فى حياة المجتمع.

(ب) أن كل ما يتصل بانتقال الأفكار والمعلومات من فرد إلى آخر أو

من جماعة لأخرى يدخل ضمن هذه العملية سواء، أكانت هذه الأفكار والمعلومات ذات طبيعة اجتماعية أو ثقافية أو علمية.

(ج) أو كانت هذه الأفكار والمعلومات تتصل بالناس أنفسهم أو بالبيئة (العالم الخارجى) الذين يعيشون فيه (اتصال خارجى ملحوظ) ، أو حتى بتجربة الفرد نفسه مع نفسه (اتصال ذاتى داخلى). (١ : ٦٠٥)

(٢) الاتصال هو العملية التى بها يتفاعل المرسلون والمستقبلون للرسائل فى سياقات اجتماعية معينة (٧ : ٤٣٧)، وفى تفصيل هذا التعريف نجد:

(أ) يتضمن هذا التعريف عدداً من المسلمات المشمولة فى مصطلح الاتصال، فالاتصال بمثابة عملية تقوم على التفاعل (أو التأثير المتبادل أو التأثر والتأثير) بين مرسلين ومستقبلين.

(ب) يتم من خلال تلك العملية التفاعلية (الاتصال) نقل رسائل معينة من خلال مرسلين إلى آخرين يكونون مستقبلين لهذه الرسائل. فكأن الاتصال بهذا الشكل هى عملية تفاعلية بين مرسل ومستقبل.

(ج) أن الاتصال بأساليبه وقنواته وأدواته إنما يحدده المجتمع من خلال ما ينتظمه من سياقات اجتماعية متعددة ـ أو من خلال أطر مرجعية معينة تحدد طبيعة هذا الاتصال.

(٣) يرى وارن H. C. Warren أن مفهوم التواصل يشير إلى :

(أ) نقل انطباع أو تأثير من منطقة إلى أخرى دون نقل فعلى لمادة ما.

(ب) أو إلى نقل انطباعات من البيئة إلى الكائن أو العكس أو من فرد إلى آخر.

ويستخدم مفهوم التواصل عادة فى حدود المعنى الأخير للإشارة إلى الظاهرة الأساسية فى علم النفس الاجتماعى حين تقول مثلا أن الكلام وسيلة من وسائل الاتصال (٤ : ٣٩٤-٢٩٥).

أشكال الاتصال:

يوجد شكلان من أشكال الاتصال هما:

أ ـ الاتصال اللفظى Verbal Communication

ب ـ الاتصال غير اللفظى Non-Verbal Communication

أولا ـ الاتصال اللفظى:

تعتبر لغة الألفاظ هى الأداة الرئيسية لتحقيق التواصل بين أعضاء المجتمع، ذلك لتعقدها الشديد مما يجعلها أكثر مرونة واتساعاً لامكانيات التعبير، وللمساهمة فى تحقيق أدق عمليات التفاعل بين الأنا والآخر. فعندما ننظر فى مدى ثراء النمو اللغوى للطفل فإننا نحدد مدى مساهمته فى تنمية سلوكه الاجتماعى سواء من حيث اندماجه فى الآخرين، وازدياد شعوره باستقلاله عنهم. والذى يعنينا هنا هو الإشارة إلى مدى مساهمة اللغة فى تحقيق التواصل الذى هو أحد عوامل التكامل الاجتماعى. (٥ : ٣٣١-٣٣٢).

وبهذا فإن اللغة هى أوضح أنماط السلوك الاتصالى وفى تعريفها نجد أنها تتكون من كل الحالات المعروفة لنا من أداة كاملة للتعبير بالرموز الصوتية التى تتميز بالقدرة على تحديد كل المضامين الاجتماعية المعروفة، والتى تشتمل على كل ما يدرك عن طريق الحس، أى كل الخبرات التى اكتسبها المجتمع عبر تاريخه (٦ : ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢).

كذلك فإن اللغة من حيث هى أداة اتصال تعتبر عاملا أساسياً، ووسيلة هامة من عوامل ووسائل التماسك والتضامن والتكامل فى المجتمع، وذلك إذا عرف ذلك المجتمع كيف يستخدمها بالطريقة التى تخدم ذلك الهدف (١:٤).

ثانياً ـ الاتصال غير اللفظي:

وهي عملية تبادل المعلومات والآراء والأفكار دون استخدام لغة الألفاظ كأداة اتصال، ومن هنا يتطرق الحديث إلى ما يمكن أن يطلق عليه (الاتصال باستخدام لغة الجسم أو ما يرادف Body Language)، ذلك أن معناهما يتوافق ومعنى الاتصال غير اللفظي، وتعنى لغة الجسم استخدام أجزاء من جسم الإنسان للتعبير عن حالة هذا الإنسان دون أن يتكلم، ومن هنا يتضح للرأى ما هى حالة هذا الإنسان النفسية، وتلعب لغة الجسم دوراً فعالا في عملية الاتصال ـ وفى العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص (أفراد المجتمع) فى كثير من المجالات.

ويوجد أشكال متعددة من الاتصال غيراللفظي يمكن أن يستشف منها حالة الفرد وهى:

١ ـ تعبيرات الوجه	Facial Expression
٢ ـ وضع الجسم	Posture
٣ ـ المشية	Gait
٤ ـ المظهر العام	General Physical Appearance
٥ ـ الصمت	Silance
٦ ـ الصوت	Voice Inflection
٧ ـ حدوث احتكاك الأرجل بالأرض	Gestures

هذه وغيرها تعبيرات جسمية (غير لفظية) تعبر عن حالة الإنسان الجسمية والنفسية، وبالتالى فهى تعد بمثابة أشكال من الاتصال غير اللفظى بين أطراف معينة ـ وكمثال بين طرفى العملية العلاجية : الطبيب والممرضة فى جانب والمريض وأسرته من جانب آخر.

ويستخدم الأطباء والممرضات لغة الجسم وخاصة تعبيرات الوجه لكى يبنو أو ليعبروا للمريض أو أسرته عن أخبار سيئة أو غير سارة، وذلك إما بالنظر إلى الأرض وذلك بفتح العينين فتحة خفيفة، أو تبدو علامات النظرة الحزينة على وجه الممارس The Practioner كما يستطيع الطبيب أو الممرضة استخدام ذات اللغة مع المريض المنفعل أوالغاضب أو المريض بمرض نفسى أيًا كان.

وإليك مثالا يبين هنا الشكل من أشكال الاتصال :

عندما ترى سيدة تقف عند باب حجرة العمليات الجراحية، وعند مشاهدتها ترى أن وجهها متغير اللون، منجذبة بكل انتباهها إلى شىء معين ومحدد لدرجة أن إنسان العين داخل عينيها يكاد يخرج منها (أى جاحظة العينين)، من هنا تتضح عملية الاتصال مع أن السيدة لم تتكلم لتعبر عما بداخلها، أو تكتب تصف مشاعرها، ولكننا استطعنا أن نعرف أن هذه السيدة خائفة أو مضطربة، أو أنها فى حالة رعب شديدة من شىء ما.

وعندما نرى زوجها وهو يقف ورائها وجسمه وكتفيه متجهان للأمام ويداه منقبضتان جداً ـ وأعصابه مشدودة، وفمه مغلق بضيق وبطريقة محكمة وعيناه جاحظتين، يبدو منفعلا بشكل زائد فمن الواضح من هذا كله أن هذا الرجل فى حالة غضب شديد أو انفعال وضيق وقلق.

ويشتق الاتصال غير اللفظى من ثقافة المجتمع، وإطاره المرجعى بما ينتظمه من عادات وقيم وتقاليد يؤخذ منها الرموز والإشارات والحركات فى محاولة للتعبير عما يريده الأفراد بعضهم من البعض الآخر، فنجد أن حركة اليد مثل المصافحة أو التحية تعتبر طرق محددة من طرق الاتصال، وتشير المصافحة إلى السلام أو عادة ما تستخدم للتحية أو التعظيم، هذه رموز توجد منذ القدم، وهناك رموز حديثة قد استحدثت لترمز إلى شىء معين قد يكون لأغراض سلمية، أو كعلامات عدم القبول أو النفور،... إلخ.

وظائف الاتصال:

حددت التعاريف السابقة لمفهوم الاتصال عدداً من وظائف الاتصال الإنساني، فهي:

(١) العملية التى يتم بمقتضاها تكوين العلاقات الاجتماعية بين أعضاء المجتمع، وبدون الاتصالات الإنسانية تذبل العلاقات الاجتماعية وتموت.

(٢) الاتصال كعملية يمكن أن ينعكس آثارها على الفرد عبر مراحل نموه المختلفة، فالطفل يكتسب كل ما يحيط به من قيم وعادات وتقاليد وأنماط سلوكية وذلك من خلال التعامل المباشر مع المجتمع ومع والديه، مما يسهم فى نموه العقلى والاجتماعى والخلقى.

(٣) الاتصال بين أفراد المجتمع يسهم فى تحقيق الاتزان داخل الجماعة، فالاتصال كعملية تفاعلية تتضمن التأثر والتأثير المتبادل تؤدى إلى خفض التوترات النفسية بين أفراد المجتمع وذلك بعكس الانعزال والانغلاق وجهل الأفراد بآراء واتجاهات بعضهم البعض.

(٤) الاتصال يسهم فى تبادل المعلومات والآراء والأفكار والتجارب بين أفراد المجتمع، وبمعنى أدق أنه يسهم فى نقل التراث الثقافى والاجتماعى والتكنولوجى عبر الأجيال.

(٥) الاتصال يؤدى إلى تحقيق التقارب فى مستوياته الاجتماعية والعقلية بين أعضاء الجماعة ومن ثم يسهم فى تحقيق درجة من درجات التماسك الاجتماعى، ولذلك فإن الاتصال يعد أحد العوامل الأساسية فى التكامل الاجتماعى فى وجه التغيرات المتلاحقة التى تطرأ على بيئة الإنسان.

(٦) الاتصال أحد مقومات تحقيق أهداف التنظيم فى أى مجال من المجالات التطبيقية سواء فى داخل المستشفى، المصنع، المدرسة، والجامعة.

(٧) إذا كان الإعلام بمثابة عملية اتصال Communication بين مرسل

(الإعلامى) ومستقبل (الجمهور) عن طريق وسيلة إعلامية، فإن الاتصال يسهم فى النشاط الترويحى والإعلانى عن البضائع والسلع التجارية.

(٨) ومن وظائف الاتصال أيضاً إحاطة الأفراد والجماعات علماً بالأخبار الصحيحة والدقيقة والمعلومات الصادقة الواضحة والحقائق الموضوعية.

مستويات الاتصال:

باستقراء البحوث المختلفة فى مجال الاتصال نجد أن هناك مستويان لعملية الاتصال وهما:

(١) الاتصال المباشر Direct Communication

(٢) الاتصال الجماهيرى Mass Communication

أ ـ الاتصال المباشر:

ويعنى اتصال شخص أو هيئة بصديق أو عدد محدد من الأفراد، أو اتصال زميل بزميله فى العمل أو بزملاءه أو اتصال رئيس بمرؤسيه. أو اتصال أفراد الفريق العلاجى (الطبيب، الممرضة) بالمريض أو بأسرته، أو اتصال الأستاذ بطلابه فى قاعة الدرس... إلخ، هنا يكون الاتصال مباشراً بين تلك الأطراف، ويتم فيها نقل أو تبادل معلومات Information وآراء Opinion وتتكون عملية الاتصال فى هذه الحالة من ثلاثة عناصر أساسية هى المرسل، المستقبل، وسيلة الاتصال أو أداته.

وعلى سبيل المثال: فى داخل المستشفى تتم عملية الاتصال بشكل مباشر بين الطبيب أو الممرضة، (كمرسل)، ويكون المريض وأسرته فى هذه الحالة هو (المستقبل) ، أما وسيلة الاتصال أو أداته فقد تكون وسيلة لفظية أو غير لفظية، وفى هذه العملية المباشرة ينقل الطبيب أو الممرضة رسالة معينة إلى المريض وأسرته فى شكل رموز لفظية أو غير لفظية، ويقوم الجهاز العصبى

هنا، بالدور الرئيسى فى استيعابها، ولاشك أن الاستجابة لما ينقله الطبيب أو الممرضة تتضمن عمليات نفسية متعددة، فلابد أن تتناسب الرسالة المنقولة مع مكونات شخصية المريض، المجال النفسى له ولأسرته، وشكل الرسالة التى تنقل فالاستجابة هنا دالة للتفاعل بين المثير والكائن الذى تنقل إليه الرسالة.

مثال آخر:

فى داخل قاعات الدرس بالجامعة، تتم عملية الاتصال بشكل مباشر بين الأستاذ (كمرسل) والطلاب (كمستقبل) أما وسيلة الاتصال فهى اللغة، وفى هذه العملية المباشرة ينقل الأستاذ إلى طلابه معارف ومعلومات وخبرات يتضمنها الدرس مما يسهم فى تنمية شخصية الطلاب. وهنا يأخذ الأستاذ فى اعتباره تفاوت الطلاب فى الذكاء والقدرات والسمات المزاجية،... إلخ. وأن هذا التفاوت ينعكس على تحصيل الطلاب واستيعابهم للدرس والتحصيل الدراسى فى هذه الحالة هو دالة لتفاعل ما ينقله الأستاذ من درس (مثير) والكائن العضوى بما ينتظم شخصيته من امكانات هذا بالإضافة إلى الإطار المرجعى الذى يعيش فى إطاره هذا الفرد.

ويشير كثير من الباحثين فى هذا المجال إلى أن للاتصال الشخصى (المباشر) وسائله والتى تتمثل فى : المقهى، التليفزيون، الزيارات العائلية والجلسات الخاصة، والنوادى الخاصة، والخطابات،... إلخ.

ب ـ الاتصال الجماهيرى:

يختلف هذا الشكل من أشكال الاتصال عن الاتصال المباشر، فبينما يكون الاتصال المباشر هو اتصال شخص بآخر أو بعدد محدد من الأفراد، فإن الاتصال الجماهيرى هو اتصال شخص أو هيئة بالجماهير الغفيرة ـ أيًا كانت تلك الجماهير عامة أو نوعية، محلية أو عالمية، وهنا يأتى الاعتماد على أساليب ووسائل الاتصال الجماهيرى ـ التى كثيراً ما نطلق عليها اسم الإعلام الجماهيرى ـ فى نقل مادة الاتصال التى يراد توصيلها إلى

الجماهير العريضة، وعلى نطاق واسع، وتقوم بهذه العملية مؤسسات ضخمة (قد تكون هى الدولة ذاتها) مستعينة بأجهزة متطورة وفعالة (الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما،... وغيرها) لنشرتلك المواد الاتصالية.

وفى دراسة الاتصال الجماهيرى يجب التركيز على دراسة وفهم النظم التى تصوغ عمليات الاتصال والسياسات التى تهدف إليها، والآثار المترتبة عليها ومدى اقتناع الجماهير بما يقدم لهم من مواد ومعلومات.

أما عن الالتقاء بين هذين النوعين من الاتصال الشخصى (المباشر)، والجماهيرى (غير المباشر) ، فقد أشار علماء الإعلام إلى أنه ليس هناك تناقضاً ولاتعارضاً بين هذين الشكلين من الاتصال لا فى الأسلوب ولا فى الوسائل، فقناة التليفزيون وسيلة اتصال جماهيرى تنقل من خلالها الحكومة ما تريده إلى الجماهير العريضة من أفراد الشعب، ومن الممكن أن تنقل هذه القناة أيضاً إلى الخارج (عن طريق القمر الصناعى) برامج أو وسائل إعلامية معينة إلى شعوب أخرى، تختلف عنا ـ كبرامج السياحة لتنشيطها أو غيرها من البرامج.

كذلك نجد أن التليفون وسيلة اتصال شخصى، ولذلك فهناك تكامل وتعاون بين الاتصال الجماهيرى والاتصال الشخصى ليساعد على بلوغ الأهداف، هذا من ناحية ولكن من ناحية أخرى فهناك فارق كبير بين ذلك الاتصال الجماهيرى والشخصى، فارق فى التأثير وفى استخدام الوسائل.

العناصر الرئيسية فى عملية الاتصال:

تتلخص عملية الاتصال الجماهيرى أو العملية الإعلامية فى السؤال المركب المعروف: من يقول ماذا؟ وبأى وسيلة؟ وإلى من وبأى تأثير؟ هذا السؤال المركب يبين لنا طبيعة الاتصال الجماهيرى فى كونه عملية مستمرة ومركبة، ويحلل د. محمد سيد أحمد فى مؤلفه : «الإعلام والتنمية»، ١٩٧٩ ، العناصر الرئيسية الستة فى عملية الاتصال وهى:

١ ـ المصدر Source

٢ ـ الرسالة Message

٣ ـ الوسيلة Medium

٤ ـ المستقبل Receiver

٥ ـ التأثير Effects

٦ ـ رد الفعل Feed Back

ويلخص د. لويس مليكة فى مؤلفه «سيكولوجية الجماعات والقيادة»، ١٩٧٠ تلك العناصر كالآتى:

١ ـ مصدر الاتصال أو الدعاية Communicater

٢ ـ الجمهور Audience

٣ ـ مادة الاتصال وأسلوب تقديم الموضوع.

٤ ـ أداة أو وسيط الاتصال Medium

٥ ـ التأثير Effects

ويلاحظ أن تحديد هذه العناصر يخضع للاتجاه النظرى للباحث فالتصنيف الأول للعناصر الستة لعملية الاتصال هو تصنيف يخضع لوجهة النظر الإعلامية البحتة، وأنصارها هم رواد الاتصال والإعلام، أما التقسيم الثانى فإنه يخضع لوجهة النظر السيكولوجية البحتة. وما لها من تأثير على سلوك الأفراد والجماعات. ويجب أن يكون واضحاً فى الأذهان أننا لا نستطيع القول بأى العناصر أقوى وأنفع، أو أنه لابد من توافرها فكل عنصر منها يشبه الحلقة فى السلسلة لابد من وجودها حتى تتم عملية الاتصال الجماهيرى.

أما المصدر، فقد يكون فرداً أو مؤسسة أو فريق عمل أو تنظيماً سياسياً أو نقابياً،... إلخ. قد يكون مصدراً رسمياً أو غير رسمى، أما الرسالة، فهى

جملة المعلومات والأفكار والمعانى التى يريد المصدر نقلها من خلال وسيلة إعلامية معينة تلعب فيها اللغة أو أى شكل آخر من وسائل الاتصال أو أداته الدور الرئيسى. ويعتبر المستقبل والوصول إليه هو هدف العملية الإعلامية برمتها، وعليه تجرى الدراسات لمعرفة اتجاهاته وآراءه فيما ينقل إليه من آراء وبرامج أياً كانت، أما التأثير فإنه يتوقف على شكل الاتصال شخصى أم جماهيرى ولا شك أن التأثير يكون أفضل فى حالة الاتصال الشخصى منه فى الاتصال الجماهيرى، أما رد الفعل فهو دليل استجابة المستقبل للرسالة، وقد يكون رد الفعل إيجابياً أو سلبياً، إذا تحقق التأثير أو إذا لم يتحقق.

بحوث فى الاتصال الجمعى (الجماهيرى):

من أهم البحوث المصرية فى الاتصال الجمعى مايلى:

*** بحث (التليفزيون العربى):**

وفيه تم استطلاع آراء ورغبات ومقترحات جمهور المشاهدين فى برامج التليفزيون،. وقد أجرى البحث وحدة بحوث الرأى العام والإعلام بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية خلال عام ١٩٦٣ ونشرت نتائجه فى أبريل ١٩٦٤ ، وقد حدد أفراد مجتمع هذا البحث ـ والمحافظة ـ وقد تحكم فى تحديد مجال هذا البحث عدة اعتبارات:

(١) المجال المكانى للعينة.

(٢) المجال الزمنى لحيازة الأفراد للأجهزة.

(٣) أعمار أفراد العينة.

وقد أعدت خطوات منهجية سليمة لإعداد إطار العينة تتناسب وطبيعة البحث، من ناحية والمتغيرات التجريبية للعينة من ناحية أخرى.

وقد تم استخدام استمارة خاصة كأداة لجمع البيانات روعيت فيها القواعد المنهجية المناسبة، لتكون على درجة عالية من الثبات والصدق، وقد تضمن الجزء الثانى منها برامج التليفزيون المذاعة فى الدورة التى شملت

البحث، وقد وجد أن الطريقة المنطقية لاجراء مثل هذا التصنيف هو البدء بتحديد الوظائف الأساسية للتليفزيون كأداة من أدوات الاتصال الجمعى ـ حيث أن هذه الوظائف لا تخرج عن وظيفة إعلامية، ثقافية، تعليمية، ترويحية، وقد نوقشت كل وظيفة من هذه الوظائف فى صورة ما يقدمه التليفزيون من برامج ـ ثم رتبت البرامج، ووضع عدد من المؤثرات لمعرفة مدى إقبال الجمهور على هذه البرامج، ثم تم تحليل البيانات تحليلا احصائياً مناسباً. (٢ : ٤٤٦-٤٧٠).

* بحث «دور وسائل الاتصال الجمعى فى حياة القرية المصرية»:

ويستهدف قياس مدى نجاح وسائل الاتصال الجمعى (الجماهيرى وهى أجهزة حكومية، لإعلام الرأى العام وتوعيته فى المناطق الريفية فى جمهورية مصر العربية. ويبدو من خلال نتائج البحث أن وسائل الاتصال الجمعى تسهم فى تكوين جمهور مستقبل للأخبار الخارجية، وذلك بالرغم من أن هذه الأخبار تتسرب إلى المناطق الريفية ببطء إذا قورنت بسريانها فى المجتمع الحضرى المشبع.

وفى هذه العملية تقوم الإذاعة بدور فعال فى نقل الأخبار إلى القرويين حتى المتعلمين منهم... ولذلك يشير الباحث أنه يتعين الاعتماد على الإذاعة فى نقل مادة معينة أو خبر معين إلى أهل القرية، وأيضاً لا تزال الكلمة المنقولة عن طريق الاتصال الشخصى المباشر وسيلة مباشرة وهامة فى نقل الأخبار المستمدة أصلا من وسائل الاتصال الجمعى، وفى تعريف القرية بالعالم الخارجى ، إلا أنها أهم وسيلة، بل هى أساساً الوسيلة الوحيدة لنقل الأخبار المتعلقة بالمجتمع المحلى فى القرية، ولكن مع اتساع الآفاق أمام القروى. ومع ازدياد أهمية الأخبار غير المحلية فى نظرته إلى العالم، فإن هذا الأسلوب يصبح مجرد وسيلة مكملة لنقل المعلومات، ثانوية فى أهميتها بالنسبة إلى وسائل الاتصال الجمعى نفسها، كما أنه يبدو أن هذه الوسيلة تقل فاعليتها فى المرحلة الثانية من الاتصال، نظراً لأن الأشخاص الذين لا يعرفون الأخبار غير المحلية عن طريق الاتصال الشخصى المباشر لا ينزعون

أنفسهم إلى نقل الأخبار إلى غيرهم. (٣ : ٤٧١ - ٤٨٦).

* **البحث الثالث «بناء الاتصال فى قرية عربية»:**

ويحاول البحث الإجابة عن السؤالين الآتيين:

(١) ما هى العوامل المختلفة التى ترتبط بسماع القرويين موضوع جديد وهو «التلقيح الصناعى للحيوان» وذلك من حيث زمن ومصدر المعرفة بالموضوع، ومن حيث اختلاف المصدر؟.

(٢) ما هى مصادر المعرفة والتأثير لدى القرويين؟ ما هو الدور الذى تقوم به وسائل الاتصال الجمعى كمصادر للمعرفة والتأثير؟ ما هى العلاقة بين درجة الاتصال ودرجة المعلومات العامة لدى القروى مقدرة طبقاً لسماعه وفهمه لبعض الموضوعات الهامة؟ هل يوجد تخصص بين هذه المصادر من حيث الموضوعات التى تقوم بنقلها للقرويين ومن حيث من يتعرض فيهم لهم.

وقد أعد الباحث لهذا الغرض استبيان طبق على كل الراشدين الذكور فى إحدى قرى المنوفية فى ج.م.ع.

وتوضح نتائج البحث أن فرص السماع عن «التلقيح الصناعى للحيوان» تزداد كلما صغر سن القروى، وكلما زاد اتصاله بالمركز الاجتماعى وبالمرشد الزراعى، وكلما ازدادت قراءاته للصحف أو استماعه لقراءاتها، وكلما زاد استماعه للإذاعة. كلما تزداد هذه الفرص بالنسبة لمن يملكون جهاز (راديو)، وبالنسبة لأعضاء الجمعيات المحلية، ولمن يرتفع مستواهم التعليمى ومستواهم الاقتصادى، ولمن يزداد توافر سفرهم إلى خارج القرية.

وقد كشف البحث عن أن درجة اتصال القرويين بمصادر التعريف والتأثير تختلف من مصدر إلى اخر، رغم أن القروى العادى يتعرض لقدر معقول من هذه المصادر، ورغم أن القرويين يلمون بدرجة مناسبة بما سئلوا عنه من أمور تتصل بموضوعات هامة. (٩ : ٤٨٧-٥٠٨).

مراجع الفصل السادس

١ ـ أبو زيد (أحمد)، الاتصال، فى عالم الفكر، الكويت، عدد ٢، ١٩٨٠، ٣-١٢.

٢ـ أحمد (محسن عبد الحميد)، بعض الجوانب الإحصائية لبحث التليفزيون العربى، فى مليكة (لويس)، قراءآت فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية، القاهرة، الدار القومية، جـ١.

٣ ـ أبو لغد (إبراهيم) ، دور وسائل الاتصال الجمعى فى حياة القرية المصرية فى مليكة (لويس)، قراءآت فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية، القاهرة، البلاد القومية، جـ١.

٤ ـ سويف (مصطفى)، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعى، القاهرة، دارالمعارف، ط٣، ١٩٧٠.

٥ ـ سويف (مصطفى)، مقدمة فى علم النفس الاجتماعى، القاهرة، الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٠.

٦ ـ سعد (إسماعيل)، الاتصال والرأى العام، الإسكندرية، دارالمعرفة الجامعية.

٧ ـ منصور (طلعت)، سيكولوجية الاتصال، فى عالم الفكر، الكويت، عدد ٢، ١٩٨٠، ١٠٣-١٦٠.

٨ ـ مليكة (لويس)، سيكولوجية الجماعة والقيادة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٧٠.

٩ ـ مليكة (لويس)، بناء الاتصال فى قرية عربية، فى مليكة (لويس) قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية، القاهرة، الدار القومية للطباعة، جـ١.

الفصل السابع

سيكولوچية الإعلام ووسائله

- تمهيد.
- تعريف مفهوم الإعلام.
- الإعلام من وجهة نظر سيكولوچية.
- وسائل الإعلام.
- مراجع الفصل السابع.

الفصـل السابع

سيكولوچية الإعلام ووسائله

تمهـــيد:

من الباحثين من يشير بأن الاتصال الجماهيرى هو أساس حديثنا خاصة عندما نتكلم عن الإعلام، ومن الحديث فيه يتعرض الباحث لفرعية من فرعياته وهى الاتصال الشخصى، ومن هنا يتبين لنا أن تعبير الاتصال الجماهيرى فى اللغة الإنجليزية Mass Communication هو نفس تعبير الإعلام فى اللغة الفرنسية L'Information ، وأن استخدامنا لكلا التعبيرين : الاتصال الجماهيرى، والإعلام فى اللغة العربية لا غبار عليه، وأن تعبير الإعلام وهو الأكثر شيوعاً فى لغتنا المعاصرة هو بديل ومعادل لتعبير الاتصال الجماهيرى. (٢ : ٤٠-٤١).

وفى بحث قيم بعنوان «الاتصال» قدم به أ.د. أحمد أبو زيد مجلة عالم الفكر وذلك فى عددها الثانى عام ١٩٨٠ ، أشار فيه أن هناك أربعة أبعاد ينبغى أن توجه البحوث فى مجال الاتصال وهذه الأبعاد هى:

أولا : البحث عن طبيعة الشخص المرسل أو المؤسسة أو المنظمة التى تقوم بعملية الاتصال، أو طبيعة تكو ها وتنظيمها وسياستها.

ثانياً : البحث فى محتوى (الرسالة) للتعرف على نوع المعلومات أو (مادة) الاتصال التى تتضمنها.

ثالثاً : دراسة طبيعة المرسل إليه أو المستقبل سواء أكان فرداً يتلقى رسالة من شخص آخر، أو كان جمهور القراء أو المستمعين أو المشاهدين إذا كانت أداة الاتصال هى الصحافة أو الإذاعة أو التليفزيون والسينما،

وتركيب هؤلاء (المستقبلين) ومدى التجانس أو التباين، والتفاوت والاختلاف بينهم فى الخصائص الفكرية والثقافية.

رابعاً : دراسة التأثيرات التى يراد إحداثها فى المستقبلين، وإلى أى مدى أمكن تحقق ذلك، ونوع الاستجابة، ورد الفعل عليها... فليست المسألة إذن هى مجرد تأثير وسائل الإعلام أو الاتصال فى الجماهير، وإنما هناك جانب آخر كثيراً ما يفعله الباحثون وهو تأثير هذه الجماهير ذاتها فى وسائل الإعلام، واستجابة هذه الوسائل لهم.

والتعمق فى تلك الأبعاد أو المحاور التى يجب أن تشكل الأسس التى تقوم عليها الدراسات المتخصصة فى مجال الاتصال والإعلام يبين لنا عدداً من النقاط يمكن أن نستند إليها فى بحث سيكولوچية الاتصال والإعلام وهى:

١ ـ طبيعة الشخص المرسل.

٢ ـ طبيعة المرسل إليه أو المستقبل سواء أكان فرداً أو جمهوراً وتركيب هؤلاء المستقبلين، ومدى التجانس أو التباين والتفاوت والاختلاف بينهم فى الخصائص الفكرية والثقافية.

٣ ـ التأثيرات التى يجب إحداثها فى المستقبلين.

تعريف مفهوم الإعلام:

١ ـ الإعلام هو عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة، وحقائق واضحة، وأخبار صادقة وموضوعات دقيقة، ووقائع محددة، وأفكار منطقية، وآراء راجحة للجماهير، مع ذكر مصادرها خدمة للصالح العام. (٤ : ٢٦٩).

٢ ـ الإعلام هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت... ويعتمد التعبير الموضوعى هنا على الحقائق والأرقام والإحصائيات (٢ : ٤٣) ومن ثم لابد أن تتسم العملية الإعلامية بالأمانة والموضوعية والدقة، وتهدف إلى النهوض بمستوى الرأى العام فكراً وذوقاً وثقافة.

٣ ـ الإعلام هو عملية اتصال Communication بين مرسل (الإعلامى) ومستقبل (الجمهور) عن طريق وسيلة إعلامية (الصحيفة أو الإذاعة أو التليفزيون أو السينما... إلخ). تنتقل من خلالها الرسالة الإعلامية (فى شكل رموز لغوية ومصورة) من طرف إلى آخر، ويقوم الجهاز العَصبى بالدور الرئيسى فى استيعاب الرسالة الإعلامية باعتبارها مثيراً يستجيب له الأفراد والجماعات. (٤ : ٢٧١).

والتعمق فى تعريفات الإعلام السابقة نجد أنها تدور حول (من يقول؟ وماذا يقول؟، ولم يقول؟، ولماذا يقول؟). ولكن ما يجب التأكيد عليه هو أن المدخل لدراسة الاتصال وفهم جوانبه المختلفة هو دراسة شخصية الفرد وما ينتظمها من مكونات سواء أكانت تلك الشخصية شخصية المرسل أو شخصية المستقبل: أفراداً وجماعات، ومجتمعات محلية أم عالمية، فالاستجابة أو التأثر بعملية الاتصال وبوسائله المختلفة إنما يتم أساساً من خلال العوامل النفسية التى يكون لها تأثير بالغ على سلوك الفرد واستجابته، وتلك العوامل تنتظم شخصية الفرد ـ هذا بالإضافة إلى ما ينتظم إطاره المرجعى من قيم وعادات وتقاليد وأنماط سلوكية واتجاهات اجتماعية سائدة.

الإعلام من وجهة نظر سيكولوچية:

تسهم كثير من العلوم فى دراسة الإعلام وإثراء مجاله ولا يقتصر الأمر

على العلوم الاجتماعية بل يتعدى ذلك إلى إسهام العلوم الطبيعية كذلك، فالعلوم الطبيعية تسهم فى دراسة الإعلام وذلك عن طريق نظريات المعلومات، والنظم كما تسهم العلوم الاجتماعية فى النظر إلى ثقافة المجتمع على الاتصال كما يفعل علماء الأنثروبولوجيا، وفى النظر إلى طبيعة العلاقات بين نشاط الفرد والجماعة على أنها عملية اتصالية ـ كما ترى فى علم النفس الاجتماعى، وكما نرى فى علوم اللغة والاجتماع، وعلم النفس، فكل من هذه العلوم يسهم فى اثراء عملية الاتصال أو الإعلام فى جانب أو آخر من جوانبه المتعددة.

وفى هذه الفقرة نتناول مفهوم الإعلام من وجهة نظر سيكولوچية مستخدمين فى ذلك المصطلحات والمفاهيم السيكولوچية المناسبة فى معالجة هذا الموضوع، وسوف نستعرض معاً كيف أن هذا العلم الوليد (علم الاتصال والإعلام) علم جديد عالمياً، والمكتبة الإعلامية متواضعة إلى درجة كبيرة إذا قورنت بالمكتبة النفسية، ولكن ذلك لا ينفى أن الإعلام علم له مبادئه ـ وقوانينه الخاصة ومناهجه وظواهره الخاصة التى تشكل محاور البحث فيه وإذا كانت الدراسات الإنسانية تسعى إلى هدف واحد هو فهم سلوك الإنسان وتفسيره بهدف السيطرة على مصيره ومستقبله، فإن ذلك ينطبق على علم الاتصال والإعلام شأنه فى ذلك شأن أى علم آخر.

وربما كان التعريف رقم (٣) من تعريفات الإعلام هو أبلغ تعريف يدلل على أن المدخل فى دراسة الإعلام هو المدخل السيكولوچى. ولنتعمق فى المثال الآتى:

إذا كانت عملية الإعلام تتلخص فى أنها شكل من أشكال الاتصال بين شخصين مرسل ومستقبل ينقل من خلالها رسالة إعلامية فى شكل لغة

أو صورة أو غيرها، فإن استجابة المستقبل إنما تتوقف على عوامل معينة ـ هى عوامل ذاتية كامنة (من قبيل المتغيرات المتوسطة) لا سبيل إلى ملاحظتها ولكننا نفترض أن لها دور فى تشكيل تلك الاستجابة وتحديدها. أو نحن نفترض سواء فى مجال الإعلام أو فى مجال الدراسات السيكولوجية أن هذه العوامل الذاتية التى تتوسط بين المثير والاستجابة ـ إذا تمت مراعاتها بدقة، كان هناك عائد من تلك الرسالة أيا كانت، ولتمثيلها بهذه الصورة:

مثير (م) ـــــــــ الكائن العضوى (المستقبل) ـــــــــ استجابة (س)

عوامل الشخصية	الخبرة	المجال السلوكى العام	التعلم
الدوافع والغرائز والحاجات	تذكر الماضى	شخصيات أخرى	التعزيز
العوامل الجسمية والفسيولوجية	تذكر الحاضر	الثقافة	الكف، الانطواء
العوامل العقلية والمعرفية		البيئة	العادات، التعلم
العوامل الاجتماعية	تذكر المستقبل	المجال السلوكى العام	الشرطى، التعلم
العوامل الانفعالية			المصاحب، الموجه،
حيل الدفاع			الموزع، بالعمل
			الآلى

شكل يوضح كيف أن الرسالة الإعلامية (كمثير) يصدر عنها استجابة خاصة، من خلال كائن عضوى (مستقبل) له خصائصه أو إمكاناته الخاصة التى تؤثر فى شكل تلك الاستجابة. (الاستجابة دالة للتفاعل بين المثير والكائن العضوى).

هذا من ناحية المستقبل الذى يمثل الجماهير العريضة، أولئك الذين يوجه إليهم الإعلام، ومن ناحية أخرى.

يلخص د. إبراهيم إمام فى مؤلفه (العلاقات العامة والمجتمع، ط ٢، ١٩٦٨) أهم عوامل نجاح الرسالة الإعلامية فيما يلى:.

١ ـ التناغم أو التشابه والمشاركة فى الخبرات والصور لدى كل من المرسل (الإعلامى) والمستقبل (الجمهور) بما يكفل فهم الرموز ومعرفتها والاستجابة لها.

٢ ـ استثارة انتباه المستقبل، واستعمال رموز مفهومة لديه.

٣ ـ ربط الرسالة الإعلامية بحاجات المستقبل مع اقتراح حلول مشبعة لها بشرط ألا تتنافى مع العادات والتقاليد والقيم والمعايير الاجتماعية.

٤ ـ مراعاة الحالة النفسية للمستقبل ومراعاة الدقة فى اختيار الوقت المناسب، والمكان الملائم، والوسيلة المجدية حسب نوع وقدرة المستقبل.

٥ ـ الاهتمام باستعمال الألفاظ وتقديم الصور التى يستطيع المستقبل فهمها والاستجابة لها حسب إطاره المرجعى Frame of Reference ووظيفته الاجتماعية والاقتصادية Socio-Economic Background.

٦ ـ التخلص من عوامل التشويش التى تقف فى سبيل التفاهم بين المرسل والمستقبل.

هذا من ناحية عنصرى المستقبل، والرسالة الاعلامية فماذا عن المرسل، يلخص د. إبراهيم إمام فى مؤلفه «الإعلام والاتصال بالجماهير»، ١٩٦٩ بعض الملاحظات على المضمون الإعلامى وأثره فى الجماهير، وذلك فيما يلى:

(١) أن عرض قضية ما على الجمهور يجب أن يتناسب مع ثقافته ومقدار تلك الثقافة فإذا كان مثقفاً ثقافة عالية تعرض وجهتى النظر المؤيدة والمعارضة، وإذا كان غير ذلك تعرض وجهة النظر المؤيدة فقط.

(٢) الالتزام بالموضوعية والبعد عن الحياد الظاهرى والانحياز المستتر حتى لا يؤدى ذلك إلى شك الجمهور فيما يعرض.

(٣) أن عرض وجهتى النظر (المعضدة ـ والمعارضة) بمثابة تحصين للجمهور خاصة فى أوقات الشدائد والأزمات الاجتماعية.

(٤) الاستناد إلى الشرح والتصريح بالاستنتاجات يكون أقوى تأثيراً فى عرض الرسالة الإعلامية.

(٥) لا يجب الالتجاء إلى التخويف والتهديد فى التأثير على الرأى العام، لأن ذلك يؤدى إلى تفاقم الاستجابة الانفعالية لدى الجمهور.

(٦) التكرار عامل رئيسى من عوامل التأثير فى الجمهور بشرط ألا يكون ذات تأثير سىء على الجمهور.

(٧) الاستناد إلى الحاجات النفسية وإشباعها يسهل العملية الإعلامية من خلق حاجات جديدة.

(٨) كلما كان طريق تحقيق الأهداف واضحاً محدداً أمام الجمهور كان تحول الرأى إلى سلوك أسهل وأيسر.

بهذا تناولنا العناصر الرئيسية الثلاثة التى تشكل العملية الإعلامية، وتلك العناصر هى :

(١) المستقبل بما ينتظم شخصيته من مكونات، وما ينتظم إطاره المرجعى من قيم وعادات وتقاليد وأنماط سلوكية، وكذلك خلفيته الاجتماعية والاقتصادية، ثم

(٢) الرسالة الإعلامية ذاتها وما يجب أن تتصف بها من خصائص حتى يكون لها عائد أو يكون لها استجابة لدى المستقبل ثم فى النهاية عرضنا للمرسل ومايجب أن يتسم به فى توجيهه لتلك الرسالة

الإعلامية، وتلك العناصر الثلاثة الرئيسية لاشك أنها أخذت فى الحسبان جوانب العلاقة التفاعلية بين المرسل والمستقبل من خلال ما يوجه من وسائل إعلامية وهذا من جوهر التفسير السيكولوجى للإعلام.

وسائل الإعلام:

يعتمد المجتمع الحديث اعتماداً كبيراً على أساليب ووسائل الاتصال الجماهيرى وذلك فى نقل (مادة الاتصال) التى يراد توصيلها إلى الجماهير العريضة ـ وعلى نطاق واسع، وتقوم بهذه العملية مؤسسات ضخمة تمتلكها الدولة ذاتها خاصة فى المجتمعات النامية وتستعين فى هذا بوسائل إعلامية متطورة وفعالة هى (الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والكتاب والمعارض... إلخ)، وذلك لنشر تلك المواد التى يراد توصيلها إلى تلك الجماهير العريضة وعلى نطاق واسع وأكثر انتشاراً، هذا من ناحية، إلا أنه من ناحية أخرى يجب الأخذ فى الاعتبار امكانية كل وسيلة من تلك الوسائل فى التأثير على الرأى العام، إلا أنه هناك قاسم مشترك أعظم بين تلك الوسائل وهى أنها تعتمد على الكلمة المنطوقة أو المكتوبة.

ونستطيع تقسيم وسائل الإعلام إلى وسائل سمعية كالإذاعة، أو بصرية كالصحافة والكتب، أو سمعية وبصرية فى آن واحد كالتليفزيون والسينما والمسرح، أو وسائل إعلام مكانية كالكتب والصحف والمجلات واللافتات.

إلا أننا نلاحظ أن كل وسيلة من تلك الوسائل يختلف عن الآخر من حيث طريقة الاتصال بالجماهير وأثر هذا الاتصال وقوته، فالصحف والمجلات والدوريات، يسودها الكلمة المطبوعة والصورة، ولكن الصورة فيها ساكنة وليست متحركة، وهنا يأتى دور الفيلم الإعلامى أو جهاز التليفزيون، والذى

يمتاز بالصورة المتحركة حتى يكون لها أثرها فى النفوس، هذا إذا أضفنا الكلمة إلى شرح الصورة، فإن الصورة والكلمة التى تشرحها يكون لها أبلغ الأثر فى عملية الاتصال، أما الإذاعة الصوتية فهى تعتمد على الكلمة - والمؤثرات الصوتية والموسيقى، وهى أداة اتصال ناجحة إلا أن التليفزيون أصبح يفوق تلك الوسيلة فى التأثير.

وهناك من يشير بأن الإذاعة الصوتية يمكن أن تكون أداة اتصال ناجحة، والمجال فيها واضح، ويدللون على هذا الرأى بأن الإعلان الذى يسمع ولا يرى يكون أكثر تأثيراً على المستمع فهو يثير خيال المستقبل له أكثر من الإعلان المرئى، ثم إن ما ينقل من خلال جهاز الراديو أو الإذاعة يدفع بالفرد إلى تأمله والتركيز فيه دون أن يركز على الصورة وتفاصيلها وبهذا يكون له قيمة أكبر على المتلقى.

كذلك للصحف والمجلات قوتها وتأثيرها على الرأى العام بشكل قد يفوق ما تملكه وسائل الإعلام السمعية كالإذاعة والمرئية كالتليفزيون، وذلك من حيث الوقت والمساحة فالإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح كلها وسائل موقوتة ومحددة الوقت فى عرض برامجها، فالبرامج التى تعرض تلك الوسائل لها مدة زمنية محددة، بعكس الصحف والمجلات فإنها تكون فى يد القارئ يستطيع أن يطالعها فى يده متى شاء ثم إنه بمساحتها تعرض مساحة مكانية أكبر من الوسائل المسموعة والمرئية ولذلك فإن الصحف اليومية والمجلات والنشرات الإعلامية تعد من المصادر الأساسية للإعلام الجماهيرى.

هذا من ناحية الفرق بين وسائل الإعلام فيما تمتلكه من إمكانات زمنية ومكانية وما يمكن أن تقدمه للمشاهد أو المستمع أو القارئ من مادة

إعلامية، أو إعلانية، أما من ناحية الفروق التى نجدها فى تأثير كل منها على المستقبلين (الجماهير العريضة) فإن ذلك يتوقف كما سبق الإشارة على ما ينتظم شخصية أولئك المستقبلين لتلك الوسائل كما يتوقف على الأطر المرجعية السائدة فى المجتمع وما تتضمنه من قيم وعادات وتقاليد وأساليب حضارية وأنماط سلوكية.

وتشترك وسائل الإعلام السابقة على اختلافها فى أهداف يكاد يكون هناك اتفاق عليها بين علماء الإعلام وباحثيه، وتتركز فى التثقيف، الإعلام، الترفيه، الإعلان..

هل تحل وسائل الإعلام مشاكل الشباب[١]؟:

- الشباب هم مرآة المجتمع... ومشكلاتهم أيضاً هى مشكلات للمجتمع الذى يعيشون فيه... ومن ثم فإن الاهتمام بدراسة مشكلات الشباب وعلاجها إنما هو علاج لمشكلات المجتمع كله.

وفى محاولة منه لإيجاد حل لمشاكل جيله من الشباب قام أ. عصام زيدان المدرس المساعد بقسم علم النفس كلية التربية جامعة المنصور بعمل دراسة تحليلية لمشكلات الشباب وحلولها من خلال وسائل الإعلام المختلفة «برنامج لو كنت مكانى» «وبريد الجمعة بالأهرام» لمدة خمس سنوات من واقع حياتهم اليومية... نال عنها رسالة الماجستير فى علم النفس، وعن سبب ارتباط الدراسة «بوسائل الإعلام» يجيب الباحث قائلا: إن التغيير السريع وتعقد نظم الحياة الراهنة والتطور الهائل فى شتى جوانبها العملية والتكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية جعل العبء الأكبر فى ذلك كله يقع على عاتق الشباب فيواجهون بذلك كثيراً من الصعوبات

(١) جريدة الأهرام القاهرية، فى ١٩٩٣/٤/٢٣.

المتباينة التى تترتب عليها مشكلات مختلفة شأنها أن تستنفد طاقاتهم وقوتهم هباءً... ومن هنا تنشأ مشكلات الشباب وتكثر عن غيرهم من الطوائف الاجتماعية الأخرى.. وقد يعجز هؤلاء الشباب عن معالجة هذه المشاكل بأنفسهم.. فيلجأون حينئذ لمن يأنسون لديه الاستعداد للمساعدة فى علاج هذه المشاكل بالتوجيه والإرشاد.. ويجدون أمامهم السبيل إلى وسائل الإعلام المصرية مفتوحاً ومنيراً أكثر من سواها فيسارعون ببث شكواهم إلى المحررين الإعلاميين فى أجهزة الإعلام المختلفة. ومن ثم فإن «وسائل الإعلام» تعد المصدر الأنسب لمعرفة المشكلات التى تعترض الشباب عموماً وشباب الجامعات خصوصاً لأنهم يمثلون صفوة أجيال الشباب المتعاقبة.

وتهدف الدراسة كما يقول أ. عصام زيدان إلى معرفة نوعيات أهم المشاكل وأكثرها انتشاراً لدى شباب الجامعات وما مدى اختلافها نوعاً وكماً بين الذكور والإناث ومعرفة أسبابها المختلفة.

تحديد الأسس والمعايير التى ستقوم عليها الحلول المقدمة للشباب من خلال وسائل الإعلام بواسطة المحررين الإعلاميين. ودور علماء النفس فيها تقويم أداء وسائل الإعلام فى علاج مشكلات الشباب فتح ميدان جديد للدراسات النفسية يجمع بين الإعلام والتربية وعلم النفس معاً.

وقد بلغت عينة الدراسة النظرية (٦٩) مشكلة من المشكلات الخاصة بشباب الجامعات من الجنسين التى عرضت خلال السنوات الخمس فى «بريد الجمعة بالأهرام وبرنامج لو كنت مكانى بمجلة أكتوبر» وبلغت عينة الدراسة الميدانية (٢٠٠) طالب وطالبة.

وجاءت تساؤلات الدراسة عن مجالات المشكلات الأكثر تكراراً لدى

شباب الجامعة كما عرضتها بعض وسائل الإعلام المصرية في السنوات الخمس الأخيرة من فترة الثمانينيات؟

ما أهم المشكلات لدى شباب الجامعة كما عرضتها بعض وسائل الإعلام المصرية خلال السنوات الخمس الأخيرة من فترة الثمانينيات فى المجالات المختلفة؟

ما الأسس والمبادئ والمعايير التى تقوم عليها الحلول المقدمة لمشكلات شباب الجامعة من خلال بعض وسائل الإعلام المصرية فى السنوات الخمس الأخيرة من فترة الثمانينيات فى المجالات المختلفة؟

ما مدى إسهام علماء النفس فى علاج مشكلات شباب الجامعة التى عرضتها بعض وسائل الإعلام المصرية فى السنوات الخمس الأخيرة من فترة الثمانينيات فى المجالات المختلفة؟

ما مدى ملاءمة الحلول المقدمة لمشكلات شباب الجامعة من خلال بعض وسائل الإعلام المصرية فى السنوات الخمس الأخيرة من فترة الثمانينيات فى المجالات المختلفة كعلاج لها؟

هل تعكس مشكلات شباب الجامعة التى عرضتها بعض وسائل الإعلام المصرية خلال السنوات الخمس الأخيرة من فترة الثمانينيات المشكلات الحقيقية التى تواجههم فى حياتهم المعتادة فى المجالات المختلفة؟

من هم أكثر الأشخاص الذين يثق فيهم شباب الجامعة ويلجأون إليهم لطلب الإرشاد والتوصية فى علاج مشكلاتهم؟.

وكانت النتيجة بلغ إجمالى عدد المشكلات التى عرضت من خلال المنفذين الإعلاميين «برنامج لو كنت مكانى، وبريد الجمعة» خلال

السنوات الخمس (٧٧٠) مشكلة، كان يخص شباب الجامعات منها (٩٢) مشكلة بنسبة (١٢٪)، وقد انطبقت شروط التحليل على (٦٩) مشكلة منها كانت هي عينة التحليل المباشر بنسبة (٧٥٪). وكان يخص الذكور منها (١٧) مشكلة بنسبة (٢٤,٦٪)، ويخص الإناث (٥٢) مشكلة بنسبة (٧٥,٤٪) وكانت الغالبية العظمى من مشكلات شباب الجامعات في برنامج لو كنت مكاني تخص الإناث بنسبة (٩٤٪).

وقد اتفقت نتائج تحليل المحتوى ونتائج الدراسة الميدانية في أن شباب الجامعة غير المتزوجين يواجهون مشكلات أكثر حجماً وحدة من الشباب المتزوجين وأن أغلبهم يقعون في الفئة العمرية من سن ٢١-٢٥ سنة. ولكن اختلفت النتائج في كل منها حول جنس الشباب الذى يعانى من المشكلات أكثر من الآخر.

وتأتى الدراسة الآن إلى الإجابة على التساؤلات السابقة وإجابة السؤال الأول كانت عن أكثر مجالات المشكلات تكراراً لدى شباب الجامعة من الجنسين كما عرفت من خلال الوسيلتين الإعلاميتين هى على الترتيب، مجال المشكلات الأسرية، مجال المشكلات النفسية، مجال المشكلات الاجتماعية، مجال المشكلات الدراسية، مجال المشكلات الاقتصادية، ومجال المشكلات الصحية، وذلك على خلاف ترتيبها فى نتائج الدراسة الميدانية الذى جاء كالتالى : مجال المشكلات الدراسية، مجال المشكلات الاجتماعية، ومجال المشكلات النفسية والأسرية ومجال المشكلات الصحية والبدنية ومجال المشكلات المالية والاقتصادية.

إجابة السؤال الثانى تركزت على المشكلات فى ثلاثة مجالات. وقلت فى المجالات الثلاثة الأخرى.

كانت أهم المشكلات وأكثرها لدى شباب الجامعة من الجنسين كما عرضت من خلال الوسيلتين الإعلاميتين تنتمى إلى المجال الأسرى. ويعبر بعضها عن ضعف واضطراب علاقة الشباب بأفراد أسرته، أو تفكك الأسرة، والبعض الآخر يدل على قوة هذه العلاقة والترابط والحرص بين أفراد الأسرة والتضحية من أجلها وتحمل بعض المسئوليات نحوها. أما المشكلات التى تنتمى إلى المجال النفسى فكانت أغلبيتها مشكلات عاطفية تعبر عن اضطراب العلاقة بموضوع الحب أو فشل مشروع الخطوبة أو الزواج بينما كانت المشكلات التى تنتمى إلى المجال الاجتماعى تعبر عن توتر علاقة الشباب بالمجتمع.

واتضح أن هناك اختلافاً فى نوعيات وحجم مشكلات شباب الجامعة التى عرضتها الوسيلتان الإعلاميتان عن المشكلات التى عبّر عنها شباب الجامعة مباشرة فى الدراسة الميدانية.

إجابة السؤال الثالث اتضح أن مشكلات شباب الجامعات من الذكور التى عرضت من خلال الوسيلتين الإعلاميتين تختلف فى نوعيتها وحجمها عن مشكلات الإناث فى المجالات المختلفة كما اتضح أن الإناث يعانين من المشكلات المختلفة عموماً أكثر من الذكور، وذلك على خلاف ما جاء فى نتائج الدراسة الميدانية حيث أظهرت أن الذكور يعانون من المشكلات المختلفة عموماً أكثر من الإناث.

إجابة السؤال الرابع: كانت أكثر الأسباب التى تؤدى إلى مشكلات شباب الجامعة من الجنسين التى عرضت من خلال الوسيلتين الإعلاميتين هى أسباب شخصية خاصة بصاحب المشكلة نفسه حيث يكون هو مصدر نشوء المشكلة، ثم تأتى بعدها الأسباب التى ترجع إلى اضطراب علاقات

الشباب بالأفراد المحيطين به، وبخاصة أفراد أسرته، ثم تأتى أنماط التربية وأساليب التنشئة الأسرية وبعدها الأسباب التى تنبع من المجتمع المحيط بالدراسة والتعليم أقلها تأثيراً.

إجابة السؤال الخامس: كانت أكثر الأسس والمعايير التى يعتمد عليها المحرران الإعلاميان ويستقيان منها الحلول للمشكلات تتمثل فى الاجتهاد الشخصى والثقافة العامة ثم القيم الدينية والأخلاقية ثم المعرفة العلمية فالخبرة الذاتية واتفاق تجارب الآخرين المماثلة.

إجابة السؤال السادس: اتضح أن علماء النفس لم تتح لهم الفرصة ليقوموا بدورهم فى علاج مشكلات شباب الجامعة التى عرضت من خلال الوسيلتين الإعلاميتين فى السنوات الخمس ولم يكن لهم أى إسهام فعلى فى أداء هذا الدور.

إجابة السؤال السابع: كانت أكثر الحلول المقدمة لمشكلات شباب الجامعات من خلال الوسيلتين الإعلاميتين نظرية غير إجرائية، وتقريبية تتسم بالوسطية والترجيح ولكنها كانت واقعية يسهل تنفيذها. وكان دور صاحب المشكلة نشيطاً وإيجابياً فى معظمها.

إجابة السؤال الثامن: كانت مشكلات شباب الجامعة التى عرفت من خلال الوسيلتين الإعلاميتين تختلف كثيراً فى نوعيتها وحجمها وترتيب أهميتها عن مشكلاتهم التى عبروا عنها بطريقة مباشرة ولم تعكس واقع مشكلاتهم فى الحياة اليومية المعتادة التى يعيشونها وإن كانت تمثلها جزئياً إلى حد ما.

إجابة السؤال التاسع: أظهرت النتائج أن شباب الجامعة يفضلون اللجوء

إلى الأصدقاء أولا لمساعدتهم فى علاج مشكلاتهم ويثقون فيهم أكثر من غيرهم، ثم يأتى بعد ذلك الوالدان ثم الأخوة أو الأخوات من نفس جنس الشباب، بينما جاء محررو المشكلات فى وسائل الإعلام فى مؤخرة الأشخاص الموثوق بهم المختارين

مراجع الفصل السابع

١ ـ أبو زيد (أحمد)، الاتصال، فى عالم الفكر، الكويت، عدد ٢، ١٩٨٠، ٣-١٢.

٢ ـ أحمد (محمد سيد)، الإعلام والتنمية، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٩.

٣ ـ إمام (إبراهيم)، العلاقات العامة والمجتمع، القاهرة، الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٨.

٤ ـ زهران (حامد عبد السلام)، علم النفس الاجتماعى، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٧٣.

الفصل الثامن

الدافع للإنجاز: مقدمة نظرية

- تمهيد.
- تعريف الدافع للإنجاز.
- خصائص ذوى الدرجة العليا من الإنجاز.
- مكونات الدافع للإنجاز.
- قياس الدافع للإنجاز.
- الفروق بين الجنسين فى الدافع للإنجاز.

الفصـــل الثامن

الدافع للإنجاز- مقدمة نظرية

تمهيد:

يعد دافع الإنجاز Achievement Motive مكوناً جوهرياً فى سعى الفرد تجاه تحقيق ذاته، حيث يشعر الإنسان بتحقيق ذاته من خلال ما ينجزه، وفيما يحققه من أهداف، وفيما يسعى إليه من أسلوب حياة أفضل ومستويات أعظم لوجوده الإنسانى الواعى. (قشقوش، منصور، ١٩٧٩ :١٧-١٨)، ويرى عدد كبير من علماء النفس أن حاجة الفرد للإنجاز وحاجته إلى تحقيق ذاته يمثلا أعلى الحاجات الاجتماعية التى يسعى الإنسان إلى تحقيقها، فهى لا تتضمن قدرة الفرد على الإنجاز، بل حاجته لإنجاز شيء حقيقى له قيمته فى الحياة (الغمرى، ١٩٧٩ : ١٠٦)، وهو يعنى أساساً الحافز إلى حل مشاكل صعبة تتحدى الفرد وتعترض طريقه، (عبد الخالق، النيال، ١٩٩٠، ١٤٣).

لقد برز هذا الدافع - باعتباره محوراً أساسياً من محاور الدراسة - فى ديناميات الشخصية والسلوك بحيث أصبح واحداً من منجزات الفكر السيكولوجى الحديث، وامتدت حركة البحث فى مجال سيكولوچية الإنجاز إلى كثير من المجالات النظرية والتطبيقية فى علم النفس، ويرجع الفضل فى تحديد مفهوم الدافع للإنجاز وإرساء الأسس التى يمكن أن تستخدم فى قياسه إلى موراى Murray عام ١٩٣٨ غير أن هذا المفهوم قد أخذ فى الذيوع والانتشار منذ بداية الخمسينيات من خلال الأبحاث الكثيرة والمتنوعة التى قام بها ماكليلاند واتكنسون McClelland & Atkinson وعدد كبير من الدارسين منذ عام ١٩٥٣ إلى الآن. ويلاحظ أن ماكليلاند قد اختلف عن موراى فى استخدام مصطلح (دافع الإنجاز) بدلا من مصطلح (حاجة الإنجاز)، ولكن لم يختلف مفهوم الدافع إلى الإنجاز عند ماكليلاند عما

يقصده موراى بمفهوم الحاجة إلى الإنجاز، بل إن المصادر الأصلية المتعددة لهذا المفهوم تستخدم مصطلح موراى ذاته للدلالة على ما تقصده هذه المصادر «بمفهوم الدافع إلى الإنجاز».

تعريف الدافع للإنجاز

يعرف موراى Murray الحاجة للإنجاز بأنها «رغبة الفرد وميله نحو تذليل العقبات لأداء شيء صعب بأقل قدر من الوقت مستخدماً ما لديه من قوة ومثابرة واستقلالية». وتتوافر هذه الحاجة بدرجة مرتفعة لدى من يكافحون ليكونوا فى المقدمة، ومن يكسبون قدراً كبيراً من المال، ومن يحققون المستحيل، ومن يلتمسون معياراً مرتفعاً جداً لأدائهم، أولئك الذين يضعون الإنجاز هدفاً شخصياً لهم، وينشأ دافع الإنجاز عن حاجات مثل السعى وراء التفوق، تحقيق الأهداف السامية، النجاح فى المهام الجسام، وهذا الدافع ليس ضرورياً بدرجة واضحة للاستمرار فى الحياة، وليس له أصول فيزيولوجية واضحة لدى الإنسان (عبد الخالق، ١٩٨٩ : ٤٢٧-٤٢٨) ومع ذلك فإن لهذا الدافع أهمية قصوى فى الارتقاء بمستوى الحياة ووصول الفرد إلى أهدافه.

أما ماكليلاند (McClelland, et al., 1953-342) (١٩٥٣) فيعرف الدافع للإنجاز بأنه الأداء فى ضوء مستوى محدد للامتياز والتفوق ويقدم لنا فى مؤلفه الذى صدر عام ١٩٦١ تعريفاً آخر «بأنه حاجة الفرد للقيام بمهامه على وجه أفضل مما أنجز من قبل بكفاءة وسرعة بأقل جهد وأفضل نتيجة » (McClelland, 1961)، وفى تصوره أن الدافع للإنجاز عبارة عن تكوين فرضى يعنى الشعور أو الوجدان المرتبط بالأداء التقييمى حيث المنافسة لبلوغ معايير الامتياز.

ولم يكتف ماكليلاند بدراسة أثر دافع الإنجاز على السلوك الإنسانى، بل تعداه إلى داسة أثر هذا الدافع على المجتمعات الإنسانية، وعلى درجة التقدم الاقتصادى فى هذه المجتمعات، وقد وجد ماكليلاند علاقة قوية بين

مستوى دافع الإنجاز ودرجة النمو الاقتصادى فى مجتمع معين (الحناوى، ١٩٧٤ : ٢٢٢).

ويعرف فاروق عبد الفتاح الدافع للإنجاز بأنه «الرغبة فى الأداء الجيد وتحقيق النجاح، وهو هدف ذاتى ينشط السلوك أو يوجهه، ويعد من المكونات المهمة للنجاح المدرسى» (عبد الفتاح، ١٩٨١ : ٥)، ويعرفه مرزوق عبد المجيد بأنه «الرغبة المستمرة للسعى إلى النجاح وإنجاز الأعمال الصعبة والتغلب على العقبات بكفاءة وبأقل قدر ممكن من الوقت والجهد وبأفضل مستوى من الأداء» (عبد المجيد، ١٩٩٠ : ٦٠١).

ومن ناحية أخرى يعرفه الزيات بأنه «دافع مركب يوجه سلوك الفرد كى يكون ناجحاً فى الأنشطة التى تعد معايير للامتياز، والتى تكون معايير النجاح والفشل فيها واضحة أو محدودة» (فتحى الزيات، ١٩٩٠ : ٥٤٦).

وأخيرا يعرفه الكنانى بأنه «سعى الفرد لتركيز الجهد والانتباه والمثابرة عند القيام بالأعمال الصعبة والتغلب على العقبات بكفاءة فى أسرع وقت وبأقل جهد وأفضل نتيجة، والرغبة المستمرة فى النجاح لتحقيق مستوى طموح مرتفع، والنضال والمنافسة من أجل بلوغ معايير الامتياز» (الكنانى، ١٩٩٠ : ٦١٧).

ويمكن أن نستخلص من كل تلك التعاريف التى قدمت لدافعية الإنجاز عدداً من النقاط نوجزها فيما يلى :

١ ـ أن الدافع للإنجاز دافع بشرى معقد أو مركب يتسم بالطموح والمتعة فى المنافسة، والاستقلال، وتفضيل المخاطرة، والحرص على تحقيق الأشياء الصعبة أو التحكم فى الأفكار مع حسن تناولها وتنظيمها.

٢ ـ أن الدافع للإنجاز يتسم بالسعى الجاد نحو عمل الأشياء الصعبة (باعتباره معياراً للامتياز) بأقصى سرعة وبقدر الإمكان، وتزداد فيه احتمالات النجاح على الفشل ويتجه مباشرة نحو تحقيق الهدف.

٣ ـ أن الدافع للإنجاز يرتبط بأهداف متجددة تتعلق بنمط الحضارة التى

يعيش فيها الفرد، ولذلك نجد أن التعاريف السابقة تركز على عامل المنافسة بوصفه محدداً للنشاط الإنجازى، ومن ثم فإن هذا العامل يرتبط بالعوامل الحضارية.

٤ ـ لاشك أن الدافع للإنجاز يكمن وراء سلوك الإنسان ينشطه ويدفعه ويوجهه نحو النجاح وبلوغ الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه على أحسن ما يكون، مما ينعكس أثره على ثقة الفرد بذاته وبأدائه فيدفعه إلى المزيد من الأداء الناجح فى أى شكل من أشكال النشاط الإنجازى.

٥ ـ أن الدافع للإنجاز يكتسب فى مرحلة مبكرة من عمره الإنسان ويدعم من خلال استحسان المجتمع الإنجازى للنجاح أو العقاب للفشل، ولذلك يظل ثابتاً فى شخصية الفرد إلى حد ما خلال مراحل عمره التالية ويكون له بمثابة قوة محركة وموجهة للسلوك فى آن واحد.

٦ ـ أن الدافع للإنجاز يدفع بالفرد إلى العمل المضنى والجاد لتحقيق النجاح، والناس يختلفون بشكل ملحوظ فى هذا الدافع، واختلافاتهم هذه تنعكس فيما يقومون به فى أية مهنة أو عمل فيه تنافس، فالأشخاص ذوو الحاجة الشديدة للإنجاز يبذلون جهداً فى الأعمال التى تتضمن النجاح أكبر مما يبذل أولئك الذين يتميزون بحاجة منخفضة للإنجاز، ولاشك أن هذه الفروق هى سبب نجاح كثير من الناس فيما يقومون به.

٧ ـ أن الدافع للإنجاز يؤدى بالفرد إلى أن يحتل مكانة راقية وقيمة عالية فى مجالات الإنتاج والإبداع، ولا غرو فإن من يضع الإنجاز هدفاً شخصياً له هو الذى يلتمس معياراً مرتفعاً جداً مما يؤدى به إلى أن يحتل مكانة مرموقة فى المجتمع.

٨ ـ نستطيع أن نتصور أنه إذا كان الدافع للإنجاز يتسم بالتفوق على الآخرين فى مختلف المجالات التنافسية، والاستعداد للتعاون مع الآخرين من أجل أهداف كبيرة فإن هذا قد يؤدى إلى تماسك

الجماعة وازدهارها، كما نرى ذلك فيما يطلق عليه العالم الأول بالمقارنة بالعالم الثالث الذى نعيش فيه، وبهذا نرى أن الدافع للإنجاز باعتباره دافعاً معقداً يشبع لدى الفرد غايات معينة ويؤدى إلى نمو الجماعة وازدهارها اجتماعياً واقتصادياً.

ويمكن أن نتبنى فى دراستنا التعريف الآتى الذى قدمه اتكنسون والذى أشار فيه إلى أن دافع الإنجاز «عبارة عن استعداد ثابت نسبياً فى الشخصية يحدد مدى سعى الفرد ومثابرته فى سبيل تحقيق غاية أو بلوغ نجاح يترتب عليه نوع معين من الإشباع وذلك فى المواقف التى تتضمن تقييم الأداء فى ضوء مستوى محدد من الامتياز (Atkinson, 1958)

ويلاحظ أن دافع الإنجاز ليس له أصول فيزيولوچية واضحة لدى الإنسان، فإن انصب اهتمام الفرد بإشباع إمكاناته وقدراته فإن دافع الإنجاز قد يصنف أنه دافع للنمو Groth Motive، ولكن إذا كان الاهتمام مركزاً على المنافسة بين الأفراد فيمكن اعتبار دافع الإنجاز فى هذه الحالة دافعاً اجتماعياً Social Motive (دافيدوف، ١٩٨٣ : ٤٦٤ - ٤٦٥)، وبمعنى آخر فإن الدافع للإنجاز دافع مكتسب أى يمكن تعلمه عن طريق الارتباط بين الخبرات المؤثرة وأنواع معينة من السلوك تتصف بالمنافسة والسعى وراء التفوق والرغبة فى تحقيق الأهداف السامية أو النجاح فى المهمات الصعبة والاستمرار فى أدائها.

ولاشك أن تدعيم مثل هذا السلوك إيجابياً يؤدى إلى تعلم الدافع وتقويته لدى الفرد، وبالعكس فإذا لقيت تلك الدافعية إحباطاً وعدم تشجيع واقتران بالعقاب فإن الدافع هنا لا يتكون، أو يكون ضعيفاً غير ظاهر، وبمعنى آخر فإن نمو ذلك الدافع إنما يكون بسبب الاستحسان الاجتماعى للنجاح أو العقاب للفشل. (ويتيج، ١٩٧٧ : ١٢٥)، ولقد أكد هذا المعنى ماكليلاند فى مؤلفه «دافع الإنجاز» والذى نشره عام ١٩٥٣، فقد ذهب إلى أن وجود الفروق بين أساليب الحياة فى المجتمعات المختلفة من حيث التركيز

على المنافسة والتفوق والنجاح إنما يؤدى إلى الاختلاف فى قوة هذا الدافع لدى تلك المجتمعات.

وقد أظهرت دراسات متعددة سببين أساسيين لظهور دافع الإنجاز بقوة عند شخص معين دون الآخر وهما : (١) الاستقلال الشديد الذى تمتع به هذا الشخص فى طفولته. (٢) التدعيم بجانبيه (المادى والعاطفى) والذى كان يلقاه هذا الشخص فى طفولته من والديه على سلوكه المستقل (McClelland et.al., 1953) ومن مصادر الدافعية للإنجاز الأسرة التى ينتمى إليها الفرد المنجز، والمجتمع بمؤسساته المختلفة، وهى مصادر يقوم كل منها بدور مهم فى تشكيل السلوك المتعلق بالإنجاز.

خصائص ذوى الدرجة العليا من الإنجاز

توصل ماكليلاند ـ بعد قيامه بدراسات مكثفة ـ إلى وصف كامل للشخص الذى يعد على درجة عالية من الإنجاز، وفيما يلى بيان بأهم صفات هذا الشخص:

(١) درجة المخاطرة عند هذا الشخص معتدلة إلى حد كبير، وإن كان هناك اعتقاد خاطئ، بأن هذا الشخص لابد أن يكون مخاطراً من الدرجة الأولى وعلى أية حال فقد أثبتت الدراسات أن الشخص ذو الإنجاز الضعيف يتميز بدرجة مخاطرة عالية جداً أو منخفضة جداً بعكس الشخص ذى الإنجاز المرتفع والذى غالباً ما يتميز بدرجة مخاطرة معتدلة.

(٢) يفضل الشخص ذو الدرجة المرتفعة من الإنجاز تلك الأعمال التى تقدم له فوراً عائداً عن نتائج أعماله، ودرجة تقدمه عن طريق الوصول إلى الهدف الذى حدده لنفسه، وهذا ما يمكن أن نسميه، درجة النجاح Degree of Success.

(٣) يهتم الشخص ذو الدرجة المرتفعة من الإنجاز بما يؤديه من عمل فى حد ذاته أكثر من اهتمامه بأى عائد مادى يعود عليه من إنجاز هذا

العمل، وهو دون شك يرغب في الحصول على قدر كبير من المال، لكونه مقياساً لدرجة امتيازه في أداء عمله

(٤) بمجرد تحديد هذا الشخص هدفاً لنفسه فإنه يتسنى كل ما عداه إلى أن ينجز عمله بنجاح ويحقق ذلك الهدف الذى وضعه نصب عينيه، فهو شخص متفان، لا يرضى بترك العمل فى منتصفه، ولا يقبل أن يبذل جهداً أقل من أقصى جهد لديه. (الحناوى، ١٩٧٤ : ٢٢٠-٢٢١، (McClelland, 1953, 1961

(٥) هناك خاصية أخرى لمرتفعى الإنجاز، هى أنه يتمتع بقدر كبير من الثقة بالنفس Self-Confidence، وتعنى الثقة فى قدرته الخاصة على حل المشكلات التى يواجهها، وهناك جانب آخر من جوانب الثقة بالنفس لدى مرتفع الإنجاز يتمثل فى أنه يميل إلى أن يرتاب ويشك فى آراء الخبراء، وأنه ـ بدلا من ذلك ـ يكوّن رأيه الخاص فى كثير من الشئون، حتى ولو لم يكن لديه معرفة عميقة وخبيرة بها.

(٦) يكره مرتفع الإنجاز أيضاً المهن الرتيبة (الروتينية)، ويفضل المهن التى تحدث فيها تغييرات دائمة وتحديات مستمرة، كما يكره تضييع الوقت، ولا يعبأ بإغضاب الآخرين أو مضايقتهم، إذا ما كان ضرورياً لرفع الكفاءة، وأخيراً فإنه يكون مستعداً للتضحية فى الوقت الراهن من أجل أن يجنى مزايا فى المستقبل، مثل العمل بجد بدلا من الاستمتاع والسرور، أو الإدخار بدلا من الإسراف.

وإذا كان لدى الشخص جميع هذه الصفات مجتمعة مع الذكاء، فليس من السهل أن يفشل فى تحقيق النجاح المعقول فى الحياة (عبد الخالق، النيال، ١٩٩٠، ص ١٤٩-١٥١) وعلى ذلك يمكن أن نلخص هذه الصفات التى تسم الشخص ذات الإنجاز المرتفع فى : الطموح، الجدية، حب المنافسة، التحمل، الاستقلال، تفضيل المخاطرة، الحرص على تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية، ولذلك نجد أن من يتسم بهذه الصفات

يحتل مكانة عالية وقيمة راقية في مجالات الإنتاج والإبداع (عبد الله، ١٩٩٠: ١٢٧-١٦٨).

مكونات الدافع للإنجاز

يرى أوزبل (١٩٦٩) أن هناك ثلاثة مكونات على الأقل للدافع إلى الإنجاز هي:

١ ـ الحافز المعرفي: الذى يشير إلى محاولة الفرد إشباع حاجاته لأن يعرف ويفهم، وحيث أن المعرفة الجديدة تعين الأفراد على أداء مهامهم بكفاءة أكبر، فإن ذلك يعد مكافأة له

٢ ـ توجيه الذات: ويمثله رغبة الفرد فى المزيد من السمعة والصيت والمكانة التى يحرزها عن طريق أدائه المميز والملتزم فى الوقت نفسه بالتقاليد الأكاديمية المعترف بها بما يؤدى إلى شعوره بكفايته، واحترامه لذاته.

٣ ـ دافع الانتماء: بمعناه الواسع الذى يتجلى فى الرغبة فى الحصول على تقبل الآخرين، ويتحقق إشباعه من هذا التقبل، بمعنى أن الفرد يستخدم نجاحه الأكاديمى بوصفه أداة للحصول على الاعتراف والتقدير من جانب أولئك الذين يعتمد عليهم فى تأكيد ثقته بنفسه ـ ويقوم الوالدان بدور فعال ـ بوصفهما مصدراً أولياً لتحقيق إشباع حاجات الانتماء هذه لدى أطفالهم، ثم يأتى بعد ذلك ـ فى الغالب ـ دور المعلم باعتباره مصدراً آخر لإشباع الدافع للانتماء (الشخص، ١٩٨٥: ٧٦-٧٧، Ausubel. 1969)

وقد ذهب (عبد المجيد) ١٩٨٥ إلى أن دافع الإنجاز يمكن اعتباره دالة لسبعة عوامل متعامدة هى : التطلع للنجاح، التفوق عن طريق بذل الجهد والمثابرة، الإنجاز عن طريق الاستقلال عن الآخرين فى مقابل العمل مع الآخرين بنشاط، القدرة على إنجاز الأعمال الصعبة بالتحكم فيها والسيطرة على الآخرين، الانتماء إلى الجماعة والعمل من أجلها، تنظيم الأعمال وترتيبها بهدف إنجازها بدقة وإتقان، مراعاة التقاليد والمعايير الاجتماعية المرغوبة أو مسايرة الجماعة والسعى لبلوغ مكانة مرموقة بين الآخرين

أما عبد القادر (١٩٧٧) فقد قام بتحديد دافع الإنجاز من خلال ثلاثة مكونات تمثل: الطموح العام، النجاح بالمثابرة على بذل الجهد، التحمل من أجل الوصول إلى الهدف.

أما جاكسون، أحمد، ووهبى (١٩٧٦) فقد ذهبوا إلى أن دافع الإنجاز اعتباره نتاجاً لستة عوامل أولية يظهر من خلالها هذا التكوين الكلى، وهذه العوامل هى: المكانة بين الأفراد، المكانة بين الخبرآء، التملك، الاستقلالية، التنافسية، الاهتمام بالامتياز، وقد رأى عمران (١٩٨٠) أن دافع الإنجاز نتاجاً لثلاثة مكونات أو أبعاد، حيث يفترض أن كل بعد أو مكون يغطى منطقة سلوكية مختلفة عن الأخرى، وهذه الأبعاد هى:

١ ـ البعد الشخصى: ويتمثل هذا البعد فى محاولة الفرد تحقيق ذاته المثالية من خلال الإنجاز وأن دافعيته فى ذلك دافعية ذاتية، إنجاز من أجل الإنجاز حيث يرى الفرد أن فى الإنجاز متعة فى حد ذاته، وهو يهدف بذلك إلى الإنجاز الخاص الذى يخضع للمقاييس والمعايير الذاتية الشخصية، ويتمير الفرد من أصحاب هذا المستوى العالى فى هذا البعد بارتماع مستوى كل مں الطموح والتحمل والمثابرة وهذه أهم صفاته الشخصية.

٢ ـ البعد الاجتماعى: ويقصد به الاهتمام بالتفوق فى المنافسة على جميع المشاركين فى المجالات المختلفة، كما يتضمن هذا البعد أيضاً الميل إلى التعاون مع الآخرين من أجل تحقيق هدف كبير بعيد المنال.

٣ ـ بعد المستوى العالى فى الإنجاز: ويقصد بهذا البعد أن صاحب المستوى العالى فى الإنجاز يهدف إلى المستوى الجيد والممتاز فى كل ما يقوم به من عمل (البنا، ١٩٩٠ : ٤٤-٤٦).

من خلال كل ما تقدم من تحديد الباحثين لمكونات الدافع للإنجاز نجد أن كل هذه المكونات أو الأبعاد قد استوعب معظمها فى ذلك التقسيم الذى قدمه أوزبل (١٩٦٩) فقد أشار إلى أن الدافع للإنجاز ينتظمه ثلاثة

أبعاد تشكله وتحدد سلوك الفرد بناءً عليها، وهذه الأبعاد أو المكونات هي : الحافز المعرفي، توجيه الذات، دافع الانتماء.

ونلاحظ أن هناك مفهوماً متمماً للحاجة إلى الإنجاز هو مفهوم (الخوف من الفشل) حيث إننا نجد أن كلا من النجاح والفشل لا يمكن فهمها بشكل تام إلا في سياق العلاقات بين الأفراد... ففي أي مجتمع ينهض على الإنجاز يكون النجاح هو الوسيلة الفعالة في كسب التقدير والاحترام، في حين يؤدي الفشل إلى فقدان الاعتبار والتقدير. وهناك ثلاثة أسباب أساسية للخوف من الفشل هي: تضاؤل تقدير الذات، هبوط قيمة الفرد بصورة عامة، وفقدان الجزاء نتيجة للانتقال إلى الإنجاز الشخصي، (١٩٨٥ : ٧٧).

وإذا كان موراى Murray قد رأى أن الدافع للإنجاز يندرج تحت حاجة كبرى أعم وأشمل وهي الحاجة إلى التفوق، فقد عرف اتكنسون النشاط المنجز بأنه النشاط الذي يقوم به الفرد ويتوقع أن يتم بصورة ممتازة. ويزعم أن هذا النشاط المنجز يكون محصلة صراع بين هدفين متعارضين عند الفرد هما : الميل نحو تحقيق النجاح، والميل نحو تحاشي الفشل، يمكن التعبير عن الميل نحو تحقيق النجاح وما بينهما من تفاعلات على نحو ما جاء في معادلة اتكنسون الآتية:

$$Ts = Ms \times Ps \times Is$$

أي أن الميل إلى إحراز النجاح Ts = الدافع لإحراز النجاح Ms × قيمة الحافز على النجاح Is

حيث أن :

Ts : تعني الميل لإحراز النجاح The Tendency of Achieve Success والذي هو وظيفة لاستعداد ثابت فطري أو مكتسب، وهذا الميل دالة لثلاثة متغيرات هي:

١ ـ Ms وتعنى الدافعية لإحراز النجاح The Motive to Achieve Success .

٢ ـ Ps وتعنى القوة التوقعية أو الاحتمالية للنجاح The Strenght of Expectacy or Probabiltiy of Success .

٣ ـ Is وتعنى القيمة الحافـــزة على النجاح أو قيمة حافز الأداء للنجاح Incentive Value of Success .

ويمكن التعبير عن الميل نحو تحاشى الفشل وما تتضمنه من تفاعلات على النحو التالى:

Taf = Maf x Paf x Iaf

حيث أن:

Taf : تعنى الميل لتحاشى الفشل الذى هو دالة لاستعداد فطرى أو مكتسب
Maf : تعنى الدافع إلى تجنب الفشل.
Paf : تعنى توقع الفشل حيث أن Paf = 1 - Ps .
Iaf : تعنى قيمة حافز الأداء للفشل

ومن ثم نجد أن نظرية التوقع ـ القيمة توضح العلاقات الرياضية التى تنبأت بميل الفرد للإقدام على النجاح أو تجنب الفشل من خلال النشاطات المرتبطة للإنجاز، وهذا التنبؤ يحدده التفاعل بين مكونات متوازية هى فى حالة الميل للإقدام على النجاح على النحو التالى:

١ ـ استعداد أو دافع ثابت على النجاح (Ms).
٢ ـ احتمالات النجاح أو توقعه (Ps).
٣ ـ جاذبية الحافز الخارجى للنجاح أو قيمته (Is).

كما أن الميل لتحاشى الفشل محصلة عوامل ثلاثة متوازية هى:

١ ـ استعداد أو دافع ثابت نسبياً لتجنب الفشل (Maf).
٢ ـ احتمالات الفشل أو توقعه (Paf).
٣ ـ جاذبية الحافز الخارجى للفشل أو قيمته (Iaf).

ويمكن الحصول على ناتج الإنجاز بطرح المعادلتين السابقتين.

ناتج الإنجاز : (Ms Maf) (Psi - Ps)، ويعنى هذا أنه فى مواقف الإنجاز المتعددة يختلف سلوك الأفراد باختلاف ميولهم للإقدام أو الإحجام ومن ثم فقد أوضح اتكنسون أن نتائج الدافع إلى الإنجاز عبارة عن استعداد ثابت نسبياً عند الفرد «الدافع إلى النجاح مطروحاً منه الدافع لتجنب الفشل متفاعلا مع احتمالات النجاح أو الفشل بالإضافة إلى قيمة الحافز الخارجى للنجاح والفشل.

أى أن الدافع إلى الإنجاز (Atkinson, 1957) يتكون من شقين رئيسيين : الأول استعداد ثابت نسبياً عند الفرد لا يكاد يتغير عبر المواقف المختلفة، أما الثانى فهو خاص باحتمالات النجاح أو الفشل وجاذبية الحافز الخارجى الموجب للنجاح أو قيمة الحافز السالب للفشل. (موسى، أبو ناهية، ١٩٨٨ : ٨٣-٩١، Winer, 1978: 1-31 Atkinson, 1957 : 329-372).

قياس الدافع للإنجاز

يتم قياس الدافع للإنجاز بطريقتين : الطريقة الإسقاطية، والاستخبارات وتتضمن الطريقة الأولى اختبار تفهم الموضوع (T.A.T) من وضع موراى. وهى طريقة إسقاطية للتمييز بين المستويات المختلفة للحاجة للإنجاز حيث يواجه الفرد الذى يطبق عليه هذا الاختبار بصور غامضة «غير واضحة ويطلب منه أن يحكى قصة عنها. وقد اعتقد موراى أن الأفراد، وهم ينسجون القصص يسقطون Project حاجاتهم ومخاوفهم وآمالهم وصراعاتهم على صفات الشخصيات المعروضة عليهم، ومن ثم فإن موراى يفترض أن هذه القصص أو الأوصاف التى يشير إليها الفرد تكشف عن الحاجة للإنجاز لديه.

وقد قام علماء النفس : ماكليلاند، اتكنسون، كلارك، لويل بتعديل اختبار تفهم الموضوع لقياس دافع الإنجاز، ووضع ماكليلاند ومعاونوه محكات دقيقة للتصحيح لتقديم هذا النوع من التخيل.

وهذا الاختبار الإسقاطى معقول ومنطقى ودقيق، ويفى بالغرض منه فى إطار حدود معينة فقد حصلت مجموعة مختلفة من علماء السلوك متبعين قواعد ماكليلاند، على درجات متماثلة لقصص معينة، وهناك أيضاً دليل على أن اختبار ماكليلاند لدافع الإنجاز يقيس ما وضع لقياسه، فمن المحتمل أن يظهر الأفراد الذين ينسجون قصصاً تحتوى على قدر كبير من خيال الإنجاز علامات على حاجاتهم لتحقيق التفوق فى مجالات أخرى مثل المدرسة، ومع ذلك فإنه من الصعوبة بمكان تحقيق هذا التفسير باستخدام قصة واحدة، ومن الممكن أن يعكس الخيال كلا من الخبرات الشخصية السابقة أو الرغبات أو المخاوف، ولكنه قد لا يعكس الدوافع، بالإضافة إلى ذلك، يظهر الاختبار تميزاً داخلياً يجب أن نكون مدركين له ونظراً لأنواع المواقف المستخدمة لاستثارة الحاجة للتفوق، كذلك طرز الصور المستخدمة لتقدير الحاجة، يكون مقياس ماكليلاند أكثر صلاحية لاكتشاف دوافع الإنجاز فى الجوانب العلمية والعقلية، وتلك الخاصة بالإنجازات الموجهة لتحقيق المهن الخاصة بأفراد الطبقة المتوسطة، ولا تقيس النسخة المعدلة لاختبار تفهم الموضوع الحاجة للإنجاز القائمة على العلاقة بالآخرين. كذلك ليس من طبيعة الاختبار تقدير نوع دافع الإنجاز الذى يمكن التعبير عنه فى ملعب كرة السلة مثلا أو أثناء تشييد منزل ما. (دافيدوف، ١٩٨٣ : ٤٦٦-٤٦٨).

أما الطريقة الثانية فهى طريقة الاستخبارات. وهنا نتناول بالشرح ثلاثة مقاييس تستخدم لقياس دافع الإنجاز، والمحك فى اختيارنا لهذه المقاييس الثلاثة هو أنها مقاييس فى متناول الباحثين، تم تقنينها على عينات مصرية وكان لها معاملات ثبات وصدق مرتفعة تسمح باستخدامها باطمئنان، وهذه المقاييس الثلاثة هى:

* مقياس (راى ـ لن) للدافع للإنجاز.
* استخبار الدافع للإنجاز ـ هرمانس.
* مقياس أيزنك/ ويلسون للتوجه نحو الإنجاز.

مقياس (راى ـ لن) للدافع للإنجاز:

وضع «لن» هنا المقياس عام ١٩٦٠ وطوره «راى» فى السبعينيات ويتكون من ١٤ سؤالا، يجاب عنها بـ «نعم ـ غير متأكد ـ لا» وللتحكم فى وجهة الاستجابة بالإيجاب تم عكس مفتاح تقدير الدرجات (التصحيح) فى نصف عدد العبارات. والدرجة القصوى هى ٤٢. وللمقياس ثبات يزيد على ٧٠, فى سبع دول تتحدث الإنجليزية وله معاملات صدق لا تقل عن نظيراتها فى المقاييس الطويلة، وبرهن «راى» على صدقه واستخرج معايير له فى أربع دول. وقد ترجم أحمد عبد الخالق هذا المقياس، وأجريت له التصويبات والمراجعات والتعديلات المناسبة، وحسب ثبات الاتساق الداخلى لمقياس الدافع للإنجاز وذلك بقسمته إلى نصفين، ووصل معامل الثبات إلى ٦٩، وذلك بعد تصحيح الطول بمعادلة سبيرمان براون، (عبد الخالق، النيال، ١٩٩٢ : ٦٣٧-٦٥٣).

استخبار الدافع للإنجاز : Achievement Motivation Questionaire

حاول هرمانس (Hermamns, 1970) بناء استخبار الدافع للإنجاز بعيداً عن نظرية أتكنسون، وذلك بعد أن حصر جميع المظاهر المتعلقة بهذا التكوين. وقد انتقى منها الأكثر شيوعاً على أساس ما أكدته البحوث السابقة وهى : مستوى الطموح، السلوك المرتبط بقبول المخاطرة، الحراك الاجتماعى، المثابرة، توتر العمل، إدراك الزمن، التوجه نحو المستقبل، اختيار الرفيق، سلوك التعرف، سلوك الإنجاز.

ويتكون الاستخبار من ٢٩ عبارة متعددة الاختيار، وقد قام رشاد عبد العزيز، وصلاح أبو ناهية (١٩٨٧) بترجمة الاستخبار وتقنينه على عينة مصرية من الطلبة والطالبات، وقد وصل معامل ثباته بطريقة إعادة التطبيق إلى ٦٨, : ٨٣, لعينتى الذكور والإناث من طلاب الجامعة على التوالى أما صدقه فقد قام الباحثان بتطبيق استخبار الدافع للإنجاز ومقياس التوجه نحو الإنجاز من إعداد أيزنك وويلسون (Eysenck & Wilson, 1975) على

العينتين السابقتين ذاتهما من الذكور والإناث، وكان معامل الارتباط بين المقياسين ٧٨, : ٨٠, لعينتى الذكور والإناث على التوالى. (موسى، أبو ناهية، ١٩٨٨ : ٨٣-٩١). وفى دراسة أخرى استخدم فيها المقياس ذاته (موسى، ١٩٩٠) تم إعادة حساب ثبات الاستخبار وصدقه بالطريقة والمحك السابقين كليهما ووصل معامل الثابت إلى ٨٤,، ٨١, لعينتى الذكور والإناث على التوالى، ووصل معامل الصدق إلى ٧٦, : ٧٨,، لعينتى الذكور والإناث على التوالى. ويتضح مما سبق أن لاستخبار الدافعية للإنجاز خصائص سيكومترية مرضية من حيث الثبات والصدق. (موسى، ١٩٩٠ : ١٠٨-١٢٢).

مقياس التوجه نحو الإنجاز Achievement Orientation

وقد أعده أيزنك وويلسون (Eysenck & Wilson, 1975) ضمن استخبار يتضمن سبعة مقاييس فرعية تقيس المزاج التجريبى/ المثالى. ويتكون المقياس من ٣٠ بنداً يجاب عنها بـ «نعم، غير متأكد، لا». وقد ترجم كاتب هذه السطور هذا المقياس وأجرى له التعديلات المناسبة، وتم حساب معاملات ثباته وصدقه بطريقة التحليل العاملى وذلك فى دراستين اختلف فيهما عدد أفراد العينات، ففى الدراسة الأولى، وكان (ن = ٢٠٠) لكل من الذكور والإناث فى المرحلة الجامعية، وصل معامل الثبات العاملى إلى ٧٧, : ٧١, لكل من عينتى الذكور والإناث على التوالى، ووصل الصدق العاملى إلى ٨٧, : ٨٢, لكل من عينتى الذكور والإناث على التوالى، وفى الدراسة الثانية كانت العينة قوامها (ن = ٦٨ للذكور، ٦٤ للإناث) من طلبة المرحلة الجامعية، وقد وصل الثبات العاملى فى هذه الدراسة إلى ٧٩, : ٧٢, لكل من عينتى الذكور والإناث على التوالى ووصلت معاملات الصدق العاملى إلى ٨٢, : ٨٣,. لكل من عينتى الذكور والإناث على التوالى مما يشير إلى أن مقياس التوجه نحو الإنجاز هو مقياس على درجة مرضية من الثبات والصدق. (عبد الله، ١٩٩٠ : ١٢٧-١٦٨).

الفروق بين الجنسين في الدافع للإنجاز

فيما يتعلق بالفروق بين الجنسين فى دافع الإنجاز ـ وعلاقته بسمات الشخصية نجد أن هناك وجهات من النظر متعارضة تماماً فى النظر إلى هذا الدافع ومؤثراته والعوامل التى تعوقه لدى الإناث خاصة، وربما ينشأ هذا التعارض نتيجة الأطر الثقافية والاجتماعية للباحث ذاته، أو منهج البحث المتبع، وغلبة الإطار الثقافى لمجتمع الباحث على تفسيراته، ولذلك نجد كثيراً من الباحثين ـ انظر : 14 ,(Maccoby & Jaklin, 1974) ـ يؤكدون على أن الإنجاز يكون محدداً عبر المفاهيم السائدة فى ثقافة الباحث، وهو هنا يعنى الثقافة الغربية، ولكن يتفق معه فى وجهة النظر هذه كثير من الباحثين سواء فى مصر أم فى خارجها. وهنا نعرض لبعض من وجهات النظر موضحين جوانبها المتعددة.

وجهة النظر الأولى:

ترتبط الدافعية للإنجاز بعناصر البناء النفسى لكل من الذكور والإناث، وهذه العناصر تضعهم فى موضع متميز من حيث النجاح المهنى (حسين، ١٩٨٨ : ٢٩-٣٩) إلا أن ثمة شعوراً كامناً بالتدنى وعدم الكفاءة ينتاب المرأة (حسن، ١٩٨٩ : ١٩-٣٢)، ولما كان تقدير الذات يمثل مؤشراً لمدى قدرة المرء على تأكيد ذاته، ولأن المرأة تعرف أنها تنتمى لجنس يقلل من قيمته عبر طرق متعددة مما يفضى لأن يكون لها رأى منخفض فى نفسها (حسن، ١٩٨٩ : ١٩-٣٢) فإن هذا يمكن أن ينعكس على أدائها وسلوكها الإنجازى عامة، وأحد أسباب انخفاض ثقة المرأة فى أدائها، وبالتالى تأكيدها لذاتها فيما يتعلق بالمهام المستقبلية هو شعورها بأنها فى وضع أقل وهى بصدد السعى، أو محاولة تحقيق أهدافها، أو أنها أقل سيطرة على أقدارها (Maccoby & Jaklin, 1974 : 158)، ثم إننا نجد أن الإناث ملتزمات بالواقع، المعتقدات الشائعة والتقليدية، وأكثر ميلا للمحافظة على الوضوح حول الذات والبيئة، وأقل تفرداً، وأكثر اعتماداً على الغير، ومن ثم فإن

النجاح فى المهام التقليدية هو الأسلوب المعتاد من قبل الإناث لتحقيق مشاعر التقدير حول ذواتهن ومن ناحية أخرى، فإنه نظراً لأن المرأة غير متيقنة حول ما هو سوى أو مرغوب فإن عديداً منهن لا يعملن ولا يملن إلى المشاركة فى أدوار أو السعى وراء أهداف (غير تقليدية) تهدد علاقاتهن الانتمائية المهمة، لأنهن ـ من ناحية ـ يجدن فى هذه العلاقات معظم مشاعر التقدير والإحساس بالهوية (Bardwick & Douvan, 1971 : 155). ومن ناحية أخرى فإن لديهن تخوفاً من النجاح ويتمثل هذا التخوف فى اعتقادهن بأن نجاحهن سوف يعود عليهن ببعض النتائج السلبية كالرفض الاجتماعى أو وصفهن بأنهن لا يتمتعن بالأنوثة، ومن ثم فهن يتحاشين مواقف التنافس والكشف عن مظاهر الاقتدار فى سلوكهن وبالتالى ينأين بأنفسهن عن تحقيق الإنجازات العقلية، وكذلك فإن إدراك الإناث لهذه النتائج السلبية فى سلوكهن يكف لديهن سلوك الإنجاز بالقدر نفسه الذى يستجيب به الذكور (حسين، ١٩٨٨ : ٢٩-٣٩).

ويبدو أن أسلوب تنشئة الأبوين الذى يباين بين الذكور والإناث حيث يشجع الذكور على أن يكونوا منجزين أكثر من الإناث يمكن أن يعزى إليه السبب فى هذه النتائج السلبية بالنسبة للبنت، فلاشك أن الأسرة لها تأثيرها فى تكوين حاجات الإنجاز الأكاديمى، والعقلى والموجهة مهنياً، ويؤكد آباء الصبية الذين يحصلون على درجات عالية فى اختبار دافعية الإنجاز على أهمية النجاح والاستقلال وهم يكافئون أولادهم على الإنجازات، كأن يصبحوا رواداً، هذا فضلا عن أمور أخرى مثل: تكوين الصداقات، ومحاولة القيام بالمهام الصعبة بأنفسم، والمثابرة فى الأداء حتى يتم تحقيق الانتصار، كى تميل أمهات الصبية ذوى الحاجات القوية للإنجاز وأباؤهم إلى الاشتراك انفعالياً فى الأعمال التى يؤديها أولادهم والتى ترتبط بالإنجاز، ويضع هؤلاء الآباء معايير مرتفعة للتفوق ويرفعون من توقعاتهم كلما أحرز أولادهم الذكور تقدماً، أما بالنسبة للإناث فإن الإنجازات العلمية والعقلية تعد غير ملائمة بالنسبة لهن، وتؤدى الطرق التى تتبع فى تنشئة البنت إلى إحباط

هذا النمط من الدافعية للإنجاز، ويميل الوالدان إلى حماية بناتهن من الخطر ويكافئون التبعية، كذلك لا يحتمل أن يضغطوا على بناتهم لتنمو شخصيات مستقلة لديهن، حتى الأمهات اللاتى يشغلن وظائف ذات مستوى يقتضى ثقافة أو علماً، يضعن أهدافاً وظيفية للأولاد أعلى من تلك التى يفكرون فيها بالنسبة للبنات، وتقوم المدرسة أيضاً بدور مهم فى إحباط الدافع للإنجاز لدى البنات، فلأن الدافع للإنجاز ينمّى فى مرحلة مبكرة من عمر الإنسان، فإننا نلاحظ أنه خلال السنوات الأخيرة من المدرسة الابتدائية تستخدم أنماط التغذية المرتدة والتى تشجع التمكن والكفاءة فى مواقف الإنجاز لدى الأولاد، بينما لا يشجع هذا السلوك عند البنات، كذلك يلاحظ أن المدرسين يميلون إلى انتقاد الخصائص العقلية لأدآء الطالبات، وعلى النقيض من ذلك يميلون إلى عقاب الطلبة على أدائهم الضعيف أو نقص الدافعية لديهم أو انخفاضها والجوانب غير العقلية الأخرى فى أدائهم، ويبدو أن تلك الأساليب تؤدى إلى توقعات معممة General Expectations، حيث إنه يصادف الأولاد عقبات فى مواقف الإنجاز - فإنهم يميلون إلى افتراض أنهم يحتاجون إلى الانكباب على العمل وبذل المزيد من الجهد. ولكن عند مواجهة البنات لصعوبات تتعلق بالإنجاز يملن إلى القاء اللوم على قدراتهن ويشعرن بالإحباط (دافيدوف، ١٩٨٣ : ٤٦٩-٤٧٠).

وهذا هو ما تؤديه بقية موسسات المجتمع الأخرى كوسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، ودور العبادة، والنوادى والمؤسسات الترفيهية، وأيضاً لا نغفل دور الأقران، وهذه جميعها محددات داخلية وقيم ومعايير مستدمجة تكف دافعيتها للإنجاز وتعوقها فى إطار عملية التنميط الجنسى والاجتماعى للذكور والإناث.

ولاشك أن المرأة لديها حاجة للإنجاز فى المهارات الاجتماعية والتى تعد قطاعات ملائمة لدورها الجنسى، وأنها ليست أكثر حساسية بالضرورة للتقبل الاجتماعى إلا أنه يمكن القول بأن توافر الرغبة للنجاح والإنجاز لدى المرأة قد يفقد فاعليته من خلال التنميطات الثقافية والاجتماعية لدور المرأة

وطموحها بشكل يجعلها تتجه إلى إحراز النجاح فى مجالات بعيدة عن العمل المهنى وأقرب إلى إشباع الميل إلى الاستحسان الاجتماعى (حسن، ١٩٨٩ : ١٩-٣٢).

وجهة النظر الثانية:

أسفرت نتائج بعض البحوث السيكولوجية فى مجال دافعية الإنجاز عن عدم وجود فروق بين الجنسين (الذكور والإناث) فى هذا الدافع، وكان التفسير المطروح لتلك النتائج أن ذلك يرجع إلى فتح أبواب التعليم لكل من الذكور والإناث، وإتاحة الفرص التعليمية والعلمية للجنسين معاً، وأيضاً اختفاء النظرة الوالدية إلى حد ما إلى الكائن البشرى سواء لكونه ذكراً أم أنثى، فكلاهما أصبحا سواسية يلاقيان المعاملة الوالدية والرعاية والاهتمام ذاتها فى غرس مفاهيم الاستقلال والإنجاز لديهما، وزيادة تطلعات كل من الجنسين إلى مكانة اجتماعية أرقى فى المجتمع، وربما يرجع إصرار الأنثى على التفوق والنجاح والمثابرة والتحمل إلى حيل دفاعية من قبل الأنثى تعويضاً لما لاقت من غبن فى مكانتها الاجتماعية من المجتمع، فلذا فإنها تحاول بإصرار وباجتهاد أن تتفوق وتثبت وجودها فى أى مجال من المجالات الحياتية، أى أن المفاهيم الثقافية المرتبطة بالجنس قد تغيرت تغيراً ملحوظاً بالمقارنة إلى تلك المفاهيم التى كانت سائدة من فترة خلت والتى كانت تنظر إلى الأنثى ككائن له دور اجتماعى محدد لا يتجاوزه ولا يتعداه، دور ينظر إلى الأنثى على أنها مخلوق ناقص عاجز لا يستطيع أن يفعل شيئاً (موسى، أبو ناهية، ١٩٨٨ : ٨٣-٩١).

وإذا كان لنا أن نأخذ بأى من هاتين الوجهتين، فنحن نأخذ بوجهة النظر الثانية والتى تشير إلى عدم وجود فروق بين الجنسين (الذكور والإناث) فى هذا الدافع وذلك لتغير المفاهيم الثقافية المرتبطة بالجنس، ونرفض وجهة النظر الأولى والتى تشير إلى أن الدافعية للإنجاز ترتبط بعناصر البناء النفسى لكل من الذكور والإناث وهذه العناصر تضع كل منهم فى موضع متميز

من حيث النجاح المهنى ذلك أن قيام حركة التحرر النسائى، ودعوات المساواة بين الرجل والمرأة والتأكيد على حقوق المرأة فى مجالات الحياة المختلفة، وغير ذلك من المبررات التى ورد لها ذكر فى عرض هذه الوجهة من النظر. كل ذلك يدفعنا إلى الإشارة مع بحث (موسى، أبو ناهية، ١٩٨٨ : ٨٣-٩١) وغيرهم إلى أن الدافع للإنجاز لدى المرأة قد لا يتأثر أو يتشكل مباشرة بالمتغيرات الأسرية أو الأطر الثقافية الخاصة لقيم المجتمع فقط، وإنما فى رأينا يتأثر مباشرة بديناميات الشخصية المنجزة هذا مع عدم إغفالنا بقية العوامل الأخرى. ثم إن اتجاه التطور قد ساعد على تدهور كل هذه المبررات التى ساقتها وجهة النظر الأولى.

وفى الفصل التاسع نتعرض للشخصية الإنجازية وديناميتها فى محاولة منا لفهم الدافع للإنجاز وتفسيره، وذلك فى ضوء نظرية سلوكية مبينين معوقاته وكيفية تنميته.

الفصل التاسع

الشخصية الإنجازية: نظرية سلوكية

- تمهيد.
- مقومات الشخصية الإنجازية.
- الكف والإثارة ودورهما فى الإنجاز باعتباره أداء.
- بعض الأدلة التجريبية على صدق النظرية.
- معوقات الدافع للإنجاز.
- تنمية الدافع للإنجاز.
- مراجع الفصلين الثامن، والتاسع.

الفصـل التاسع
الشخصية الإنجازية ـ نظرية سلوكية

تمهيد:

يمكن للمتتبع للبحوث التى أجريت فى موضوع الدافع للإنجاز سواء فى مصر أم خارجها أن يجد أن تلك البحوث قد ركزت على تناول الدافع للإنجاز فى ذاته من حيث نشأته ومكوناته وقياسه، والتأثيرات العامة على الدافعية والسلوك فى موقف الإنجاز، ومعوقاته، أو فى علاقته بمتغيرات عقلية وإدراكية أو مزاجية تشكل شخصية الإنسان وتحدد سلوكه عامة، أو تناوله فى علاقته بمتغير الجنس أى الفروق بين الجنسين، أو تناوله فى ثقافات مختلفة، ولكن الملاحظ أن هذه البحوث لم تشر بما فيه الكفاية إلى المقومات الأساسية فى شخصية الفرد المنجز والتى تعد مقومات أساسية لهذا الإنجاز، وسنعرض فى هذا الفصل نظرية سلوكية فى تفسير الشخصية الإنجازية. ولذلك نتعرض هنا للكف والإثارة ودورهما فى الإنجاز باعتباره أداء، ثم بعض الأدلة التجريبية على صدق هذه النظرية، ثم نتعرض لمعوقات هذا الدافع ونختم الفصل بكيفية الدافع للإنجاز.

مقومات الشخصية الإنجازية:

دلت الدراسات فى مجال الشخصية وعلم النفس التربوى أنه لكى يتفوق الفرد فى مجال ما ولكى يحقق أهدافه وأهداف المجتمع الذى يعيش فيه، ولكى ينجح فى المهام الصعبة التى توكل إليه فإنه لابد أن يتوافر له أمران عل جانب كبير من الأهمية (بعد تثبيت عامل الذكاء) وهما:

الأول: ضرورة توافر مستوى دافعى مرتفع أو حافز قوى للإنجاز أو الأداء يستثير الجوانب المعرفية والانفعالية للفرد.

فقد أثبتت البحوث الحديثة أن الحافز يكون أكثر حثاً ودافعية عندما يفضى النجاح فوراً إلى الحصول على فرص قيمة فى المستقبل، كما يستثير

الباحث ذكريات الأداء السابق فى المواقف المماثلة، وتؤثر الذكريات بدورها على التوقعات حول إمكانية الوصول إلى الهدف، وتحدد الدافعية والقلق وضع الهدف وتحديد مدى الاجتهاد والمثابرة، وحتى عندما تكون الدافعية مرتفعة إلى الحد الأمثل (الدافعية المرتفعة جداً يمكن أن تسبب مشكلات والقلق منخفضاً) فإن النجاح يعتمد الى حد ما على قدرة الشخص وذكائه ومهاراته، ولكى يمكن التنبوء بكيفية أداء شخص ما فى موقف إنجازى معين يجب أن نضع كل تلك العوامل فى اعتبارنا (دافيدوف، ١٩٨٣ : ٤٦٨-٤٦٩).

والثانى: معدل بطىء لنمو الكف الاستجابى (Lynn, 1959 : 213-216) بحيث لا يعوق إنجاز الفرد أو أداءه فى أى مجال من المجالات. فلقد ثبت أن إمكانيات الكف غالباً ما تكون أكبر لدى الانبساطيين، وإمكانيات الإثارة أكبر لدى الانطوائيين. ومعنى هذا أن أى نشاط يمارسه المنبسط يثير كفاً، وهذا الكف يتكون بالتدريج إلى أن يوقف النشاط، فإذا لم تكن هناك فترة راحة طويلة فإن النشاط سيتوقف كلياً. وإذا كان للشخص أية حرية فى الاختيار فإنه ينتقل عندئذ إلى نشاط آخر، ومن الناحية الأخرى فحيث إن الانطوائى أقل كفا بكثير خلال عمله فإنه سوف يكون قادراً لذلك على الاستمرار فى العمل لفترة أطول كثيراً.

وعلى أساس هذين العاملين يمكننا تفسير الفروق الفردية بين الأفراد فى القدرة على العمل الناجح الذى يتسم بالإنجاز.

والدافع للإنجاز يمكن أن يعالج من خلال وجهتين من النظر قد تختلفان فيما بينها ولكنهما تتكاملان، ولا نستطيع أن نعزل بينهما فى سلوك الفرد وأدائه، وهاتان الوجهتان هما:

الإنجاز باعتباره دافعاً أو ما يرادف الميل للإنجاز.

الإنجاز باعتباره أداء وهنا يرادف التحصيل الأكاديمى (الأعسر، وآخرون).

وفى هذا الفصل نأخذ بوجهة النظر الثانية، ولذلك لا نتناول الإنجاز فى حد ذاته ولكننا نتناول ديناميات الشخصية المسهمة فى الإنجاز ـ بوصفه أداء، ونجد أنه من الضرورى تناول الدافع للإنجاز فى علاقته ببعض السمات المزاجية للشخصية لدى كل من الجنسين.

لقد تركز الاهتمام فى السنوات الماضية على دور السمات المزاجية للشخصية فى أداء الفرد وتحصيله الدراسى بمستوياته المختلفة، بل إننا قد وجدنا كثيراً من الباحثين يشيرون إلى أننا لو أضفنا مقاييس الشخصية إلى بطارية الأدوات التى تستخدم فى قياس الجوانب العقلية المتعلقة بالتحصيل فإننا نستطيع أن نحصل على صورة واضحة وكاملة عن شخصية الفرد، وقدرته على التحصيل بل إن هذه الاختبارات يمكن أن تتيح للباحث القدرة على التنبوء بأداء الفرد وتحصيله ومستوى هذا التحصيل.

لقد أجريت بحوث عديدة تناولت العلاقة بين الإنجاز بوصفه أداء (التحصيل الدراسى) والسمات المزاجية للشخصية، ويمكننا أن نميز فى هذه البحوث بين ثلاثة خطوط رئيسية أو اتجاهات أساسية فى البحث هى:

الاتجاه الأول : الاتجاه التنبؤى Predictive Approach

الاتجاه الثانى : الاتجاه التمييزى Discriminative Approach

الاتجاه الثالث: الاتجاه التفاعلى Interactional Approach

ويتمثل الاتجاه الأول فى تلك الدراسات التى حاولت التنبؤ بالإنجاز (التحصيل الدراسى) عن طريق دراسة الشخصية والميول والاتجاهات وغيرها مما ينتظم شخصية الفرد من مكونات تحدد سلوكه وتساهم فى إنجازه وأدائه بشكل متميز، بنيما يقارن الاتجاه الثانى بين منخفضى الإنجاز (التحصيل) ومرتفعى الإنجاز (التحصيل)، أما الاتجاه الثالث فيؤكد على عملية التفاعل بين الإنجاز بوصفه أداء (ما يرادف التحصيل الدراسى) والسمات المزاجية.

فى الاتجاه التنبؤى يقيس الباحث إنجاز التلميذ أو تحصيله الدراسى

والسمة أو السمات الانفعالية فى الوقت نفسه ثم يقارن الأثر النسبى للسمة بأثر الاستعداد للإنجاز أو للتحصيل الدراسى، أما فى الاتجاه المقارن فيقوم الباحث بتطبيق مقياس للاستعداد كوسيلة لاختيار عينة من التلاميذ منخفضى الإنجاز (التحصيل) وعينة من مرتفعى الإنجاز (التحصيل)، فإذا كان إنجاز التلميذ أو تحصيله أعلا . مما تنبأت به درجته فى اختبارات الاستعدادات العقلية عدُّ مرتفع الإنجاز (التحصيل) أما إذا كان إنجازه أو تحصيله أقل مما تنبأت به درجاته فى الاستعدادات عدُّ منخفض الإنجاز (التحصيل). بعد ذلك يطبق الباحث على المجموعتين اختبارات السمات الانفعالية لمعرفة ما إذا كانت هناك فروق دالة بين درجاتهما أم لا، أى أن الباحث فى هذين الاتجاهين يقيس كلا المتغيرين: الإنجاز (التحصيل الدراسى) والسمات الانفعالية للشخصية، أما الاتجاه الثالث وهو الاتجاه التفاعلى فإنه يفترض تأثيراً متبادلاً بين المجموعتين من المتغيرات، فالإنجاز أو التحصيل الدراسى يتأثر بسمات الشخصية الانفعالية، كما أن خبرات النجاح والفشل فى الدراسة تؤثر بدورها فى سمات الفرد وشخصيته (عبد السلام، سليمان، ١٩٧٩) لقد ظل دور السمات المزاجية فى الإنجاز بوصفه أداء أو فى التحصيل الدراسى يكتنفه الغموض لفترات طويلة ماضية حتى بدأت تتبلور هذه السمات فى صورة النظريات التجريبية والعاملية واستخدامها فى البحوث المتعلقة بمجالات الحياة المختلفة هنا فقط أصبح دورها واضحاً وإسهامها فى الشخصية والسلوك لا يغفله أحد.

والمتعمق فى تلك البحوث والتى تناولت العلاقة بين الإنجاز بوصفه أداء أو ما يرادف التحصيل الدراسى والسمات المزاجية للشخصية بعامة يلاحظ أن هناك سمات مزاجية معينة يغلب دراستها فى علاقتها بالإنجاز بوصفه أداء، منها :

أولاً ـ سمة العصابية: وتقوم هذه السمة مقام الحافز Drive ومن ثم يمكن أن تساعد أو تسهل الأداء الجيد أو الإنجاز الجيد فى أى شكل من

أشكاله، أو قد تتدخل فى أداء الفرد أو إنجازه ومن ثم تصبح معوقاً أو سبباً فى ضعف أداء الفرد وتحصيله.

ثانياً - قد يكون لعامل الانبساط/ الانطواء دور شبيه تماماً بذلك الذى نجده بالنسبة للعصابية (إيجاباً أو سلباً، تعويقاً أو تسهيلاً) فى أداء الفرد وإنجازه بخاصة، وكذا مستويات هذا الأداء أو الإنجاز بدرجاته.

وإذا كان الباحث يركز على السمات المزاجية للشخصية وأخصها بعدى الانبساط/ الانطواء، والعصابية/ الاتزان الانفعالى، ويلقى الضوء عليهما وعلى دورهما فى أداء الفرد وإنجازه، فإنه لا يغفل بقية العوامل الأخرى كالذكاء والقدرات العقلية، الاتجاهات، والميول، العوامل الفيزيولوچية، العوامل البيئية. ذلك أن الإنسان وحدة سيكوبيولوچية تعيش فى مجتمع، وكذلك لا نستطيع أن ندرك معنى السلوك على وجه التحديد إلا فى ضوء للعلاقة الديناميكية المتبادلة بين الكائن الحى وبيئه، وهذا هو جوهر التفسير السيكولوچى للعلاقة بين الدافع للإنجاز وبعض السمات المزاجية للشخصية.

الكف والإثارة ودورهما فى الإنجاز باعتباره أداء:

لاشك أن الإنجاز باعتباره أداء للفرد يستند إلى بعض المقومات الأساسية التى تكمن فى شخصيته إن توافرت لدى الشخص المنجز يسرت له أداءه، وإن لم تتوافر أعاقت هذا الأداء، يتمثل جانب رئيسى من تلك المقومات فى السمات المزاجية لشخصية الفرد المنجز، فهذه السمات بما تحمله من ديناميات معينة يكون لها قدرة التأثير إيجابياً أو سلباً على سلوك الفرد وأدائه، ولذلك يستند معظم الباحثين فى هذا المجال إلى نظرية الكف والإثارة، وهى عمليات فيزيولوجية تتعلق بوظيفة القشرة المخية؛ وقد ثبت بالأدلة التجريبية أن هذه العمليات لها دور واضح فى إنجاز الفرد: أشراطه وتحصيله، سلوكه بوجه عام، وبذا نجد أن تلك النظرية تلقى الضوء على الإنجاز باعتباره أداء.

يعنى أيزنك بالإثارة Excitation من الناحية السلوكية والعصبية تسهيل الاستجابات الإدراكية الحركية واستجابات التعلم والتفكير فى الجهاز العصبى المركزى... بينما يعنى بالكف Inhibition عكس كل هذا أى إخماد استجابات الحركة والتعلم المركزية (Eysenck, 1979 : 70)، وطبقاً لتصور أيزنك لمفاهيم الكف والإثارة يتضح أن الإثارة هى الأساس لكل أنشطتنا فى الحياة، أو بمعنى آخر إنه بدون الإثارة لا يكون هناك تعلم أو تحصيل أو لا يكون هناك سلوك بوجه عام (Eysenck, 1970 : 70)، وطبقاً لتصور أيزنك لمفاهيم الكف والإثارة يتضح أن الإثارة هى الأساس لكل أنشطتنا فى الحياة، أو بمعنى آخر إنه بدون الإثارة لا يكون هناك تعلم أو تحصيل أولا يكون هناك سلوك بوجه عام (Eysenck, 1964:68) وإذا كانت الإثارة هى الوجه الأول للنظرية، وهو جانب إيجابى للسلوك بوجه عام والإنجاز فى أى شكل من أشكاله فإن الكف من ناحية أخرى يعد الجانب السلبى من النظرية، ويشرح أيزنك كيفية تكوين الكف فيقول «إن الكف حافز سلبى وهناك بعض الأسباب التى تجعلنا نزعم أن هذا الحافز السلبى يأخذ فى النمو كتأثير مباشر تقريباً للزمن.. ومن الواضح أن الكف يمكن أن ينمو إلى النقطة التى تكون فيها قوته باعتباره حافزاً سلبياً مساوياً لذلك الحافز السلبى الذى يعمل به الكائن، وعندما تبلغ هذه النقطة فإن معادلتنا ستكون (الأداء = العادة × صفر)، وهذا يعنى أن الأداء سيتوقف وهو ما يعرف بفترة الراحة اللا إرادية... وخلال فترة الراحة اللا إرادية هذه سيتبدد الكف إلى أن يصبح الحافز الإيجابى أقوى مرة أخرى من الحافز السلبى بدرجة تسمح باستئناف النشاط، وسيتجمع الكف ثانية حتى تحدث فترة راحة أخرى، وهكذا يسير الأداء فى سلسلة من النوبات تبدأ من حيث كانت وتتخلل فترات العمل بشكل دورى فترات راحة قصيرة : Eysenck, 1970) 21-22)

وقد انتهى أيزنك إلى أن الناس يختلفون فيما يتعلق بسرعة تكوين

الكف، وبالسرعة التي يبددون بها الكف، وللمرء أن يتصور أن هذه الاختلافات لها آثار مهمة بالنسبة للسلوك العام، ليس فقط في مواقف العمل، ولكن أيضاً في مواقف الحياة ككل، وهناك ما يدل على أن الانبساطيين يولدون الكف بشكل أسرع ويبددونه بشكل أبطأ مما يفعله الانطوائيون (Eysenck, 1970 : 25)

بعض الأدلة التجريبية على صدق النظرية

(١) من تجربة قام بها أيزنك على الفئران استخدم فيها متاهة على شكل حرف T، وانتهى إلى أن الكف الإدراكي يستمر أطول كثيراً، ويتبدد بدرجة أبطأ كثيراً من الكف العضلي، وقد وجد أن هذا صحيح لدى الآدميين أيضاً (Eysenck, 1970 : 25-60).

(٢) أجريت تجربة بواسطة (اختبارات الطرق البسيطة) وذلك لقياس عدد «فترات الراحة اللا إرادية» التي تؤدي، إليها إمكانات الكف، ولابد أن نتوقع أن عدد هذه الفترات أكبر عند الانبساطيين منها عند الانطوائيين. وقد أجريت التجربة على عينة تتكون من ٩ من الانطوائيين، ٩ من الانبساطيين من العاملين بأحد المصانع تم اختيارهم وفقاً لنتائج أحد الاستخبارات، ولم يكن أي منهم متطرفاً بأي شكل مرضي، كان على المفحوصين الثمانية عشر أن يطرقوا بالقلم لعدة دقائق يحددها المختبر، وقد بلغ متوسط عدد فترات الراحة اللا إرادية في المجموعة الانبساطية ١٨، وفي المجموعة الانطوائية واحدة فقط، ولم يحدث أي تداخل بأي شكل بين المجموعتين، وقد كان أكبر عدد من فترات الراحة التي حققها أحد الأفراد الانطوائيين أقل من أدنى عدد من فترات الراحة التي حققه أي من الانبساطيين ومعنى ذلك أن الانبساطيين الذين يبددون كفاً أكثر يبددون فترات راحة لا إرادية أكثر من الانطوائيين (Eysenck, 1964 : 76-79, Eysenck, 1970 : 29; 31, 71-72)

كذلك إذا نظرنا فى النتائج مرة أخرى نجد أن الانطوائيين ذوو مستوى ثابت فى أدائهم فى كل حالة مع خروج نادر جداً عن هذا المستوى، بينما الانبساطيون ـ كما يقول المثل ـ يملأون المكان كله، ومع ذلك فكلتا المجموعتين تؤديان فى المتوسط أداءً جيداً وبدرجة متساوية فلا فرق فى عدد الطرقات بين الانبساطيين والانطوائيين بل إن ما يميز بينهما هو ذلك التنوع فى الأداء الذى يميز الانبساطيين لدرجة كبيرة والذى يمكن أن نرجعه مباشرة إلى ارتفاع مستوى الكف (Eysenck, 1970 : 83). ومعنى ذلك أن هناك صفة لوحظت كذلك من خلال رسم الطرقات، هذه الصفة هى تشتت الأداء، والفرق بين المجموعتين فى هذه الصفة واضح تماماً، وتتأكد هذه الصفة كذلك من خلال قياس أزمنة الرجع لدى المجموعتين.

(٣) كما أجريت كذلك تجربة باستخدام (جهاز الحلزون) وما يسفر من أثر يطلق عليه أيزنك الأثر اللاحق للحلزون The Spiral after-effect، ويشير معلقاً على نتائج التجربة أن الناس يختلفون فيما يختص بطول الوقت الذى تستمر فيه هذه الآثار البعدية، ويقاس هذا الوقت من اللحظة التى يوقف فيها الحلزون أو الاسطوانة الدوارة حتى اللحظة التى لا يستطيع عندها المفحوص أن يلاحظ أية حركة ظاهرية أخرى من المنبه الساكن. ومن الواضح أن طول فترة الأثر البعدى هو أحد نتائج طول عملية التنبيه، فكلما طال زمن التنبيه الأصلى طال زمن الأثر البعدى، ويشير أيزنك إلى أن الدوران الأصلى للحلزون ككل العمليات الإدراكية ينتج إلى حد ما درجة من الكف، وأن هذا الكف يكون أكبر عند الانبساطيين منه عند الانطوائيين، إذ يقلل هذا الكف من التأثير الكلى للتنبيه فإنه يؤدى إلى الأثر نفسه الناجم عن تقليل الوقت الذى يقوم فيه هذا التنبيه، وبالتالى فإنه يؤدى إلى فترة أقصر للأثر البعدى.

(٤) وهناك مقياس ثالث هو اختبار «الأثر اللاحق الشكلى The Figural

After Effect (Eysenck, 1970 : 31-32, 73) ويمكن أن يعد أيضاً مقياساً للكف، وكما يتوقع المرء فإن الانبساطيين يظهرون آثاراً لاحقة أقصر من الانطوائيين (Eysenck, 1970 : 73)

لقد استند أيزنك إلى نظريته فى الإثارة والكف فى تفسير تلك الفروق التى يمكن أن نجدها فى عملية الاشراط لدى كل من المنبسط والمنطوى فبين أن «الاختلافات فى الاشراط بين الانبساطيين والانطوائيين لها أهمية خاصة في نقاشنا. وقد كان بافلوف هو أول من أوضح كيف يمكن لتأثيرات الكف القوية أن تعرقل مسار الاشراط ولذلك فنحن نتوقع أن الانبساطيين بما لهم من إمكانات قوية للكف سيكون الاشراط لديهم أقل من الانطوائيين وأنهم سوف يتخلصون منه بدرجة أسرع : Eysenck, 1964) (80-81; Eysenck, 1970 : 73، ويتساءل عن حقائق تجريبية إضافية تؤيد من النظرية فيشير إلى بحث «ج فرانك» G. Franks عن أشراط رمش العين Eyeblink Conditioning، وقد أجرى هذا الباحث تجربتين : إحداهما على الانطوائيين والانبساطيين العصابيين (الهستيريين والديستمايين) والأخرى على الانطوائيين والانبساطيين الأسوياء، وقد وجد أنه لا توجد اختلافات بين الأسوياء والعصابيين فى حد ذاتهم حتى إنه ضم الانبساطيين : أسوياء وعصابيين معاً فى جانب واحد، والانطوائيين : أسوياء ، وعصابيين كذلك فى جانب آخر، وقد حرص على أن تكون نسبة الأسوياء فى كل مجموعة مساوية للأخرى، وقد أشارت النتائج أن الأشراط لدى الانطوائيين يتم بقوة تبلغ ضعف القوة التى يتم بها لدى الانبساطيين وذلك فى كل النقاط وكان معنى ذلك أن الانطوائيين قد أظهروا حوالى ضعف ما أظهره الانبساطيون من استجابات. وهنا يشير أيزنك إلى أن تنبؤه الأساسى قد تحقق، وينوه إلى أن عدداً من الباحثين الآخرين قد تطرقوا إلى دراسة هذه الظاهرة وانتهوا فيها إلى نتائج مشابهة لما انتهى إليه «ج فرانك»، وتشير تلك النتائج فى مجملها إلى أن هناك نزعة مميزة لدى الانطوائيين للأشراط، أفضل إلى

حد كبير من الانبساطيين (Eysenck, 1964 : 81) وعلى هذا يمكن أن تنتهى إلى الحقيقة الآتية فإن إمكانات الكف غالباً ما تكون أكبر لدى الانبساطيين ـ وإمكانات الإثارة أكبر لدى الانطوائيين، وتبعاً لهذا فإن أى نشاط يمارسه المنبسط يثير كفاً، وهذا الكف يتكون بالتدريج إلى أن يوقف النشاط فإذا لم تكن هناك فترة راحة طويلة فإن النشاط فى النهاية سيتوقف كلياً، وإذا كان للشخص أية حرية فى الاختيار فإنه ينتقل عندئذ إلى نشاط آخر، ومن الناحية الأخرى فلأن الانطوائى أقل كفاً بكثير خلال عمله فإنه سوف يكون قادراً ـ لذلك ـ على الاستمرار فى العمل لفترة أطول كثيراً.

يؤثر هذا التقلب عند الانبساطى فى عدد كبير جداً من أنواع النشاطات المختلفة فهو أكثر ميلا إلى تغيير عمله ومهنته، والانتقال من شركة لأخرى، أو تغيير أماكنه داخل الشركة الواحدة، وهو أميل إلى تغيير بيئته وإلى الانتقال من جزء من المدينة إلى جزء آخر... كل هذا التقلب الشامل الذى يشكل جزءاً أساسياً من طبيعة المنبسط يتصل اتصالا مباشراً بالتأثير القوى لامكانات الكف لديه (Eysenck, 1970 : 81)

ويشير فى موضع آخر من المؤلف نفسه (pp, 26-27) إلى أن هذا السلوك الذى يميز المنبسط إنما يرجع إلى النشوء السريع والتبدد البطىء للكف لديه، ويشير بأن هناك دلائل تدل على أن هذا فى مجمله حقيقى، فالانبساطى يحتاج إلى منبهات جديدة، ووظائف مختلفة، وتغييرات عديدة، بينما الانطوائى يميل إلى البقاء راضياً بنظام مستقر للحياة، ومن الحماقة أن نقول إن أحدهما بأية حال أفضل من الآخر، فهما مجرد شخصين مختلفين، وكلا السلوكين بالطبع يمكن أن يصبح مرضياً Patholog... عندما يشتط إلى أقصاه، أما فى حدود المدى الطبيعى فلا شىء عصابياً فى أى منهما.

ومن هنا تبدو ضرورة مراعاة التصميم الجيد للبرامج التربوية والمهنية حتى تناسب كل من الشخص المنبسط والمنطوى، والسبب فى ذلك يكمن

في التزايد السريع للكف والذى يسببه أى شكل من أشكال التدريس فى تلك البرامج.

معوقات الدافع للإنجاز

يشير ويتيج (١٩٨٣) إلى أن الأفراد عندما يتوقعون الفشل أو يخشون النجاح فإنهم غالباً ما يتوقفون عن بذل المحاولة للوصول إلى النجاح. وتبعاً لهذا يصبح الإنجاز غير محتمل الحدوث. وفيما يلى عرض لتلك المعوقات التى تحول دون تحقيق الإنجاز:

(١) توقعات الفشل:

فى بحث قام به ريتشارد دى تشارمز De Charms أوضح أن توقعات الفشل ومشاعر اليأس تكمن وراء الإنجازات المنخفضة المستوى لكثير من الصغار (الفقراء)... وقد قام أحد علماء النفس بتدريب المدرس فى المدرسة الابتدائية الواقعة بالقرب من وسط المدينة على مساعدة التلاميذ على الجوانب الآتية:

١ ـ أن يتعلموا تحليل الأهداف الشخصية والنظر إليها على أنها دعوة للتحدى.

٢ ـ أن يميزوا بين النتائج التى يمكن التحكم فيها، وتلك التى لا يمكنهم التحكم فيها.

٣ ـ أن يضعوا أهدافاً واقعية تتوافر لها فرصة طيبة للنجاح.

وقد تم تعديل طرق التدريس بحيث تحث كل فرد وتوفر له الفرص للإنجاز. والأهم من ذلك إتاحة الفرصة لكل الصغار لكى يكتسبوا الثقة فى أنفسهم ويحسنوا مهاراتهم، وكانت نتائج دى تشارمز مثيرة للدهشة فبينما استمرت المهارات الأكاديمية للتلاميذ فى المجموعة الضابطة فى التدهور بصورة أقل من المعايير العمرية لهم (ممن يمثلونهم عمراً)، تحسنت مهارات التلاميذ المدربين بصورة دالة، كما يستدل على ذلك من أدائهم على

الاختبارات التى تجرى على نطاق قومى، مظهرين المكاسب التى حققوها فى الحياة الدافعية والتى عكست دافعية الإنجاز والسلوك الخاص به.

وكما هو الحال عند الأطفال الفقراء تجد كثيراً من النساء صعوبة فى تصور النجاح فى المواقف الأكاديمية والعقلية المتصلة بالحياة المهنية، وتدل البحوث على أنه يمكن ملاحظة هذه المشاعر مبكراً فى حوالى السابعة من العمر، وقد تم افتراض عدة أسباب محتملة هى:

١ ـ أن الأفراد المهمين (وعلى وجه الخصوص الوالدان، المدرسون) يعانون من التوقعات السالبة.

٢ ـ قد يحدث أن تقبل النساء الاتجاهات الثقافية النمطية التى تصور الإناث أقل إنجازاً وسعياً ونشاطاً، ومقدرة وذكاء واستقلالية من الذكور، وبمجرد تكون تلك الاتجاهات، قد تستمر التوقعات المنخفضة للنجاح من خلال نظرة الأفراد لانتصاراتهم وكبواتهم؛ وهناك دليل على أن النساء ينزعن إلى اعتناق هذا النمط من الاتجاهات، ويبدو أن ممارسات التدريس تساهم فى تكوين هذه المدارك.

(٢) الخوف من النجاح:

تظهر النساء الأمريكيات بصفة متسقة قلقاً أكثر من الرجال الأمريكيين فى المواقف المتعلقة بالإنجاز، وقد فسرت ماتينا هورنر Matina Horner تلك المخاوف على أنه بالإضافة إلى الرعب من نتائج الفشل السالبة، قد تشعر النساء بالخوف من النجاح لأنه لا يرتبط بالأنوثة فى الثقافة الأمريكية، ويلاحظ أن الدافع لتجنب النجاح والذى يعرف على أنه دافع اجتماعى متعلم تستثيره المواقف التنافسية عندما يخشى الأفراد أن يجلب النجاح نتائج سالبة.

وفى الواقع يشعر كثير من الذكور بالرفض عندما يكون أداء الإناث أكفأ بدرجة كبيرة، وذلك فى مجالات الإنجاز التى ترتبط عادة بالذكور، عندئذ تخشى النساء نتائج الاختلاف عما هو مألوف مفضلات ذلك على

النجاح. وعندما تعتقد النساء أن النجاح سيجلب القبول، فإنهن يتفوقن على الذكور وذلك فى أداء الدراسات العملية، ويخاف الرجال ـ مثل النساء ـ أيضاً من حالات النجاح غير التقليدية التى تجلب نتائج سلبية، مثل مشاعر الذكورة أو الرجولة المتنفصه والرفض الاجتماعى.

ويبدو أن اتجاهات النساء متغيرة وذلك بالنسبة للإنجازات المرتبطة بالمهن، ففى مسح حديث عدت طالبات المدارس الثانوية النجاح فى العمل يماثل فى أهميته النجاح فى الزواج وقد عبرت ١٠٪ منهن فقط عن رغبتهن فى أن تصبحن من ربات البيوت، ولكن لم يؤيد البحث فكرة أن الجيل الجديد لديه مخاوف من النجاح أقل من الجيل السابق له.

وقد استمرت النساء فى إظهار فروق فردية واسعة حيث غالباً ما تظهر السيدات اللاتى انحدرن من بيئات تقليدية طموحاً منخفضاً بالنسبة للعمل، ويبدو أن بنات الأمهات العاملات يعملن على تحقيق أهداف مثيرة لروح التحدى نسبياً، متأثرات فى ذلك بأمهاتهن (ويتيج، ١٩٨٣ : ٤٧٠-٤٧٢).

وهنا قد يبرز عدد من التساؤلات مضمونها: هل يمكن تنمية دافع الإنجاز لدى الأفراد؟ وهل يمكن للتنظيم الاجتماعى المتخلف أو للدول المتخلفة أن تنمى لدى الأفراد دافعاً مرتفعاً للإنجاز ؟ وبالتالى يزدهر هذا التنظيم أو تلك الدولة وتتقدم.

تنمية الدافع للإنجاز

لقد شاع بين علمآء النفس افتراض أن دافع الإنجاز ينمو فقط فى مرحلة الطفولة ويستحيل تكوينه أو حتى تعديله بعد مرور تلك المرحلة. ولكن بعض الدراسات الأولية التى قام بها ماكليلاند ومساعدوه بهذا الصدد مهدت الطريق لرفض هذا الافتراض التقليدى، كما أنهم بدأوا فى السنوات الأخيرة فى محاولة تعليم الأفراد الراشدين وتدريبهم على اكتساب دافع الإنجاز، ولتحقيق هذا الفرض قام الباحثون بتصميم (برنامج معين) ذى أهداف محدودة فيما يلى:

(١) تعليم الفرد كيفية التفكير والتحدث والتصرف بوصفه إنساناً يتميز بسمة الإنجاز المرتفع.

(٢) دفع الفرد نحو تحديد أهداف ذات مستوى مرتفع على أن تكون عملية فى الوقت نفسه لأعمالهم فى السنتين القادمتين.

(٣) تزويد المشتركين فى البرنامج بالمعرفة الكاملة عن أنفسهم.

(٤) خلق روح الجماعة والتضامن بين المشتركين فى البرنامج، ويتم ذلك عن طريق معرفة كل فرد بمشاكل الآخرين، وآلامهم وأحلامهم، ويمكن التوصل إلى ذلك بتقديم البرنامج فى مكان منعزل يتفاعل فيه الجميع بعضهم مع بعض (McClelland, 1966).

وقد قام ماكليلاند بتقديم هذا البرنامج للمديرين فى إحدى الشركات الأمريكية الضخمة وللمديرين فى عدد من الشركات فى المكسيك، وأيضاً لعدد من رجال الأعمال فى الهند، وقد أثبتت نتائج هذا البرنامج أنه فى جميع الحالات، باستثناء حالة واحدة فى المكسيك، وصل جميع الأفراد الذين اشتركوا فى هذا البرنامج إلى مركز أعلى، وحققوا مرتبات تفوق كثيراً ما كانوا يحصلون عليه منذ عامين كما انتعشت أعمالهم بالمقارنة بزملائهم الذين يتمتعون بالمؤهلات والصفات ذاتها، ولكنهم لم يشتركوا فى هذا البرنامج أو اشتركوا فى برامج تدريبية أخرى ذات طبيعة مختلفة.

ومن هذه النتائج الأولية يمكن القول بأن برامج التدريب على الإنجاز Achievement Training يتوقع أن يكون لها دور فى غاية الأهمية فى تطوير الأفراد والتنظيمات والمجتمعات المتخلفة لتلاحق التطور الحديث فى عالم اليوم (الحناوى، ١٩٧٤ : ٢٢٢-٢٢٤) وننتقل فى الفصل التالى إلى عرض العلاقة بين التوافق والصحة النفسية والمجتمع.

مراجع الفصلين الثامن والتاسع

١ ـ الزيات (فتحى مصطفى)، «العلاقة بين النسق القيمى ووجهة الضبط ودافعية الإنجاز لدى عينة من طلاب جامعتى المنصورة وأم القرى ـ دراسة تحليلية»، فى بحوث المؤتمر السنوى السادس لعلم النفس فى مصر، الجزء الثانى، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٥٤٣-٥٧١.

٢ ـ الكنانى (ممدوح عبد المنعم)، علاقة مركز (التحكم الداخلى الخارجى) فى التدعيم ببعض المتغيرات الدافعية فى بحوث المؤتمر السنوى السادس لعلم النفس فى مصر، الجزء الثانى، القاهرة، ١٩٩٠، ٦١٧-٦٤٣.

٣ ـ حسين (محيى الدين)، «الدافعية إلى الإنجاز عند الجنسين»، مجلة علم النفس، عدد ٥، ١٩٨٨، ص ٢٩-٣٩.

٤ ـ حسن (علي حسن)، «الشخصية الإنجازية وبعض سماتها المعرفية والمزاجية»، مجلة علم النفس، عدد ٥، ١٩٨٨، ص ١٠٩-١١٢.

٥ ـ حسن (علي حسن)، «المرأة ودافعية الإنجاز: دراسة نفسية مقارنة لدافعية الإنجاز وبعض الخصائص المعرفية والمزاجية المتعلقة بها لدى الذكور والإناث فى المجتمع المصرى»، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد ١٧، عدد ٢، ١٩٨٩، ص ١٩-٣٢.

٦ ـ دافيدوف (لندال)، «مدخل علم النفس»، القاهرة، ماكجروهيل للنشر، ط٢، ١٩٨٣.

٧ ـ عبد السلام (نادية) الخضرى (سليمان)، «العلاقة بين التحصيل المدرسي وبعض سمات الشخصية» فى الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس، المجلد السادس، ١٩٧٩، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر.

٨ ـ عبد المجيد (مرزوق)، «دراسة مقارنة لأساليب التعلم ودافعية الإنجاز لدى عينة من الطلاب المتفوقين والمتأخرين دراسيا» فى بحوث المؤتمر السنوى السادس لعلم النفس فى مصر، الجزء الثانى، القاهرة، ١٩٩٠، ٥٩٧-٦١٥.

٩ ـ عبد الخالق (أحمد محمد)، النيال (مايسة)، «الدافع للإنجاز وعلاقته بالقلق والانبساط»، فى مجلة دراسات نفسية، أكتوبر، ١٩٩١، ٦٣٧-٦٥٣.

١٠ ـ لن (ريتشارد)، «مقدمة لدراسة الشخصية»، ترجمة أحمد عبد الخالق، مايسة النيال، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠.

١١ ـ موسى (رشاد عبد العزيز)، أبو ناهية (صلاح)، «الفروق بين الجنسين فى الدافع للإنجاز»، مجلة علم النفس، عدد ٥، ١٩٨٨، ص ٨٣-٩١.

١٢ ـ موسى (رشاد عبد العزيز)، الدافعية للإنجاز فى ضوء بعض مستويات الذكورة المختلفة فى مجلة علم النفس، عدد ١٤، ١٩٩٠، ص ١٠٨-١٢٢.

13. Atkinson, J.W., (ed) Motives in Fantasy Action and Society, New York, Van Nostrand, 1958.

14. Bardwick, M & Douvan, E., Ambivalence, The Socialization of Women, In V. Gronnick & B. Morgan (eds.) Women in Sexist Society: Studies in Power and Power Tessness, New York, Boston Book, 1971.

15. Eysenck H. J., **Crime and Personality**, London, Kegan Pawl, 1964.

16. Eysenck H.J. , **Fact and Fiction in Psychology**, London, Benguin Books, 1970.

17. Eysenck H.J., **Personality Pattern in Various Groups of** Businessmen, Occup Psychol, 41, 249-250, 1967 In Eysenck H.J., Readings in E.I. Vol. 2, London, 1971, 105-106.

18. Lynn, R. An Achievement Motivation Questionnaire, **Brit. J. Psychol, 1969, 60** (4) 529-534.

19. Lynn, R. **An Introduction to the Study of Personality** , London, Macmillan Edu. Limited.

20. Maccoby, E.& Jacklin, R. **Psychology of Sex Differences**, Stanford, Stanford Univ., 1974.

21. Mcclelland, D.C. et al., The Achievement Motive, New York, Appleton Century Croffts, 1953.

22. ——, **The Achievement Society, Princeton**: D. Van Nostrond Co., Inc., 1961.

الفصل العاشر

التوافق والصحة النفسية والمجتمع

- تمهيد.
- المفاهيم والأساس النظرى.
- مشاكل التوافق (الانعصاب).
- المحددات الأساسية للتوافق.
- القياس الموضوعى للتوافق.
- مراجع الفصل العاشر.

الفصــل العاشر
التوافق والصحة النفسية والمجتمع

تمهيد:

انتهى العلماء فى مجال دراسة الشخصية الإنسانية إلى أن هناك عددا من الأبعاد الأساسية للشخصية وكان تصورهم لهذه الأبعاد أنها ما هى إلا (أطر) تنتظم داخلها مظاهر السلوك فى مجموعات متماسكة إلى حد كبير، يجمع بين أفراد كل منها جامع الاتفاق فى سرعة النضج واتجاهه، فهى تزداد معا وتنقص معا وتثبت على قدر معين معا وقد انتهوا إلى أن طراز الشخصية هو المحصلة النهائية للمواضع المختلفة التى يشغلها الشخص على مجموعة الأبعاد الرئيسية.

فاذا كان الاتزان الانفعالى يفيد معنى التوافق مع البيئة من ناحية والتكامل النفسى من ناحية أخرى على أساس أن هذا الجانب إنما يتضمن فى جوهره فكرة التوافق الاجتماعى بدرجاته المختلفة، كما يتضمن الأساس النفسى الذى يقوم عليه بناء الشخصية فإن توافق الشخصية من ناحية ثالثة إنما يرتبط بالقدرة على أن يكون الشخص أقل تصلبا فى المواقف الداعية لاندماج الأنا عنه فى المواقف السطحية أو غير الداعية لاندماج الأنا، ثم إن هناك اتفاقا على أن الانبساط/الانطواء بما يحمل من ديناميات إنما يساهم أيضا فى سهولة التوافق الاجتماعى أو صعوبته، كما يسهم ويؤدى إلى التكامل النفسى للشخصية وقد أشار يونج فى أحد المواضع من مؤلفه أن التفرقة بين النمطين ذات قيمة علمية فى فهمنا للسلوك التكيفى، وفى موضع آخر أشار إلى أن هذين النمطين إنما يشيران إلى أن اتجاهات أساسية تميز كل مظاهر التكوين النفسى للفرد.

وعلى ذلك يبدو أن هناك ارتباطا وثيقا بين اصطلاحى الشخصية والتوافق فهما من ناحية يمكن اعتبارهما إطارين مرجعيين مختلفين لتفسير السلوك الإنسانى على أساس أن الأولى بمكوناتها قد تلقى بالضوء على

توافق الفرد أو عدم توافقه، أو على أساس أن مكونات الأولى قد تساعد أو تعوق التوافق فى جميع أشكاله، ولذلك يصعب تناول أحداهما دون الأخرى.

ويعلق المؤلف بأن هذه الحقيقة تتأكد على وجه الخصوص حينما ننظر إلى التكيف كعملية تحدد الوسائل التى تعالج بها المطالب الداخلية والخارجية للفرد، وتعتمد هذه الوسائل على تركيب وتنظيم الشخصية وعلى ما استقر فيها من خصائص يحملها الشخص أينما ذهب، وتحدد اتجاهه حيال الطريقة التى تعالج بها مشكلات الحياة.

وعلى ذلك ففكرة التكيف (أو التوافق) تعتبر جانباً أساسياً يحدد تركيب الشخصية أو يلقى بالضوء عليها وعلى مكوناتها، وبعبارة أخرى أننا يمكن أن نتصور أساس العلاقة بين السمات المزاجية للشخصية والتوافق النفسى والاجتماعى من ناحية أن البناء النفسى للفرد والذى يشكل طبيعته بوجه عام هو الذى يوجه الفرد ناحية قطب التوافق أو ناحية القطب المقابل وهو عدم التوافق. حتى أننا فى دراسة التوافق وقياسه نتناول:

أولا : البناء المتكامل لشخصية الفرد (البناء النفسى المتوافق).

ثانياً: كيفية الاستجابة (للعالم الداخلى الذى ينبعث من باطن الفرد ولمحسوسات العالم الخارجى الذى يحيط بالفرد).

ثالثاً: الهدف من التوافق والغاية من الاعداد له:

والتوافق يمكن أن يشكل موضوعاً كمياً لدراسات علم النفس يتوزع عليه الأفراد فوق مقياس متصل الدرجات أو متصل كمى يتدرج من أقصى التوافق أو اذكاة إلى أسوأه وأضعفه فى حالة الصحة النفسية التوافقية، أو سوء التوافق والأعراض المرضية المصاحبة لذلك القطب السالب من بعد التوافق.

أولاً: التكيف والتوافق:

التكيف Adaptation فى معناه العام هو العملية أو السلوك الذى

يحاول به الفرد التغلب على الصعوبات أو العوائق التى تقف حيال تحقيق حاجة ما أو دافع (١٧-١٧٦) لذلك فالتكيف يتضمن تغيرات فى سلوك الكائن الإنساني يستطيع بها أن يواجه استجاباته للظروف البيئية المختلفة التي تواجهه أو يعيش فى كنفها (22: 509)، وتلك التغيرات تتسم بالمرونة في مواجهة مطالب وظروف المجتمع المتغيرة. (19: 662).

وبعبارة أخرى أن التكيف أو الملائمة يتضمن تغيراً جوهريا من جانب الفرد لكي يواجه حاجاته ومطالبه والظروف المتغيرة للمجتمع، وهذا التغير يجب أن يتسم بالمرونة أو ينبغى أن يكون توافقاً مرناً. (21: 11, 13, 14).

ومصطلح التكيف Adaptation مستمد أصلاً من علم الحياة، ويعني أن تغير في الكائن الحى سواء أكان فى الشكل (Structure)، أو الوظيفة (behavior) يجعله أكثر قدرة علي المحافظة علي حياته وبقاء جنسه، وكما رأينا فى علم النفس فإنه يعني التغير الذي يطرأ علي الخبرة الحسية، سواء من حيث الكيف أو الشدة أو الوضوح، عندما يظل التنبيه ثابتا، كالتكيف في حالات البصر أو اللمس والشم والتذوق والالم كالرائحة العطرية إذا استمر الشخص في استعمالها يقل تأثره بها. (١٢: ٢٦٢ - ٣٦٩).

معنى ذلك أن « .... سلوك الفرد في أثناء تعامله مع ما يحيط به من الاشخاص والكائنات لا يخرج عن كونه نوعا مما يسميه علماء الحياة (تكيف الكائن الحى للبيئة المحيطة به) ومعروف أن الكائنات الحية بمختلف صنوفها تتفاعل مع البيئة، وتتكيف لظروفها تكيفاً غايته ضمان الحياة واستمرار النمو وبقاء النوع.

كذلك الإنسان عندما يتفاعل مع بيئته المادية والاجتماعية فأننا نجده يفصح عن سلوك لا يخرج عن كونه نوعا من أنواع التكيف للبيئة، وهذا النوع من التكيف يمكن تسميته (التكيف النفسي) فإذا كان هناك شخص لا يكيف نفسه التكيف النفسي المناسب لبيئته المادية والاجتماعية قلنا عادة أننا نشك في صحته النفسية.

ومن أمثله التكيف النفسي المناسب خوف الإنسان من موقف يضر حياته، كوقوفه أمام حيوان مفترس، والتكيف النفسى في هذه الحالة هو أن يسلك الإنسان بطريقة تمنع الخطر عنه فيهرب .... ولكن إذا ظهر خوف الإنسان البالغ من حيوان عادى كقط أو أرنب أو ما شابه ذلك أعتبرنا مظاهر الخوف تكيفا نفسيا غير مناسب.

ويشير د. القوصى الى (أن حالات التكيف المناسب دالة بوجه عام على الصحة النفسية وأما حالات التكيف غير المناسب، فانها تفصح فى العادة عن انحراف صغيراً أو كبيراً فى الصحة النفسية. (٢ : ٣-٤).

معني ذلك أن التكيف السليم هو الذى يخفض أو يزيل التوتر الناشىء عن ظهور حاجة أو دافع ويمنع الوقوع فى الصراع بطريقة تكفل الاتزان والتوافق بين الفرد و البيئة، وتحافظ علي التوازن بين العمليات النفسية المختلفة (١٧ : ١٧٢).

ويلاحظ كثيراً من الباحثين يخلطون بين مصطلحي: التكيف Adaptation والتوافق Adjustment بمعني واحد هو التكيف، وفي هذا خلط يتوقف علي درجة عمومية المصطلح، وما يشمله من مكونات اساسية تحدد اتجاهه في التعريف وطريقة قياسه أيضاً.

فبينما يعنى مصطلح (التوافق Adjustment) علاقة انسجام بالبيئة يكون الفرد فيها قادراً على الحصول على كفايته من غالبية الحاجات ومقابلة متطلباته سواء أكانت طبيعية أم اجتماعية (14 ,13 :21) ولذلك فإن التوافق في طبيعته لا يعد وأن يكون مسألة درجة ولكن ليس درجة كاملة من التوافق، ولكن يمكن تمثيله فى شكل متصل كمي للدرجات المتاحة للتوافق يمثل كل فرد درجة معينة علي هذا المتصل.

هذا وقد اتفقت التعريفات المقدمة لهذا المصطلح على أن التوافق يعتبر شكلا من أشكال النشاط يتضمن مجهودات توجه لعلاج الانعصاب التى

يتعرض لها الفرد فى البيئة التى يعيش فى كنفها وأن يواجه حاجاته ومطالبه المتجددة دائما (١٥ : ١٣٦ -١٣٧ و 720 :23 ,662 : 19) وذلك السلوك فى الواقع يشكل المجهودات الشعورية للتوافق. ويشير كولمان إلى أن السلوك التوافقى هو السلوك الذى يحاول فيه الفرد أن يواجه حالات الانعصاب Stress التى يتعرض لها، وأن يواجه حاجاته ومطالبه اجتماعية ونفسية كانت أم بيولوجية أو قد ترادف المفهوم السابق للتوافق في أن ذلك السلوك هو في حقيقته عبارة عن مجهودات يبذلها الإنسان لكى يحصل على علاقات منسجمة مع البيئة التى يعيش فى كنفها (720 :23 ,662 : 19) ويرى أنجلش أن اصطلاح التوافق يؤكد أكثر ما يؤكده التكيف حتي أنه يمكن تعريف التوافق بأنه (تكيف الشخص ببيئته الاجتماعية) في مجال مشكلات حياته مع الآخرين والتى ترجع لعلاقاته بأسرته ومعايير بيئته الاقتصادية والسياسية والخلقية.

وعلى ذلك ينطوى أى تعريف للتوافق على الكلمة الاعم (التكيف Adaptation) والتى تشمل السلوك الحسي الحركى وتشير للجانب العضوى فى الإنسان... فالتكيف البصرى .. والتعلم التكيفى للحيوان بيئته من أجل المحافظة على البقاء ... هى ملاءمة النفس بالموقف، وتغير خصائص السلوك بما يلائم تغير البيئة، (غير أن الإنسان توافقه ليس مجرد تكييف نفسه بتغيرات البيئه، فهو قد يغير البيئة لتلائم توافقه لذا فان كلمة توافق أكبر اشارة للتكيف الذى يستهدف تحقيق الغرض وأشباع الحاجات أما بالتغير (اعادة تنظيم الخبرة الشخصية) أو بالتغيير (اعادة تنظيم عناصر البيئة).

فإن يكن التكيف الذى هو طبيعة كل كائن هى ملائمة أو موافقة شيء لآخر فللإنسان بعالمه العقلى، القدرة علي تغير عالم الواقع لتحقيق هذه الملائمة... الإنسان يتكيف من أجل التوافق وليس العكس. (٤ : ٣٢).

أنواع التوافق ومظاهره:

عرض الباحث في الفقرات القليلة السابقة لبعض المفاهيم المتعلقة بالتوافق ومدي ارتباطها بمفهوم الشخصية، وأهمية دراسة هذا الارتباط بين الشخصية بمكوناتها المختلفة، وتوافقها أو عدم توافقها. ويري (سوبر D.S.super) أن هناك مظهرين أسا‌ ‌ن المتوافق: هما:

١ـ التوافق الـــــذاتى Psychological adjustment

٢ـ التوافق الاجتماعى Social adjustment

فالتوافق الذاتي يتعلق بالتنظيم النفسى الذاتى (العلاقات الداخلية الذاتية) أما الثانى (فيتعلق بالعلاقات بين الذات والآخرين). وهذان المظهران للتوافق يعبران عن نفسيهما فى مواقف الحياة المختلفة التى يوجد فيها الفرد. فى المنزل، فى الاسرة فى الجيرة أو الجماعة، فى العمل والمدرسة(296: 24)

ويتحدث أ. د. عزت راجح عن أنواع التوافق فيذكر أن « التوافق بمعناه العام هو قدرة الفرد على تغيير سلوكه وعاداته واتجاهاته عندما يواجه مشكلة مادية أو أجتماعية أو خلقية أو صراعاً نفسياً حتى يقيم بينه وبين بيئته علاقة أصلح وأنسب، وبعبارة أخرى فهى قدرة الفرد على التوائم والتكيف السليم لبيئته المادية والاجتماعية فى شتى صورها: البيئية الاسرية والمهنية، والمدرسية والثقافية، والعاطفية، والدينية..

ولسوء التوافق مجالات عدة فهناك سوء التوافق الاجتماعى وسوء التوافق المهنى وسوء التوافق الدراسى أو الدينى... ومما يجب توكيده أن سوء التوافق فى مجال معين يكون له صداه وآثره فى المجالات الأخرى، فالإنسان وحده جسمية نفسية إجتماعية، وإن اضطرب جانب منها اضطربت له سائر جوانبها، لذا فغالبا ما تجتمع ضروب سوء التوافق لدي الشخص الواحد على أختلاف شدتها وظهورها من مجال إلى آخر،... في سلوك يغشاه عجز الفرد عن اقامة علاقات راضية مرضية بينه وبين من يتعامل معهم من الناس في

بيئته الاجتماعية والمادية، أي في عجزه عن حل مشكلاته اليومية على اختلافها. (٧: ٤٤٣ - ٤٤٤).

ويتفق كثير من الباحثين على أن «سوء التوافق قلما يظهر فجأة بل أنه ينمو تدريجياً خلال فترات طويلة من الوقت ولو بحثنا التاريخ السابق لإنسان سيء التوافق لرأينا أنه كان يبدى لفترة طويلة من سمات الشخصية ما كان خليقاً بأن يؤدى إلى هذه الحالة الأخيرة ... وحتى الشخص الذي يحدث استجابة بطريقة حادة كان فيما مضى يميل إلى الخجل والعزلة والهدوء المسرف، كما أن الشخص الهادىء خليق بأن يوصف بأنه (كان دائما على ريبة من غيره، وعلى غرور بقدراته) ومن هذه الحقائق خرجت النظرية التي تقول بأن شخصية الفرد هي العلة الأساسية أو المهيئة لعدم السواء...(٩: ٣٤ - ٣٧) ويتخذ سوء التوافق العام مظاهر شتى ودرجات تختلف شدة وعنفا وازمانا واستعصاء على الاصلاح أو العلاج:

١ - قد يبدو في صورة انحراف خفيف أو سلوك مغرب لا يكاد يوصف بالشذوذ.

٢ - أو يبدو في صورة مشكلة سلوكية مما يعرض لكثير من الأطفال مثل قضم الاظافر أو التبول القسرى أو السرقة أو العناد أو الهرب من البيت، أو مما يعرض للمراهقين مثل التمرد الشديد أو الانطواء على النفس.

٣ - أو يبدو في صورة أشد عنفا كالأمراض النفسية أو الانحرافات الجنسية أو الادمان والاجرام.

٤ - واخطر ضروب سوء التوافق هو الأمراض العقلية.. تلك الأمراض التي تجعل الفرد غريبا عن نفسه وعن الناس، خطراً على نفسه وعلى الناس مما يقعده عن العمل ويضطر المجتمع إلى عزله والاشراف عليه وعلاجه.

ويركز الباحث في الفقرات التالية على ما أتفق أنهما المظهران الأساسيان للتوافق (٧: ٤٤٤، ٩: ٣٤١ - ٣٧٠) وهما:

- التوافق النفسى - التوافق الاجتماعي.

أولاً: التوافق النفسي:

يعني التوافق النفسي «قدرة الفرد على التوفيق بين دوافعه المتصارعة توفيقا يرضيها جمعيا إرضاء متزنا، و هو ما يعرف (بالتوافق الذاتي)، وغير أن هذا لا يفيد أن الصحة النفسية تعني خلو الفرد من الصراعات النفسية، اذ لا يخلو الإنسان ابدا من هذه الصراعات إنما نعني القدرة على حل تلك الصراعات والتحكم فيها بصورة مرضية والقدرة على حل المشكلات النفسية حلاً ايجابياً بدل الهرب منها أو التمويه عليها ومن ساء توافقه الذاتي تحتم أن يسوء توافقه الاجتماعي (٥: ١٠٢).

بعبارة أخرى فإن التوافق النفسي في أقصى درجاته يعنى أن يعيش الفرد في زحمة هذه الحياة عيشة راضية مرضية منتجة في حدود قدراته واستعداداته، أما أن عجز عن ذلك بالرغم مما يبذله من جهود فهو سيء التوافق. (١٦: ٥٨٣، ١٤: ٣٨٧).

ويشير أ.د. عزت راجح إلى أن «النضج الانفعالي شرط أساسي للتوافق الاجتماعي السوي والصحة النفسية السليمة، فأضطراب الصلات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية مرهون في المقام الاول باضطراب الحياة الانفعالية، بل أن النجاح والفشل في الحياة يتوقف الى حد كبير على عوامل انفعالية.....».

وقد سبق أن اشار إلى أن «من ساء توافقه الذاتي تحتم أن يسوء توافقه الاجتماعي» ومعنى ذلك أن التوافق النفسي يرادف في مفهومه التوافق الذاتي، وايضا يرادف مصطلح النضج الانفعالي للفرد، ولذلك يمكن أن نميز الفرد المتوافق نفسيا بأنه:

١ ـ من كان متحرراً من الميول والاتجاهات الصبيانية كالأنانية والاتكال على الغير والخوف من تحمل المسئولية فغير الناضج من هذه الناحية طفل كبير.......

٢ ـ من لا تثيره مثيرات الانفعال الطفلية أو أية مثيرات تافهه... ومن المعروف أن مضطربى الشخصية تثير في نفوسهم الأشياء التافهة انفعالات عنيفة.

٣ ـ من يستطيع التعبير عن انفعالاته بصورة متزنة بعيدة عن التعبيرات البدائية أو الطفلية للانفعالات، وألا ينم سلوك الفرد على أنه مقهوراً أو مذعوراً أو واقع تحت ضغط شديد ..

٤ ـ من يتميز بالقدرة علي ضبط النفس فى المواقف التى تثير الانفعال والبعد عن التهور والاندفاع.

٥ ـ من يتميز بالقدرة على أحتمال التأزم والحرمان، وعلى تأجيل اللذات العاجلة وارضاء الدوافع العاجلة، من أجل الظفر بلذات آجلة وأهداف أشمل وابعد، أى القدرة على تغليب الأهداف البعيدة على الأهداف القريبة.

٦ ـ من يتميز بالرصانة الانفعالية ويقصد بها أن تكون الحياة الانفعالية للفرد رزينة لا تذبذب وتتقلب لاسباب تافهة بين المرح والانقباض، بين الحزن والفرح، بين الضحك والبكاء. (٦: ١٧٧ ـ ١٧٩).

ويرسم لنا (شوبن E.J. Shoben) نموذجا أخر للمتوافق المتكامل يتميز بالضبط الذاتي والتقدير للمسئولية الشخصية والاجتماعية والمثل الاجتماعية والديمقراطية.

«فالشخص السوى يكون واعيا بدوافعه سواء فى انصياعه أو خروجه على معايير الجماعه أي أنه ينصاع لها لأنها تثيبه وتكافئه عليها لاسباب يقدرها ويكون واعيا بها أما المريض فهو حين يثور ينزع إلى خداع نفسه والآخرين فيما يتصل بأهدافه عن طريق ميكانيزمات التبرير والاسقاط»، والشخص السوى حين يرفض الانصياع يقدر ويتقبل عواقب سلوكه، ويكون مستعداً لدفع ثمن سلوكه طبقا لقيمه الخاصة.

والشخص السوى هو الذى يستطيع أن يعتمد على الاخرين، وأن يعترف بحاجته إليهم، وهو الذى يستطيع اكتساب وتعلم القدرة على تكوين علاقات شخصية وثيقة، وهو الذى يسهم فى خدمة الإنسانية عامة فضلاً عن جماعته، وذلك فى حدود إمكانياته بالطبع» «والشخص السوى هو الذى يتخذ لنفسه مثلا ومعايير يحاول أن يحققها فى سلوكه.

ويذكر د. عماد الدين اسماعيل أهم الخصائص السلوكية للشخصية سوية التوافق كالآتى:

١ ـ القدرة على التحكم فى ذاته.

٢ ـ تحمل المسئولية وتقديرها.

٣ ـ التعاون بين الفرد ومن يعيش معهم.

٤ ـ القدرة على الحب والثقة المتبادلة.

٥ ـ التكامل مع المجتمع الإنسانى.

٦ ـ اعتناق الديمقراطية.

٧ ـ وضع مستوى طموح مناسب. (١ : ١٤٢ ـ ١٤٩)

أما التحليل النفسى فأنه يتصور الشخصية سوية التوافق فيما يمكن أن نجمله من أنها القادرة على الحب والعمل، القادرة على عقد علاقات مع العالم ومع الذات، القادرة على الادارك السليم للواقع والتعامل معه.

تلك الصفات التى عرضت لعناصر التوافق وخصائصه التى تشكل الشخصية السوية يمكن أن تخرج منها بانطباع «أن التوافق يستهدف الرضا عن النفس، وراحة البال، والاطمئنان نتيجة الشعور بالقدرة الذاتية ade-quacy على التكيف بالبيئة والتعامل مع الآخرين، ولا يحتاج ذلك لاكثر من التعرف على حاجات النفس، واستطلاع امكانيات البيئة، وحسن التعامل مع الغير، وكلها مشكلة الفرد نفسه لا أحد غيره، كما أن حلها والتوافق معها مسئوليته هو لانها غايته وسعادته....».

ويمكن أن نتصور أن الموقف التوافقى يتضمن ثلاثة عناصر:

الفرد وحاجاته من البيئة، إمكانيات الظروف الميسرة له وللآخرون الذين يشاركونه الموقف. ولا غني عن استرضائهم إلي جانب ترضية نفسه ايضا والصعوبة هى فى الجهل بأحد هذه العناصر أو تجاهلها.

كما أننا يمكن أن نتصور أساسى العلاقة بين السمات المزاجية للشخصية والتوافق النفسى والاجتماعى من ناحية أن البناء النفسى للفرد والذى يشكل طبيعته بوجه عام هو الذى يوجه الفرد ناحية قطب التوافق أو ناحية القطب المقابل وهو عدم التوافق:

وفى دراسة التوافق نتناول:

أولاً : البناء المتكامل لشخصية الفرد (البناء النفسي المتوافق).

ثانياً : كيفية الاستجابة:

أ - لمحسوسات العالم الخارجى التى تحيط بالفرد.

ب - العالم الداخلى الذى ينبعث من باطن الفرد.

ثالثاً : الهدف من التوافق والفائدة من الاعداد له.

فمن المسلم به أن التوافق أصلح فى تحديد هدف شخصية الفرد فى بنائها وسلوكها (٤ : ٣٨٥ - ٣٨٦).

ثانياً : التوافق الاجتماعى:

ويعنى «قدرة الفرد على عقد علاقات اجتماعية راضية مرضية، أى يرضى عنها نفسه، ويرضى عنها الناس فى علاقات تتسم بالتعاون والتسامح والايثار، فلا يشوبها العدوان أو الارتياب أو الاتكال، أو عدم الاكتراث لمشاعر الأخرين، وهذا ما يعرف بالتوافق الاجتماعى، والشرط الاساسى لهذا التوافق الاجتماعى هو الاتزان الانفعالى للفرد، فاضطراب الحياة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية مرهون فى المقام الأول باضطراب الحياة الانفعالية. (٥:١٠١).

وقد يعجز الفرد عن مواجهة مطالب البيئة الاجتماعية، أو أن يشبع حاجاته العادية فى تكوين العلاقات الاجتماعية والصداقات المختلفة مع من يحيط به، وذلك لعوامل معينة منها نقص المهارات الاجتماعية اللازمة للفرد، أو نقص فى المركز الاجتماعى Status الذى يشغله الفرد، أو عدم الكفاية فى البيئة الاجتماعية، أو قد يكون هذا العجز ناشئا بسبب أن الصلة بينه وبين البيئة الاجتماعية التى يعيش فى اطارها الفرد غير مرضية، وليس فيها انسجام، ولذلك فإن توافقه الاجتماعى يمكن أن يسوء.

بعبارة أخرى أن الفرد المتوافق اجتماعيا هو الذى يستطيع أن يغير من سلوكه كى ينسجم مع غيره من الافراد وخاصة باتباع التقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعية أو عندما يواجه الفرد مشكلة خلقية أو يعان صراعات نفسية تقتضى معالجتها أن يغير من عاداته واتجاهاته ذلك لكى يوائم الجماعة التى يعيش فى كنفها. (١٢).

وعلى هذا نرى تفرقه مبدئية بين ما يطلق عليه توافق نفسى وتوافق اجتماعى، فهناك بعض العلماء يرون أن «التوافق النفسى يتضمن كيفية بناء الفرد لتوافقاته النفسية فى اطار التكون والتغير فى مجالات الحس والحركة والعقل والشخصية.

أما التوافق الاجتماعى فيتضمن كيفية استخدام الفرد لهذه التوافقات الذاتية فى مجالات حياته الاجتماعية تربويا ومهنيا وصحيا،... تلك التى يتفاعل فيها مع الاخرين فى مواجهته للمواقف وتعرضه للمشاكل مما يثبت فيه بتوافقه النفسى مدى توافقه أو عدم توافقه الاجتماعى، وبالتالى الصحة والمرض النفسى. (٢: ٨ ـ٩، ١١: ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

معنى هذا أننا في التوافق الاجتماعى نرى أن هناك عناصر معينة يجب أن نأخذها في الحسبان، وهى الخبرات مع الجماعات التى تكتسب عضويتها وتشارك فى فاعليتها فى علاقاتها بالثقافة السائدة للمجتمع.

ويشير علماء الاجتماع في تناولهم لمشكلة التوافق ـ علاقة الثقافة بتوافق الشخصية، فعندما يتحدثون مثلا عن العمليات الاساسية فى الحياة الاجتماعية فأنهم يشيرون إلى أن الإنسان كائن اجتماعى ثقافى يعيش فى مجتمع وهو لذلك يجد نفسه مرتبطا بعلاقات متعددة ومتشابكة مع الاخرين، أنه يخلق الثقافة التى تؤثر بدورها فى حياته فى المجتمع، وهو يصل لذلك من خلال عملية التفاعل، التى تعتبر العملية الجماعية الأساسية وحيث يشكل التفاعل العامل المركزى فى كل حياة الإنسان الاجتماعية.

ويظهر أهمية التفاعل حيث ندرك أنه يكمن وراء كل تنظيم للأنساق السلوكية من الذات الى المجتمع».

١ ـ التفاعل الاجتماعى يتم عن طريق (وسائل الاتصال المختلفة).

٢ ـ الطفل الوليد يؤهل لحياة المجتمع عن طريق عملية التفاعل التى نطلق عليها اسم (التنشئة الاجتماعية).

٣ ـ العمليات الاجتماعية المحددة كالتنافس والصراع والتوافق والتمثيل تعتبر صوراً أو نماذج من التفاعل الاجتماعى.

أيضا الثقافة والجماعة، والشخصية الإنسانية من هذه الزاوية تعتبر نتاج تفاعل اجتماعى. (٢ :٨ ـ٩، ١١ :٢٢٤ ـ ٢٢٥).

ولذلك فكلما كانت الثقافة ـ بوجه عام ـ أكثر تعقداً، ارتفعت نسبة تعرض الشخصية للإنحراف عن المعايير المؤدية الى عدم التوافق. فالحياة المعقدة فى مجتمع كأمريكا بكل تعميداته أكبر بكثير من مجتمع «البانتو» فى أواسط أفريقيا (وهذا المثال لمؤلف أمريكى) والحضرى المهرول الى عمله، المجهد فى زيادة دخله وتربية أبنائه، والوفاء بالتزاماته الاقتصادية والاجتماعية تعرضه بالاصابة للأمراض النفسية أكبر بكثير من القروي الذى يعيش فى هدوء وسلام واطمئنان نفسى فوق أرضه (٣ :٤٨ ـ ٤٩).

لذلك يمكن القول أن الشخصية الريفية أكثر توافقاً من الشخصية الحضرية لبساطة ووضوح المعايير والقيم التقليدية التى ينبغى التكيف معها،

ومعنى ذلك أنه نظرا لارتباط الشخصية بالثقافة يمكن القول أننا جميعا متوافقون وغير متوافقون فى نفس الوقت فى ناحية أو أخرى، مع فارق في الدرجة. (٣: ١٣٩، ١٦: ٤٨ ـ ٤٩).

رابعاً: الاتجاهات الاساسية في تفسير التوافق:

يتضح من الدراسات السيكولوجية المختلفة التى تناولت بالدراسة والبحث موضوعات التكيف النفسى والتوافق على أن هناك مداخل ap-proahes متعددة يمكن بها تفسير التوافق وسوء التوافق على أساس أنه متصل كمى Continuum يحتل الافراد مواضع مختلفة عليه تمثل توافقهم أو عدم توافقهم، ومن تلك المداخل:

المدخل الفسيولوجي:

يعتمد هذا المدخل على أن (الصحة الجسمية) تعنى التوافق التام بين الوظائف الجسمية المختلفة مع القدرة على مواجهة الصعوبات العادية المحيطة بالإنسان مع الاحساس الايجابى بالنشاط والقوة والحيوية .ويقصد بالتوافق في ضوء هذا التفسير أن تكون الوظائف الجسمية متعاونة تعاونا كاملا لصالح الجسم كله، فلا يجوز فى الحالة الصحية أن يقوم عضو من الجسم بنشاط أكبر أو أقل مما يتطلبه الجسم كله، وإلا نشأت حالة مرضية، تختلف في شدتها ومدة بقائها باختلاف نوعها وظروفها، فإذا زاد أو قل نشاط غدة في الفرد وما يتطلبه الجسم كله كوحدة أدى ذلك إلى حالة مرضية أو عدم توافق.

المدخل السيكولوجي:

ويعتمد هذا المدخل على أن (الصحة النفسية) تعنى التوافق التام أو التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية التى تطرأ عادة علي الإنسان مع الاحساس الايجابى بالسعادة والكفاية.

ويقصد بالتوافق التام بين الوظائف النفسية المختلفة خلو المرء من الصراع الداخلى، وتوفر الاتزان والتوافق بين الفرد وبيئته، وكذلك بين الوظائف النفسية لدي الفرد.

ووظيفة الحياة النفسية بمختلف عناصرها هى تكيف المرء لظروف البيئة الاجتماعية والمادية وغايتها تحقيق حاجات الإنسان، وهى تتحقق عادة بالتفاعل مع البيئة - وهذه البيئة متغيرة، وهذا التغير يثير مشكلات يتقابلها الإنسان فى مجالات التفكير والانفعال ومختلف أنواع السلوك، ولكن التغيرات التى تحدث قد تكون شديدة لدرجة تجاوز الحد الذى يقوى الفرد على مقابلته والتكيف له وهنا تنشأ الحالات المرضية.

ولهذا كان لابد من تعاون الوظائف النفسية المختلفة، ولابد من تقويتها لمقاومة التغيرات العادية.

أما عن القطب الأخر للتوافق في ضوء التفسير النفسى، وهو قطب عدم التوافق فإنه يمكن تفسيره على أساس أن عدم التوافق يرجع إلى الاحباط والصراع، وسواء أكان هذا الصراع بين الفرد وبيئته، أو صراعا داخليا بين دوافع الفرد نفسه فإن هذا الصراع قد يقف عائقا فى سبيل وصول الفرد إلى الكفاية والسعادة وأيضاً للمجتمع الذى يعيش فى كنفه.

المدخل الثقافى والاجتماعى:

ويعتمد هذا المدخل على أن الشخصية المتكاملة هى الشخصية التى لا يظهر عليها تناقض أو صراع أو عدم اتساق، ويجب الاشارة فى هذا المقام إلى أن التكامل بالنسبة للشخصية يعتبر مسألة درجة لا يمكن أن يتحقق فى الواقع بصورة متكاملة، وذلك لان درجة عالية نسبيا من التكامل توجد إذا كان الشخص يقوم بأدوار محددة تحديدا واضحا، ويعتنق اتجاهات ملائمة ولا يتابع أهدافا يحجب بعضها ببعض، بالأضافة إلى انتمائه لجماعات تتلائم معه من حيث ثقافتها وقيمتها.

وعندما نتعرض لدراسة التوافق فى ضوء هذا المدخل فيجب أن نشير إلى ان تعقد المجتمع الحديث يؤدى إلى تقليل فرص التكامل للشخصية،

وإلى ظهور احتمالات كثيرة لتفككها، والدليل على ذلك الزيادة المطردة فى نسبة ما يقعون فريسة للأمراض النفسية والعقلية والعصبية في المجتمع الحديث الذى يتغير باستمرار بسرعة فى كثير من الإحيان.

وإذا كان منطلق هذا المدخل أن السوى هو المتوافق مع المجتمع، أي من استطاع أن يجارى قيم المجتمع ومعاسره وأهدافه فان لهذا المدخل أكثر من عيب لا يمكن إغفاله أو تجاهله.

والخلاصة:

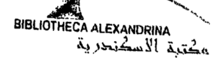
قد يبدو أن هناك أوجه اختلاف في هذه المداخل الثلاثة فى النظر إلى التوافق النفسى والاجتماعى، وعما اذا كان الاساس فى (التوافق - عدم التوافق) راجعا إلى أسس فسيولوجية أو سيكولوجية أو أسس أجتماعية، فقد يكون هذا الاختلاف راجعا إلى:

١ - التركيز على أهمية جانب معين فى نطاق المضمون العام للتفسير الذى يأخذ به هذا الاتجاه أو ذلك.

٢ - ادرجت وحدة الاطار المرجعى الذى يتمثل فى نظرية عامة لتفسير التوافق.

٣ - هذا ويجب الإشارة إلى التماثل في المضمون العام للتفسير فى ضوء كل مدخل من هذه المداخل الثلاثة.

والواقع أن النظرة المتكاملة في دراسة التوافق والتي تشمل هذه الوجوه الثلاثة - الفسيولوجية، والنفسية، والاجتماعية إنما تشكل نظرة متكاملة الاطراف لموضوع التوافق، ولابد أن نعرف، أن كلا من هذه المداخل الثلاثة السابقة صحيح إلى حد ما، ولكن كل منها لا يصلح أساساً لتحليل التوافق وتفسيره ، وذلك أن كل مظهر سلوكى هو نتيجة حتمية لتفاعل العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية بطريقة ديناميكية مطردة «فليس التفسير السيكولوجى هو التفسير النفسى، بل التفسير بالعوامل الثلاثة الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية متكاملة»(١٣).


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

ثانياً: مشاكل التوافق

(الاعصبة Stress)

لدراسة مشاكل التوافق علينا أن نبحث عن المعوقات Obstacles أو العوائق Barriers التى يواجهها الفرد فى طريق أشباع حاجاته بصورة منتظمة دائمة تلك المعوقات والعوائق سواء أكانت بيئية مادية أو اجتماعية، داخلية نفسية أو فسيولوجية فإنها عوائق أو معوقات تتدخل فى أشباع حاجات الفرد ومطالبة، وتعقد المجهودات المبذولة لكى يحقق الفرد ذاته فى اطار المجتمع الذى يعيش فى كنفه وينتهى به فى الغالب إلى سوء التوافق.

ويشير كثير من الباحثين إلى أن المعوقات التي تقابل الفرد يمكن أن تشكل مطالب توافقية Adjustive demands أو انعصاب Stress بالنسبة للفرد، تحتاج منه إلي مجهود زائد وتغير فى نشاطه، وإذا ما أراد أن يتغلب على هذه المعوقات ويواجه حاجاته ومطالبه وعندما يكون الانعصاب زائدا، فإنه يستنفد قوانا، ويؤدى إلى تدمير الوظائف المتكاملة لشخصياتنا ويعالج جيمس كولمان مشاكل التوافق أو ما يطلق عليها (الانعصاب أو الاجهاد) من خلال:

١ ـ مستويات الانعصاب. Levels of Stress.

٢ ـ مصادر الانعصاب. Sources of Stress

٣ ـ شدة الانعصاب. Severity of Stress

٤ ـ تفرد نماذج الانعصاب وتنوعها. Stress Patterns are Unique and Change

التعريف الموضوعي للانعصاب:

يعرف أنجلش الانعصاب بأنه قوة مادية واقعة علي الكائن تكفى لأن تسبب له توتراً أو تفككاً فى شخصيته، وعندما تكون هذه القوة المؤثرة كبيرة فإن تأثيرها على شخصية الفرد يكون بنفس القدر، وقد يعرف البعض

(الانعصاب Stress) بأنه ضغط إنفعالي Emotional upheaval غير سار يخبرة الفرد في استجابته للاحباطات التي يتعرض لها في بيئته، وقد يعمم بعض العلماء هذا المصطلح ليشمل كل الظروف التي يواجه الكائن (أو تعترض اشباع دوافعه وأرضاء حاجاته) وتتطلب استجابات توافقية مساوية لها

والواقع أن مصطلح الانعصاب يستخدمه العلماء الاجتماعيون والبيولوجيون ويعني لديهم أي ظروف داخلية، تتعلق بتكوين الفرد نفسيا وبيولوجيا) أو ظروف خارجية (اجتماعية كانت أو مادية) تؤدي إلى تعرض المطالب التوافقية للفرد إلى درجات من الضغط أو الشد تعوق تكيف الكائن بوجه عام.

وللانعصاب درجات. البسيط منه عادة ما يسبب شدا بسيطا Strain وهو اصطلاح مرادف للتوتر النفسي Tension ويعني شعور عام باختلال الإتزان والاستعداد لتغيير السلوك للمواجهة عامل يتهددنا في موقفنا، ولدى الفرد مصادرة الضخمة لكي يستجيب لهذه التوترات وإن كان لا يشعر بتلك المصادر.

أما الانعصاب العنيف والذي ينشأ عن مطالب توافقية صعبة جدا فإنها تكون سببا لشد عنيف، قد تنهار على أثرها مقومات التوافق لدى الفرد، وتؤدى إلى انهيار وظائفة المتكاملة.

وقد اقترح sarbin, 1938 مصطلح الشد العقلي cognitive Strain لكي يشير إلى التأثيرات الناشئة عن المطالب التوافقية والتي تظهر نتيجة احتكاك الفرد بمشاكل الاختيار والصراع والتنافس، وتداخل الاهتمامات وتشعبها وغيرها من المظاهر المرتبطة بظروف الإنسان

معنى ذلك أن الانعصاب يمتد ليشمل القوى الطبيعية للفرد كما يشمل أنظمته السيكولوجية، وكذلك انظمته الفسيولوجية، ويشير إلى تغيرات مرتبطة باضطرابات معينة.

أولاً: مستويات الانعصاب.

الانعصاب يمكن أن يحدث على المستوى البيولوجي أو السيكولوجي أو السوسيولوجي ويظهر في سلوك الفرد ودفاعاته. فاضطراب غدة ما كالغدة الدرقية يمكن أن ينشأ عنه شد Strain (أو توتر) على المستوى البيولوجي.

ولذلك فإن جسم الإنسان وهو مزود بخلايا ودفاعات مانعة للجسم ضد الأمراض تكفل له إعادة توافقه مرة أخرى، وأيضا قد يوجد هذا الشد علي المستوى السيكولوجي كتعرض الإنسان لمشاعر الذنب على سبيل المثال، وهناك أيضا الاليات السيكولوجية اللازمة والمتضمنة في الانا، والتى تكفل الحصول علي الاشباعات التى نحتاجها فى حياتنا العادية، وبالتالى خفض التوترات التى نعانيها من تلك المواقف العاصبة، وحماية الذات من الانهيار.

كما نلاحظ أن هذا قد يحدث على المستوى السوسيولوجي أيضا كالانعصاب الذى يمكن ان يحدث على مستوى الجماعة تماما، كما يحدث على المستوى الفردى، مثل حالات الكساد الاقتصادى والحروب، أمثلة لمواقف تمثل مطالب توافق لكل من الفرد والمجتمع كوحدة واحدة وعلى هذا المستوى توجد لدينا الطرق المناسبة لحل مثل هذه المواقف الانعصابية حتى لا تهدد الفرد والجماعة.

ويجب الأخذ فى الاعتبار أن الفشل فى أى من مستويات التوافق السابقة يضعف توافقنا فى المستويات الأخرى، وعلى سبيل المثال أن فشل الآليات الدفاعية فى الجسم ضد الأمراض يمكن أن يضعف ليس فقط الوظائف الجسمية، ولكن قد يمتد أثره كذلك إلى الوظائف السيكولوجية، مما يؤكد أن الفشل في أي من مستويات التوافق سواء أكانت سيكولوجية أو أجتماعية أو بيولوجية يمكن أن يؤدى إلى ضعف (سلوك الفرد الوظيفى على المستوى الكلى) وينتهى كولمان إلى أن هناك تكاملا وتضافرا فى وظائف الكائن الحى والبيئة المعقدة التى تتميز بالمواقف الانفعالية الكثيرة التى قد تعترض ارضاء مطالب الفرد.

ثانياً: مصادر الانعصاب:

يمكن تصنيف مشاكل التوافق أو مواقف الانعصاب إلى
١ ـ الاحباطات أو التأزمات النفسية.
٢ ـ الصراعات النفسية أو الضغوط.

أولاً: الاحباط: Frustration

يشير كولمان إلى أن هناك نوعين من الاحباط: الخارجى External والداخلى Eternal والاحباط من المعروف أنه ينشأ عادة عندما تكون هناك صعوبات وعقبات تعترض سير دوافع الإنسان نحو أهدافها. فالتزمت الشديد للوالدين يشكل مصدرا للاحباط بالنسبة للفتاة المراهقة التى تريد الذهاب إلى الحفلات التى تقيمها المدرسة، بينما يعد نقص الماء مصدرا للأحباط بالنسبة للرجل التائه فى الصحراء.

والاحباطات أو الازمات النفسية يمكن أن تكون بسيطة أو خطيرة إلى الحد الذي يهدد رفاهية الإنسان، كما أنه يمكن أن ينشأ عن مصادر داخلية أو خارجية لديه كذلك.

الاحباط الخارجي Environmental Frustration

ويرجع هذا النوع من الاحباط إلى العقبات البيئية طبيعية كانت أم اجتماعية تعوق إرضاء حاجات الفرد ورغباته وآماله، فالقحط والفقر، والكوارث الطبيعية كالزلازل والعواصف، تعتبر أمثلة خارجبة مثيرة للاحباط، أو مصادر للتهديد في البيئة الطبيعية التى يحيا فيها الإنسان، وقد تتمثل العقبات الاجتماعية فى التنظيمات المختلفة كضوابط على السلوك، وفى العقاب الذى يلحق من يخالفها، والعقبات بالنسبة للفرد أزاء مخالفته لتلك القواعد يعتبر عوامل مثيرة للاحباط.

كل هذه الظروف تمثل مصادر «للضغوط النفسية والتأزمات عند الكثير منا، كما أنها تثير مشاعر عدم الكفاية، والعزلة وعدم الامان وبما

يجدر ذكره في هذا الصدد، أن العقبات الخارجية ليست في ذاتها مصادر للاحباط والضيق والالم عند جميع الناس، بل يتوقف تأثيرها على وقعها وصداها في النفوس المختلفة ـ فالبؤس في ذاته لا يحرك الناس بل الشعور بالبؤس ومن الناس من يتقبلون الفقر ويطيقونه في صبر يدعو إلى الا عجاب..... وعلى هذا فكل صراع خاص لا يكون له أثر محرك أو أثر ضار الا حين ينقلب الى صراع داخلي نفسي (٦ :٥٦٠).

الاحباط الداخلي Personal Frustration

ويرجع هذا النوع من الاحباط أو التأزم النفسي إلى المحددات الشخصية: نفسية كانت أو جسمية: وتأخذ مظاهر النقص العضوي، القدرة غير الكافية، نقص الجاذبية الاجتماعية للشخص، ضروب متباينة من العقبات أو المعوقات مثيرة للاحباط أو التأزم النفسي ذلك أنها تعوق الفرد في سعيه للحصول على الانتماء الاجتماعي، والمكانة، والنجاح الذي يتمنى الحصول عليه، كما أن هذه المعوقات قد تشكل مصادر خطيرة لفقدان التقدير الذاتي للفرد والتأزم النفسي خاصة اذا ما كان الاحباط ناشئاً عن تعارض بين دوافع الفرد المختلفة والضوابط الواقعية والاخلاقية المحيطة به، كرغبة الفرد في ارضاء دوافعه وخوفه من العواقب أو خوفه من تأنيب ضميره، وحتى أذا ما حطم الفرد تلك القيود الواقعية والحدود الأخلاقية فان مشاعر الذنب والشعور بالتأزم الذاتي هي التي تتبع هذا السلوك في العادة.

أيضاً قد تعتبر الظروف البيولوجية كالتعب والمرض مصادر للانعصاب، فالتعب يمكن أن يعد من العوامل المثيرة للأحباط، بالنسبة لسعي الإنسان، كما أنه يعد عاملا هاما في خفض مقاومة الفرد السيكولوجية، وكذلك المرض.

ثانياً: الصراع Conflict

غالبا مالا يكون الاحباط أو التأزم النفسي ناشئا عن عقبة واحدة، ولكنه قد يكون نتيجة صراع بين حاجتين، أو أهدافا قيمية، واختيار البديل

قد يعنى الاحباط ذلك بالنظر الى عدم الحصول على الهدف الاخر، ومع أن كولمان قد ناقش الإحباط والصراع كمصادر مستقلة للانعصاب، فإننا نلاحظ أن العنصر الأساسي فى الصراع هو دور الإحباط واسهامه فى اختيار الاشباع البديل.

والصراعات التى نعانى منها جمعيا يمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع من الصراع، كما يعبر عنها كولمان:

صراع الاقبال والاحجام، صراع الاقبال المزدوج، صراع الاحجام المزدوج.

١ ـ صراع الإقبال والإحجام Approach - Avoidance Conflict

وينتج من محاولة الاختيار بين هدفين أحدهما له جاذبية ايجابية، والاخر ذو جاذبية سلبية، وهذا النوع (أخطر من النوعين الآخرين) وينشأ عادة من الاصطدام بالمثل والمعايير وعلى سبيل المثال قد يكون للهدف الواحد جاذبية سلبية وأخرى ايجابية ويلاحظ فى هذا النوع الأخير أن قوة الجاذبية تعتمد على بعد الهدف أو قربة للفرد.

٢ ـ صراع الاقبال: approach - approach conflict

وينتج من محاولة الاختيار بين دافعين كلاهما له جاذبية ايجابية، وعلى المستوى البسيط لهذا الصراع فإن الفرد يمكن أن يقرر بين مشاهدة فيلمين أو بين استخدامين للسيارة، أو بين نوعين من الطعام على مائدة الغذاء وهذا أكثر حالاته تعقيداً.

٣ ـ صراع الاحجام avoidance - avoidance - conflict

وينتج من محاولة الاختيار بين هدفين كلاهما له جاذبية سلبية، أو بين شيئين غير مرغوب فيهما كأن يختار الشخص بين التعطل وبين عمل هو لا يريده، أو بين أن يتزوج من امرأة لا يحبها وإحتمال أن يعجز عن أن يجد غيرها، وفى وقت الحرب على الفرد أن يختار بين القتال واحتمال أن

يقتل فيه من ناحية، وعدم الاستحسان الاجتماعى والاحساس بأنه شخص جبان من ناحية أخرى أذا هرب من ساحة المعركة.

«ولا يخفي أن حياتنا لا تخلو من نوع أو أخر من الصراع ولكن خطورة الصراع ليست فى وجوده، وإنما استمراره وكثرته وشدته، بحيث يستنفذ طاقة الفرد النفسية، وبعجزه عن تحمل التوتر المصاحب له ويلجأ الفرد عادة إلى حيل أو وسائل دفاعية لحماية شخصيته وارضاء دوافعه أو لتغيير الواقع المحيط به حتى يصبح مقبولا لتحمله.

وتقرر كارين هورنى فى كتابها (الشخصية العصابية في عصرنا ١٩٣٧) أن الخوف أولا، والمنافسة ثانيا، وتوقعات الفشل ثالثا، تنشأ عنها الصراعات العقلية في الحياة الأمريكية الحديثة، ولذلك فإن أهم الاسباب البيئية لانتشار الشخصية العصابية فى نظر هورنى كما سبق، هى عوامل الخوف والمنافسة وتوقعات الفشل الناشئة عن الصراع بين الشخصية الفردية وتقدم التكنولوجيا. (٥ :٢٦٢، ٣، ١٧٤).

ثالثا: الضغوط Pressures

يشير كولمان الى أن مشاكل التوافق قد لا تنشأ اساس عن الاحباطات والصراعات وحدها ولكن تنشأ أيضا نتيجة للضغوط التى تعوق سعينا فى الحياة.

وهناك ضغوطا داخلية المصدر Inner pressures قد ترجع الى مثالية الذات، ومستوى طموح الفرد، وقدراته العقلية وسمات شخصيته، هذا بالاضافة الى المعايير ا سلوكية والاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد، كل هذه عوامل يمكن أن تعرض الفرد للضغوط العنيفة والمستمرة.

وهناك ضغوط خارجية المصدر auter pressures وترجع معظم هذه الضغوط الى المطالب البيئية، الأفراد الذين يحيطون بالفرد، وعلى سبيل المثال، أن التعليم والزواج، والوظيفة المناسبة، وفن الأبوة، المسئوليات الواقعة على عاتق الفرد، كلها ضغوط على الإنسان المعاصر.

ويؤكد كولمان أن الموقف الذي يتسم بالانعصاب يتضمن عناصر الاحباط والصراع، والضغط ومع أن هناك أعصبة خاصة قد تكون هى المسيطرة، فنحن نادرا ما نعالج موقف انفعالى منعزل ولكن عادة مانواجه بمطالب تتميز بالديمومة والتغير والتعقد، هذا بالاضافة إلى أنها قد تبدو متناقضة غير متسقة ولذلك فنحن نتكلم عن أنماط للعصاب دون أن نتكلم عن موقف انعصابى.

ثالثاً: شدة الانعصاب:

ويعنى كولمان هنا بدرجة الشدة ـ قدرة الأعصبة على التأثير على إمكانيات التوافق الخاصة بالكائن العضوى، فالشدة المألوفة للأعصبة تتقرر عن طريق عدة عوامل موضوعية وذاتية،منها ما هو متعلق بـ:

أ ـ صفات الموقف ذاته، ويندرج فى اطارها:

ـ الديمومة والاهمية وتداخل المطالب.

ـ قوة وتساوى القوى المتصارعة.

ب ـ صفات تتعلق بالفرد وتندرج فى اطارها:

ـ تقيم الفرد ذاته للمشكلة التى يواجهها وقدرته على مواجهتها.

ـ رصيد الانعصاب لدى الفرد.

واذا كان الانعصاب فى الكائن الحى يميل بالشخصية الى سوء التوافق النفسى الاجتماعى نتيجة اعتلال الصحة النفسية للفرد، فقد اشار كولمان إلى أن هذا الانعصاب يعتبر مسألة درجة، أو هو عملية كمية في الشدة التي تحدث بها لدي الفرد مما يدفعه إلى أن يشكل استجاباته على أساس هذه الشدة فى التأثير، كما أن الانعصاب يختلف لدى الفرد فى حدوثة من حيث أهميته وبقائه وتداخل الدوافع المعاقة، فقد تكون الدوافع المعاقة بالنسبة للفرد ذات أهمية حيوية له مما يسبب التوتر الدائم له، أو قد تكون أهداف لم تتحقق وكان هناك بديل لها، أو كانت هناك مطالب متداخلة لا يفطن الفرد إلى أهمية كل منها حتي يتمكن من أشباعها أولا، أو قد تكون

هذه الدوافع والأهداف فوق قدرة الفرد علي الإشباع أو التحقيق، كل هذا قد يؤدى بالفرد إلى الانعصاب وجوهرة في الواقع هو التوتر الموصول.

والواقع أن الانعصاب لا تتمثل خطورته في وجوده، وإنما في بقائه وكثرته وشدته فهو يستنفذ طاقه الفرد النفسية ويعجز صاحبه عن تحمل التوتر المصاحب له ويدفع به في النهاية الى الانعصاب.

وتتوقف قدرة الفرد على تحمل هذا الانعصاب على درجة احتماله دون أن ينزع الى أساليب معوجة غير ملائمة لحل مشكلته وازالة التوتر والصراع الذي انتاب شخصيته واستعادة توازنة النفسي بوجه عام، فمن كان رصيد الانعصاب لديه مرتفعا فإنه يستطيع أن يتحمل تلك الضغوط النفسية القائمة على الاحباط والحرمان بعدم الانهيار بدرجة أفضل من غيره.

ويتوقف رصيد الانعصاب لدى الفرد على مجموعة من العوامل - كالسن والجنس والمهنة والمكانة الاقتصادية والاجتماعية،والشخصية،والوراثة، ونوع تربية الفرد في طفولته، وعوامل أخرى تسهم في النهاية في تشكيل هذه الرصيد.

رابعا: نماذج الانعصاب متفردة unique ومتغيرة changing

يواجه كل فرد نموذجا فريدا من المطالب التوافقية وهذا صحيح جزئيا، وذلك راجعا إلى الفروق بين الناس في التصرف ازاء الموقف، ومن الناحية الموضوعية فأنه لا يوجد فردان يواجهان تماما نفس النموذج من المطالب، فلكل فرد سنه وجنسه ومهنته، ومكانته الاقتصادية والاجتماعية، ودرجة ذكائه وشخصيته، وهذا بالاضافة الى العوامل الاخرى التى تسهم في تقرير المطالب التى تعن له.

كما أن نموذج الانعصاب الذى يواجهه الطفل يختلف من وجوه عدة عن ذلك الذى يواجهه الشخص الكبير، ونموذج الانعصاب الذى يواجهه (الخشاب Carpenter) سوف يختلف بالضرورة عن ذلك الذى يواجهه

رجل الاعمال من ناحية، ومن ناحية أخري فإن نموذج الانعصاب يتغير تبعا لعامل الوقت، وكلها تتيح لنا القدرة علي التنبؤ.

ثالثاً: المحددات الاساسية للتوافق

تتحدد الطرق التى نحاول بها التوافق عن طريق كل من الصفات البنائية والمتكاملة للشخصية وأيضا طبيعة المجال المحيط بالفرد، وفى بعض الاحيان يكون للمحددات الداخلية Inner كإطار مرجعى فريد للشخصية unique frame of reference دور مسيطر فى عمليات التوافق وفى أوقات أخرى يكون للمحددات الخارجية كالتوافقات الاجتماعية أو المجهودات البيئية دور أخر فى عملية التوافق.

وأي فعل توافقي يعكس التفاعل بين المحددات الداخلية والخارجية، يهدف للتوافق النفسى والاجتماعى للفرد.

أولاً: المحددات الداخلية المصدر فى تشكيل استجابات الفرد نحو الانعصاب:

وتتضمن هذه المحددات ما أصطلح عليه كولمان بالإطار المرجعى الفريد بما يتضمنه من نماذج للدوافع، كفاية الفرد، رصيد الفرد من الانعصاب، الشروط الفسيولوجية والسيكولوجية للانعصاب......ألخ.

أ ـ إطار مرجعى ـ تصور عقلى: frame of reference-cognitive map

هناك أمور تؤثر فى الطريقة التى بها نستحسن مواقف الانعصاب أو نتقبلها منها توقعات الفرد عن الواقعية، الامكانية، القيم، البدائل الفرعية للفعل والتى يقرر الاخذ بها ونلاحظ أن هناك فرداً يمكن أن يشعر بالاحباط فى موقف ما بينما هناك أخر يستطيع أن يعالج هذا الموقف بسهولة ولا يشعر ازاءه بأى أحباط.

ويشير كولمان إلى أن الطرق التى نتصرف بها إزاء مواقف المخاطرة

التى تجابهنا هى التى تشكل وتتفق فى تكوينها وتوقعاتنا عن أنفسنا وعالمنا المحيط بنا، وما إذا كانت البدائل التى أخترناها أكثر راحة لنا وأقل تعباً، كل هذا يمكن أن يعطينا تصوراً عن نوع الشخص وماهيته.

ويمكن أن يتدخل الإطار المرجعى فى التوانق المؤثر إلى حد، أن نقص المعلومات أو توقعات الفرد عن ذاته، إمكانياته وقدراته، العالم المحيط به، أمور يمكن أن تغير من طبيعة إدراك الفرد للمواقف أو تؤثر فيه، وبالتالى يمكن أن تقف حائلا بين التوفيق بين مطالب سلوكه ومحاولة حلها، أو إشباعها.

ب ـ صورة الدوافع Motive Patterns

تؤثر قوة الدوافع أو الدوافع الناشئة عن مواقف الانعصاب فى كمية الطاقة التى يحاول بها الفرد أن يتغلب بها على الصفات التى تقابله، كما تحدد قدرته على المثابرة على تلك المجهودات الرامية إلى التغلب على هذه العقبات، وكما نعلم فإن دوافعنا يمكن أن تكون شعورية أو لا شعورية، كما أنها يمكن أن تدفعنا إلى اتجاهات منسجمة أو متناقضة، كما أنها فى بعض الأحيان ترتكز على قيم وهمية ومن ثم فإن سعينا نحو أهدافنا قد لا يؤدى بنا إلى الإشباع الذى نرجوه.

ولكنها أمور تعتبر محددات أساسية فى اتجاهاتنا، وموجهة لطاقتنا السلوكية، وسلوكنا المتوافق بوجه عام. (١٦ : ٥٢، ٥٣، ٥٨).

(ج) كفاية الفرد: Competencics

تشكل مهاراتنا وقدراتنا الدور الأساسى لطاقتنا التوافقية ويبرز دورها فى تقرير الفعل أو السلوك الذى يمكن أن نأخذ به فى حل موقف الإحباط أو الانعصاب الذى يواجهنا.

فإذا كان الموقف يتطلب كفاية قد لا نملكها، فسوف نكون إذا غير قادرين على أن نواجه مطالبنا بنجاح ولذلك فإن كلا المهارة والكفاية تشكل عوامل هامة فى هذا المقام، بل بالإضافة إلى مستوى ذكائنا وقدراتنا

الأخرى الطائفية ـ ويشير كولمان إلى أنه يجب الأخذ فى الاعتبار الكفاية الجسمية، والعقلية، والانفعالية والاجتماعية للفرد، ويجب أن لا نغفل أى من تلك الوجوه ـ خاصة فى مواجهة مواقف الانعصاب التى تجابه الأفراد.

(د) رصيد الانعصاب Stress Tolerance

قدرة الشخص على اختزان الانعصاب كخبرة يعتبر مصدراً هاماً آخر يمكن أن يسهم فى حل مشاكل الفرد التوافقية، ويعتبر هذا الرصيد من المحددات المهمة لسلوك الفرد فى عمليات التوافق بوجه خاص.

وكثيراً ما نرى أن كلامنا قد يكون أكثر استهدافاً لبعض طرز الانعصاب دون الأخرى وأن لكل منا حداً معيناً هو الحد الذى يعجز بعده عن أداء وظيفته بطريقة كاملة ويبدو أن مستوى الفرد من رصيد الانعصاب سواء أكان هذا المستوى مرتفعاً أم منخفضاً يعتمد على التكوين الجبلى للفرد فى المقام الأول، الدرجة المرتفعة لنجاحاته فى مواجهة حاجاته البيولوچية والسيكولوچية، كفايته العقلية، وغير ذلك من كفايات متعلقة بالفرد، ودرجة ثقته بنفسه، سماته الشخصية كالمرونة والصبر والشجاعة... الخ.

(هـ) الظروف الفسيولوچية والسيكولوچية المؤثرة فى مواجهة الانعصاب:

يتوقف حل المشكلة التى نواجهها على أمور كثيرة نتعرض لها من الناحية السيكولوچية كالتفاؤل والتشاؤم، عند حل المشكلة، عامل الشجاعة، أو الجبن وما لهذه العوامل من دور فى حل المشكلة، أيضاً من هذه العوامل، الأمراض، التعب، مواقف الانعصاب الصعبة. كل هذا يقلل من قدرتنا على مواجهة المشاكل، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الصحة الجيدة، الحالة النفسية المستقرة، المعرفة العامة بقدرات الفرد وإمكانياته، عوامل تجعل الفرد أقدر على مواجهة مواقف الانعصاب المتغيرة، وتساعد على تقرير كم من الجهود والانتباه يجب أن يوجه للمشكلة.

(ح) التصلب والمرونة Rigidity Flexibility

يشير مفهوم التصلب إلى «العجز النسبى عن تغيير المرء لتصرفاته واتجاهاته عندما تتطلب الظروف الموضوعية ذلك». ولذلك فإن للتصلب علاقة وثيقة بالتوافق حيث أهمية المرونة ـ مرونة السلوك والشخصية ـ فى تحقيق التوافق النفسى والاجتماعى، حتى يتم التوائم مع مقتضيات البيئة، والظروف التى يعيشها الفرد، ولذلك يجب أن يكون لدى الفرد القدرة على تعديل سلوكه وعاداته واتجاهاته فى سبيل الاستجابة للموقف المركب الذى ينتج من حاجته وقدرته على إشباع هذه الحاجات، ولذلك فإن من متطلبات السواء أن الإنسان لابد أن يكون مرناً، وأن تكون لديه القدرة على استجابات متنوعة تلائم المواقف المختلفة وتتيح له تحقيق دوافعه.

(خ) مفهوم ذات Self-Concept واقعى يقترب إلى حد ما من المثالى:

لمفهوم الذات علاقة وثيقة بعملية التوافق «وإلا فكيف نفهم مثلا أن نجاح الفرد فى ناحية ما يعوضه عن فشله فى ناحية أخرى أو حتى فى عدة نواح، إن مثل هذه المرونة فى عملية التوافق لا تفهم إلا فى ضوء افتراض وجود مفهوم كلى عن الذات. فالتوافق ليس عملية جزئية ناتجة عن إشباع هذا الدافع الخاص أو ذاك، بل هى عملية كلية تتوقف على أن يجد الشخص نجاحه فى مجال ما، ونحن نلاحظ فى مواقف الحياة اليومية أو من خلال الخبرات الاكلينكية، كيف أن التلميذ مثلا قد يحقق توافقاً للموقف المدرسى، بعد أن يكون قد استطاع أن يكون علاقة طيبة مع مدرسيه، أى بعد أن يكون قد استطاع أن يحقق لذاته شعوراً بالتقبل والتقدير، وذلك بالرغم من أن جميع الدوافع الجزئية التى أحبطت لا تزال كما هى، وتكون نتيجة هذا الشعور أن يصبح التلميذ أقدر على إشباع تلك الدوافع الجزئية...

ثانياً ـ المحددات الخارجية المصدر فى تشكيل استجابات الفرد نحو الانعصاب.

وتتضمن هذه المحددات.

المصادر البيئية، التأييد الاجتماعي للسلوك، الموانع، التوقعات الاجتماعية، موقف الحياة العام للفرد

هذا بجانب ظروف وحوادث اللحظة ذاتها.

أ ـ المصادر البيئية Environmental Resources

تتحدد البدائل المتاحة للإنسان فى البيئة على أساس المصادر البيئية المتاحة له فنحن لا نستطيع طلب الطبيب، إذا لم يكن فى المدينة، ولا نستطيع طلب الشرطة إذا كنا نعيش فى منطقة لم تستقر فيها حكومة بعد، كذلك لا نستطيع أن نرسل أولادنا إلى المدرسة إذا لم يكن هناك تسهيلات تربوية من المجتمع، وتنقصنا الوسائل الكافية للذهاب إليها.

ومع أننا نعيش فى المجتمع وهو واسع وغنى فإن البعض يمتلك من الوسائل المادية ما يكفيه والبعض لا يملك أو يملك البدائل، وقد نجد أن الفقراء والذين يعيشون فى مجتمعات متخلفة يعيشون فى ظل ظروف ومحددات قاسية على سلوكهم فرضتها طبيعة البيئة التى يعيشون فيها.

ب ـ التأييد الاجتماعي للسلوك Social Supports:

تأييد الأصدقاء، الأسرة، الجماعات الأخرى، أمور تجعل المشكلة أقل انعصاباً مما لو كان الفرد منعزلا وحتى الذين يقعون فريسة للانعصاب يبحثون عن التأييد والمساعدة من الآخرين كى يمدهم بالقوة والعون فى سلوكهم أيضاً التأييد المادى للفرد من الآخرين، الشجاعة فى المواجهة أمور تجعل الانعصاب أقل تهديداً للفرد وتجعل الفرد أقدر على مواجهته نفسياً، وعلى الجانب الآخر فإن النقد، الخذلان، التوبيخ، أمور تجعل الموقف أكثر صعوبة بالنسبة للفرد.

ت ـ التوقعات الاجتماعية، المطالب، الضوابط:

بينما يساعدنا التأييد الاجتماعي فى أن نتعامل والانعصاب الذى

يجابهه وأن يوجه حاجاتنا ومطالبنا. تأتى التوقعات الاجتماعية والضوابط الاجتماعية تعقد من سلوكنا عن طريق

١ - تحديد القنوات التى يتم من خلالها تحرك الفرد لإرضاء حاجاته ومطالبه وأهدافه.

٢ - تحديد نوع السلوك للأفراد الذين يشغلون مواضع فى الجماعة (هذا التحديد ضمنياً طبقاً للدور الذى يؤديه الفرد والتوقع الاجتماعى المنتظر له).

أيضاً تحديد توقعات ومطالب الدور Role والتى تأخذ دائماً أسبقية زائدة عن الأحكام والرغبات الشخصية، كالضابط الذى يريد أن ينسحب ويؤمر عن طريق مرؤسيه أن يحتل موقعه ويهاجم، هنا تكون الأسبقية الاجتماعية لها تأثير كبير على السلوك.

(ث) موقف حياة الفرد: Life Situation of the Individual

كل فرد منا له موقفه الفريد فى الحياة، وعادة ما يتسم هذا الموقف بتوازن نوعى بين الأعصبة ومصادر مواجهتها، بين النجاح والفشل.

وإذا أخذنا موقف حياة الفرد ككل، فيمكن أن نرى أن هناك توازناً مفضلاً للمصادر والخبرات الناجحة فى التعامل مع مطالب التوافق، وما تلبث أن تزداد قدرة الفرد على مواجهة الانعصاب بكفاءة أكثر وإذا لم يكن هذا التوازن مؤثراً، فإن قدرة الفرد بالضرورة تقل فى مواجهة مصاعب التوافق.

(ج) الحوادث المتواترة غير العادية: Momentary & Unusual Events

تلعب الظروف الداخلية للإنسان، بالإضافة إلى ظروف البيئة الخارجية دوراً هاماً كمحددات للسلوك، وغالباً ما تنشأ الأعصبة العنيفة نتيجة عدم الاتزان، المواقف الانفعالية والتى يصعب على الفرد أن يواجهها.

ينتهى كولمان إلى أن كل أنواع السلوك ناجحا كان أم غير ناجح ،

حكيما كان أم غير حكيم، مرنًا أو متصلبًا، كلها تعتبر محاولة من الكائن الحى يواجه مطالبه فى الحياة والظروف التى تواجهها، ولذلك يمكن تصور السلوك من خلال هذا المعنى على أنه محاولة أو جهد مبذول للتوافق.

وتتضمن الاستجابات السيكولوچية للانعصاب:

١ ـ عمل موجه للاستجابات يهدف فى المقام الأول لحل المشكلة.
٢ ـ دفاع موجه للاستجابات يهدف إلى خفض القلق وفرض تقدير الذات.
٣ ـ الاستجابات التعويضية الناقصة والتى تتكامل وظيفياً فى توافق الفرد.

إذاً فالعمل الموجه كاستجابة يتضمن مهاجمة المشكلة، والعمل على حلها بأى من أساليب الدفاع المعروفة، وغالباً ما تتضمن الاستجابات الدفاعية الموجهة للمشكلة بناء ميكانيزمات خافضة للتوتر، وتعلم ميكانيزمات دفاعية جديدة، تهدف فى المقام الأول إلى حدوث نوع من الراحة النفسية بالنسبة للفرد وذلك على أثر تخفيف التوتر الذى يعانى منه الفرد.

ثالثًا : النتائج الإيجابية للانعصاب:

مع أن الانعصاب الشديد قد يؤدى إلى انخفاض السلوك المتكيف وإلى تمزيق أوصال النسق بأكمله فإن الأعصبة يمكن أن يكون لها أيضاً نتائج إيجابية مثل:

١ ـ فهم جديد للذات: New-Self Understanding

وذلك من خلال الخبرة التى يخوضها الفرد فى المواقف الصعبة، فإن الفرد يمكن أن يحصل على صورة أوضح عن سمات شخصيته، طاقاته الممكنة، قدرته على التوافق.

٢ ـ الخبرة المتزايدة: Increased Competencies

بعد اجتياز الفرد للموقف الذى يتضمن انعصاباً، فإننا نجد أنه قد اكتسب خبرة وطرقاً جديدة وفعالة يمكن أن تساعده على بذل المزيد من الجهد فى مواجهة مشكلاته المقبلة.

٣ ـ بناء اتجاهات جديدة فى النظر للمشاكل:

New Approaches to Problems

إذا خبر الفرد أن الاتجاهات القديمة لسلوكه لا تؤدى إلى النجاح فى مواجهة الانعصاب والتغلب عليه فإن الفرد يمكن أن يجد طريقاً أو طرقاً جديدة وفعالة تؤدى إلى النجاح فى مواجهة تلك المواقف العاصبة.

٤ ـ رؤية أهداف واقعية وتوقعات جديدة:

More Realistic Goals and Expectations

يمكن أن يؤدى الفشل الدائم أو الإحباط إلى تفضيل الفرد للبدائل العادية التى يجدها أو يتوقعها من البيئة فى محاولة لخفض التوتر الذى يعانيه نتيجة مواقف الانعصاب المتكررة التى تواجهه فى حياته.

٥ ـ تزايد رصيد الانعصاب: Increased Stress Tolerance

مع خبرة الفرد بالأعصبة الصعبة ـ وكيفية التعامل معها والنجاح فى التكيف وإياها فإن الفرد يمكن أن تزيد قدرته على مواجهة الانعصاب وتزداد ثقته بنفسه وفى قدرته على مواجهة تلك الأنواع من الشدائد وغيرها.

والواقع أن الصحة النفسية والتوافق الفعال للإنسان، ليس نتيجة نقص الانعصاب، ولكن نتيجة تعلم الفرد لكيفية (التعامل بنجاح To cope with stress) مع تلك الأعصبة فكل التوافقات مكلفة سواء فى الطاقة أو فى الوقت، وفى إيجاد المصادر المختلفة لتلك التوافقات ولذلك تتحدد درجة نجاح الفرد فى علاج الانعصاب تبعاً للدرجة والديمومة التى يتوتر بها، وهذه أمور تحدد ما إذا كانت تكلفة الانعصاب سوف تكون بسيطة أم عظيمة وباهظة على شخصية الفرد.

رابعاً ـ القياس الموضوعى للتوافق

يناقش الباحث فى هذه الفقرة نقطتين:

١ ـ ما هى العناصر التى تشكل موضوع القياس فى مجال التوافق النفسى والاجتماعى.

٢ ـ ما هى الطرق الموضوعية والأدوات التى تصلح لقياس التوافق النفسى والاجتماعى.

يشير د. كمال دسوقى إلى أن الشخصية فى نظر علماء النفس هى الحياة الكلية للفرد وتعريفها بأنها التنظيم الكامل للفرد فى كل مرحلة من حياته مما يجعل الشخصية كلا متكاملا فى داته، متوافقاً مع ظروف حياته.

إذاً فإن جوهر الشخصية هو الطريقة التى ترتبط بها هذه السمات بعضها إلى بعض وهو ما يجرى قياسه لتقدير الثبات الانفعالى، والتوافق الاجتماعى للشخصية، على نحو ما يقاس الذكاء العام من معرفة بعض القدرات والاستعدادات.

كذلك يقاس التوافق الاجتماعى عموماً كسلوك أو استجابات اجتماعية، ومن الناحية الأخرى كمنبه وإثارة، أو تأثير اجتماعى أو كاتجاهات اجتماعية، أو من حيث تقسيم الناس إلى مهتمين بذواتهم فى داخل أنفسهم ومتجهين إلى العالم فى خارجهم ـ على أساس القيم التى تسود حياتهم أو تجتذب اهتمامهم، وقيم الحاجات الإنسانية يسيطر عليهم، النظرى، أو الاقتصادى، أو السياسى، الاجتماعى، أو الدينى، أو الجمالى ومعنى ذلك أن التكامل فى الشخصية هو أساس التوافق النفسى والاجتماعى للفرد.

وقد يكون التكامل فى الشخصية على أساس خلو الفرد من الأعراض العصابية، وميله نحو الثبات والاتزان أيضاً، العيش فى ظل علاقات اجتماعية راضية مرضية فى إطار المجتمع ككل أساسها السلوك الاجتماعى والاستجابات الاجتماعية الطبيعية التى تخلو من الذاتية .

ـ إذا فى مرحلة القياس نعنى بالتوافق النفسى السمات النفسية : كالانطواء

والانبساط والسيطرة الخضوع، الاتزان، عدم الاتزان، الاكتفاء الذاتى، الثقة بالنفس، اللامبالاة، وتلك العناصر هى التى تشكل أساس التوافق النفسى وعناصره عامة.

- كما أننا نعنى بالتوافق الاجتماعى قياس السلوك والاتجاهات والاستجابات الاجتماعية للفرد وتلك هى مداخل دراسة التوافق بوجهيه النفس والاجتماعى.

وليس تقدير توافق الشخصية أو عدم توافقها بأقل خطورة من تحديد نسبة الذكاء.

أدوات القياس الموضوعية المستخدمة لقياس التوافق

أولا - اختبار الشخصية للمرحلة الثانية (اختبار كاليفورنيا)

إعداد : د. جابر عبد الحميد جابر، د. يوسف محمد الشيخ.

ويقوم هذا الاختبار على مفهوم للتوافق مع الحياة باعتباره موازنة بين التوافق الشخصى والتوافق الاجتماعى، ويتكون من ١٨٠ سؤال تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوافق الشخصى:

ويقوم على أساس شعور الفرد بالأمن الشخصى وهو يتضمن الأبعاد الستة التالية:

أ - الاعتماد على النفس:

يقال عن الفرد أنه يعتمد على نفسه عندما تبين أفعاله الظاهرة أنه يستطيع القيام بالأعمال مستقلا عن الآخرين، وأنه يعتمد على نفسه فى المواقف المختلفة ويوجه نشاطاته وسلوكه بنفسه دون أن يخضع فى ذلك لأحد غيره، الشخص الذى يعتمد على نفسه يتميز أيضاً بالثبات الانفعالى وبمسئوليته عن سلوكه.

ب ـ الإحساس بالقيمة الذاتية:

يتوافر لدى الفرد الإحساس بالقيمة الذاتية عندما يشعر أن الآخرين يقدرونه، وأن لديهم إيماناً بنجاحهم فى المستقبل، وحينما يعتقد أن لديه قدرة على القيام بما يراه «غيره» من الناس، وأن له جاذبية وقبولا من الآخرين.

جـ ـ الإحساس بالحرية الشخصية:

يستمتع الفرد بإحساس الحرية، عندما يسمح له بقسط معتدل فى تقدير سلوكه وتوجيه السياسات والخطط العامة التى تحكم حياته، وتشمل الحرية المرغوب فيها على السماح بأن يختار أصدقاءه وأن يكون له مصروف خاص به له حرية إنفاقه.

د ـ الشعور بالانتماء:

يشعر الفرد بالانتماء ، عندما ينعم بحب أسرته، وبالتمنيات الطيبة من قبل أصدقائه الأوفياء، وبالعلاقات الودية مع الناس عامة. مثل هذا الشخص يحسن مسايرة مدرسية ويعتز بمدرسته.

هـ ـ الميول الانسحابية:

إن الفرد الذى يقال عنه أنه منسحب أى (منطوى أو منعزل) هو الذى يستبدل النجاح الفعلى فى الحياة الواقعية بالمتع الخيالية ـ وهذا الشخص يتميز بالحساسية والانفراد والاهتمام بذاته، والتوافق السوى يتميز بالخلو من هذه الميول.

و ـ الأعراض العصابية:

إن الشخص الذى يصنف على أن له أعراضاً عصبية هو الشخص الذى يقاس من عرض أو أكثر من الأعراض الجسمية مثل فقدان الشهية وإجهاد العين المتكرر وعدم القدرة على النوم، والشعور بالتعب باستمرار. أن الأفراد من هذا النوع قد يظهرون تعبيرات جسمية عن صراعات انفعالية، والتوافق السوى يتميز بالخلو من هذه الأعراض.

القسم الثانى: التوافق الاجتماعى:

ويقوم على أساس شعور الفرد بالأمن الاجتماعى وهو يتضمن الأبعاد الستة التالية:

(أ) المعايير الاجتماعية:

إن الفرد الذى يراعى المعايير الاجتماعية المرغوبة هو الذى يفهم حقوق الآخرين ويقدر ضرورة إخضاع رغبات معينة لحاجات الجماعة، مثل هذا. الفرد يفهم ما يعتبر صواباً أو خطأ من وجهة نظر الجماعة، كما أنه يتقبل أحكامها برضاء.

(ب) المهارات الاجتماعية:

قد يقال عن الفرد أنه ماهر اجتماعياً أو كفأ عندما يظهر مودته للناس، وعندما يبذل جهده ليساعد الآخرين، وعنما يكون دبلوماسياً (لبقاً) فى معاملته لأصدقائه وللأغراب أن الشخص الماهر اجتماعياً يتميز بأنه ليس أنانياً يحب الآخرين ويساعدهم.

(ج) الميول الاجتماعية:

ويعتبر الفرد عادة غير اجتماعى عندما يكثر من الشجار وعدم الطاعة وتدمير الممتلكات والشخص الاجتماعى هو الشخص الذى يحاول أن يحقق إشباعه بطرق لا تسىء إلى الآخرين وتظلمهم، ويتميز التوافق السوى بالخلو من هذه الميول.

(د) العلاقات الأسرية:

أن الفرد الذى يظهر علاقات أسرية مرغوب فيه هو الذى يشعر بأنه محبوب من أسرته، وتحسن معاملته ـ ومن لديه شعور فى كنفها بالأمن واحترام أفرادها له.

(هـ) العلاقات المدرسية:

أن التلميذ حسن التوافق فى المدرسة هو الذى يشعر بأن مدرسيه يحبونه

والذى يستمتع بوجوده مع التلاميذ الآخرين والذى يجد العمل المدرسى متناسباً مع مستوى ميوله ونضجه.

(و) العلاقات بالبيئة المحلية:

الفرد الذى يقال عنه أنه يتوافق توافقاً طيباً مع بيئته المحلية هو الذى يختلط مع جيرانه اختلاطاً سعيداً، والذى يفخر ويهتم بما يطرأ على البيئة من تحسينات، والذى يتسامح فى معاملته للأغراب والأجانب وتشتمل العلاقات البيئية المرضية على ميل لاحترام القوانين والنظم التى تتصل بالصالح العام.

وقد قام واضع الاختبار بتجزئة الأسئلة المائة والثمانين إلى اثنى عشر جزءاً، احتوى القسم الأول على نصف هذه الأسئلة، مقسمة إلى ستة أجزاء كل جزء مكون من ١٥ سؤال.

والقسم الثانى بنفس الصورة وقد أعدت للاختبار ورقة إجابة تحتوى على رقم العبارة واتجاه الاستجابة. ويمكن عزل أحد القسمين النفسى أو الاجتماعى من المقياس كل على حدة طبقاً لارقام عباراته التسعين.

ثانياً ـ اختبار التوافق / وضع هيو. م. ل:

Bell Adjustment Inventory, Hugh M. Bell

إعداد : د. محمد عثمان نجاتى:

ويقوم هذا الاختبار على فكرة أن مجالات الحياة، يمكن النظر إليها من زاوية التوافق وعدم التوافق، فهناك على سبيل : التوافق المهنى والتربوى والاجتماعى والصحى والنفسى ذلك أن كل مواقف الحياة فى جميع مجالاتها والتى تثير سلوكنا تتطلب منا التوافق وعلى أساس هذا، خرج مقياس التوافق ـ بل، ويمدنا بأربعة مقاييس مستقلة عن التوافق الشخصى والاجتماعى، وهو يتكون من ١٤٠ بنداً مقسمة إلى أربعة مقاييس فرعية يحتوى كل منها على ٣٥ بنداً كالآتى:

أ ـ التوافق المنزلي: Home Adjustment

إن الأفراد الذين يحصلون على درجات عالية في هذا المقياس يميلون إلى أن يكونوا غير متوافقين في حياتهم المنزلية، وتدل الدرجات القليلة على التوافق الحسن في الحياة المنزلية.

ب ـ التوافق الصحي: Health Adjustment

تدل الدرجات العالية في هذا المقياس على سوء التوافق من الناحية الصحية وتدل الدرجات القليلة على حسن التوافق الصحي.

جـ ـ التوافق الاجتماعي: Social Adjustment

إن الأفراد الذين يحصلون على درجات عالية، في هذا المقياس يميلون إلى الخضوع وإلى الانسحاب والتقهقر في اتصالاتهم الاجتماعية، أما الأفراد الذين يحصلون على درجات قليلة فيميلون إلى السيطرة وإلى العدوان في اتصالاتهم الاجتماعية.

د ـ التوافق الانفعالي: Emotional Adjustment

إن الأفراد الذين يحصلون على درجات عالية في هذا المقياس يميلون إلى أن يكونوا غير متزنين في حياتهم الانفعالية، أما الأفراد اذين يحصلون على درجات قليلة فيميلون إلى أن يكونوا متزنين في حياتهم الانفعالية.

ويشير بل إلى أنه استخدم هذا الاختبار بنجاح مع طلاب وطالبات المدارس الثانوية والجامعات، وتشير إلى أن لمقاييس الاختبار الأربعة معاملات ثبات عالية مما يجعل بالممكن استخدامها للمقارنة بين الأفراد.

وقياس هذه الأنواع الأربعة من التوافق يسمح بتحديد المجال الخاص الذى يعاني فيه الفرد مشكلات توافقية .

ومن الممكن عزل هذه المقاييس الأربعة طبقاً للمفتاح الخاص بالاختبار، سيكون لدينا أربعة مقاييس للتوافق كل منها يتكون من ٣٥ بنداً . هذا إذا أراد الباحث استخدام كل منها على حدة لأغراض خاصة محددة،

ومن الممكن استخدام الدرجة الكلية التى يحصل عليه للفرد للدلالة على درجة التوافق العام للفرد. وعن معاملات ثبات الاختبار وصدقه يرجع فى ذلك إلى كراسة تعليمات الاختبار.

ثالثاً ـ مقياس التوافق الدراسى لطلبة الجامعة:

إعداد : د. محمود الزيادى

وهو مقياس موضوعى مقنن يمكننا من قياس التوافق الدراسى للطلبة، والهدف من دراسة التوافق هو التحقق من أن التوافق النفسى السوى لدى طلاب الجامعات يعتمد على شقين:

الأول: العلاقات الإنسانية القائمة على البذل والعطاء والحب بأوسع معانيه، ومن ناحية أخرى الكفاية الإنتاجية المرتفعة دون أن يضفى أى منهما على الآخر.

وإن طغيان أحد هذين الشقين يؤدى إلى كف الشق الآخر ويبعد الشخصية عن حدود السواء والغرض من هذا المقياس قياس التوافق الدراسى لطلبة الجامعة على أساس ستة محاور أساسية هى:

١ ـ علاقة الطالب بأساتذته.

٢ ـ علاقته بزملائه.

٣ ـ أوجه النشاط الاجتماعى.

٤ ـ الاتجاه نحو مواد الدراسة.

٥ ـ تنظيم الوقت .

٦ ـ طريقة الاستذكار.

ويشتمل المقياس على ١٢٩ سؤالاً يجاب عليها فى حدود (نعم، لا ؟) وتلك البنود مقسمة بالتساوى على تلك المحاور الستة، وقد أجرى صاحبه تقنيناً له وكانت معاملات ثباته وصدقه مرضية يسمح باستخدامه باطمئنان، ولاشك أن المقياس له قيمة كبيرة فى قياس التوافق الدراسى للطلاب عامة.

مراجع الفصل العاشر

١ ـ إسماعيل (محمد عماد الدين)، الشخصية والعلاج النفسى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩.

٢ ـ القوصى (عبد العزيز)، أسس الصحة النفسية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩.

٣ ـ دسوقى (كمال) ، علم الاجتماع ودراسة المجتمع، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨.

٤ ـ دسوقى (كمال) ، علم النفس ودراسة التوافق، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٤.

٥ ـ راجح (أحمد عزت)، الأمراض النفسية والعقلية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤.

٦ ـ راجح (أحمد عزت)، أصول علم النفس، القاهرة، الدار القومية للطباعة، ط١٩٩٦/٦.

٧ ـ راجح (أحمد عزت)، علم النفس الصناعى، الإسكندرية، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠.

٨ ـ راجح (أحمد عزت)، أصول علم النفس، القاهرة، دار المعارف، ط١١، ١٩٧٤.

٩ ـ شافر (لورنس)، علم النفس المرضى : دلالة السلوك الشاذ وأسبابه، ترجمة صبرى جرجس، فى -بلفورد، ج.ب. ميادين علم النفس، مجلد ١، أشرف على ترجمته يوسف مراد، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦.

١٠ ـ طه (فرج عبد القادر)، قراءات فى علم النفس الصناعى، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٣.

١١ ـ غيث (محمد عاطف)، علم الاجتماع، مصر، دار المعارف، ١٩٦٣.

١٢ ـ مراد (يوسف)، المجموعة الرابعة من مصطلحات علم النفس، مجلة علم النفس، مجلد (٢) ، عدد (٢)، ١٩٤٦.

١٣ ـ مراد (يوسف)، بعض نواحي علم النفس الجنائي من الوجهة التكاملية، مجلة علم النفس، مجلد (٤)، عدد (٢)، يناير ١٩٤٩.

١٤ ـ مراد (يوسف)، مبادئ علم النفس العام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤.

١٥ ـ مخيمر (صلاح)، سيكولوجية الشخصية، القاهرة، الأنجلو المصرية.

١٦ ـ هنا (عطية)، الشخصية والصحة النفسية، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٨.

١٧ ـ يونس (انتصار)، السلوك الإنساني، الإسكندرية، المكتب المصرى الحديث، ١٩٦٦.

18. Colman J. C., Psychology and Effective Behavior, Bomby, India, 1971.

19. ______ , Abnormal Psychology and Modern Life, 3rd ed., India, 1970.

20. Drever, J.A., Dictionary of Psychology, Penguin Books, London, 1952.

21. English H.B. & English A.C., A Comprohensive Dictionary of Psychological and Psychoanltical Terms, London, 1958.

22. Lindgren H.C. et al., Psychology: An Introduction to Behavioral Science, John wily New Yourk, 1966.

23. Ruch F. L., Psychology and Life, India, 1970.

24. Super D.E., The Psychology of Careers, Harper & Brothers, U.S.A., 1957.

25. Warren, H.C., Dictionary of Psychology, Cambridge, 1934.

الفصل الحادى عشر

الأصول الثقافية والاجتماعية للمراهقة

- تمهيد.
- الجوانب الثقافية للمراهقة:

أ - المراهقة ليست ظاهرة عالمية.

ب - المراهقون أفراد.

جـ - المراهقون فى عصر سريع التغير.

د - تأثيرات بارزة فى حياة المراهقين.

هـ - مشاكل المراهقة.

و - مراجع الفصل الحادى عشر.

الفصـــل الحادى عشر
الأصول الثقافية والاجتماعية للمراهقة

تمهيد:

تستخدم كلمة مراهقة استخدام واسع ـ ولكنها ليست معرفة تعريفا وثيقا، فهى تشير إلى طور من أطوار النمو له أصل ثقافى وبيولوجى، ومن الســهل تحـديد بداية مـرحلة المراهقـة ـ فـذلك هو وقت البلوغ، ولكن من الصعب أن نحدد تماما نهايتها فذلك أمر تحدده الثقافات المختلفة ـ فنحن نصير بالغين فى أعمار مختلفة فيما يختص بالتصويت للانتخابات ـ والزواج ـ والاستقلال الاقتصادى أو المادى وتؤدى هذه الاختلافات إلى نتيجة محددة أن المراهقة ظاهرة ثقافية فى المقام الأول .

وقد أشارت الأبحاث إلى أن هناك عوامل دينامية Dynamic Forces تؤثر تأثيرا عـميقـا على المراهقين . الأول : وهو عامل ديموجرافى -Demo graphic [١] ومـضـمـونه أنه حين يكون عـدد المراهقين كـبيرا بالنظر إلى التعداد الكلى للسكان يصبح استيعابهم داخل المجتمع أصعب عما تكون نسبتهم صغيرة.

ففى بداية القرن العشرين كان الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشر والرابعة والعشرين يشكلون تقريبا نصف التعداد، وفى الستينات من هذا القرن انخفضت نسبة تلك المجموعة من السكان ولكن ظاهرة زيادة أو نمو الأطفال[٢] التى أعقبت الحـرب فى الأربعينات تسببت فى أن يقفز عدد الذين يبلغ عمرهم ثمانية عشرة عاما إلى ٣,٨ مليون فى عام ١٩٦٥ بعد أن كانوا ٢,٨ مليون فى عام ١٩٦٤ ، ولم يكن المجتمع وخاصة سوق

---

(١) الديموغرافيا Demography، الدراسة الاحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والزواج... إلخ.

(2) Baby Boom

العمل[1] مستعدا لاستيعاب هذه الأعداد . أما العامل الآخر فهو هجرة العمال غير المتعلمين ـ وغير المهرة، والآن أصبحت الأقلية غير المتعلمة ـ غير الماهرة تشكل جزءاً كبيراً من البطالة الدائمة في المجتمع.

أما العامل الثالث فهو ناتج إلى حد كبير عن العاملين الأولين ويتعلق بالجانب القومي وهو ظهور أهمية في منح الأقلية فرص واسعة لتنمية مواهبهم الكامنة.

ويوجد وسط هذه العوامل المتغيرة عامل بارز ينمو باستمرار ألا وهو القدرة على التفكير بطريقة منطقية منظمة تبلغ مستوى الراشد Adult Level في المنهج وليس في كمية المعلومات ويجب على المراهقين أن يواجهوا تحدى المسئولية Responsibility فيما يتعلق بأساليب المعيشة، وأساليب الزواج، وأهداف أخرى في الوجود تستحق التفكير فيها. فطالما يطلب المراهقون الحرية فواجب عليهم أن يفترضوا عبء الاختيار في حياتهم، وفي الطريقة التي يودون أن يعيشوا بها، فالمسئولية أمر أساسي في هذه الحياة.

---

(1) Labour Market.

الجوانب الثقافية للمراهقة

أ ـ المراهقة ليست ظاهرة عالمية :

يمكننا فهم المراهقة[1] بشكل واضح اذا ميزناها عن البلوغ[2]، فالبلوغ يشير إلى نضج الوظائف الجنسية ـ ويحدث في متوسط الثالثة عشرة تقريبا عند الفتيات يصحبه ظهور الثديين، ويحدث عند الفتيان بعد ذلك بعام تقريبا يصحبه تغيرات في الصوت ـ وظهور شعر في الوجه، وعند كل من الجنسين يبدأ شعور عام في الظهور، وبتغير الجلد في ملمسه أو طبيعته.

ومن العلامات المميزة للبلوغ أيضا تغير فى الحجم والوظيفة للأعضاء الجنسية، ولكن يلاحظ أن هذه التغيرات لا تتبع نفس الجدول الزمنى عند مختلف الفتيات والفتيان.

وفى بعض المجتمعات لا تعد المراهقة فترة تغير تستدعي الانتباه، فكثير من الثقافات مثل الثقافة الاسترالية، والسامون Samoon والأباشى Apache والزونى Zuni تحتفل بحدوث البلوغ بمجموعة من الاحتفالات الاستهلالية متضمنة طقوس تقليدية، وسرعان ما تكتمل هذه الفترة الانتقالية بمنح الشباب الوضع الكامل للبالغين، ويصبح من حقهم أن يشاركوا فى النشاط الاجتماعى الذى يمارسه البالغين فى المجتمع، وأهم من ذلك أن يعتبرهم الآخرين بالغين فهذا يعتبر عملية قبول من المجتمع للمراهقين، وقد يكون هذا عملية سهلة حين يكون هناك وظائف محددة لكل مجموعة من العمر ـ أما في حالة أن تكون الوظائف غير واضحة كما هو الحال بالنسبة للمجتمع الغربى فتظهر صعوبات بالنسبة لتحديد دور المراهقين فى المجتمع.

وهكذا يمكن أن نقول أن جذور المراهقة تكمن فى النمو البيولوجى للإنسان، ولكن الجانب المهم حقيقة فى المراهقة فهو الاتجاهات Attitudes

---

(1) Adolescence.
(2) Puberty.

والسلوك Behaviour فهذا نتاج للثقافة السائدة فى المجتمع، ولذلك يطلق مسجروف Musgrove على المراهقة أنها اختراع أوربى أمريكى Adolescence a Franco American Invention.

إن عوامل مثل طول التعليم ـ والخوف من سوق العمل ـ ووضع الأقلية ـ وتحيز البالغين ضد الزواج المبكر ... وغيرها من العوامل ـ كل ذلك يمنع الافتراض السهل بأن الاحتفالات بالبلوغ تؤدى إلى الوصول إلى وضع البالغين.

لقد أصبحت فترة التطور التى نطلق عليها لفظ المراهقة أكثر طولا، وهى تتميز بكثير من التناقضات وتتأثر بضغوط تجلب التوتر، وليس هناك شك فى أن الجانب الجسمى [١] فى المراهقة ذو أهمية ـ ولكننا نجد أنه حتى وقت قريب كان قد أهمل الاعتراف بتأثير الثقافة على هذه المرحلة. وقد لاحظ جريندر Grinder أن دراسة المراهقة قد تحولت من منهج نفسى بيولوجى Psychobiological Approach فى أوائل القرن العشرين إلى منهج يؤكد الوضع الاجتماعى الاقتصادى Socio Economic Status فى الأربعينات من هذا القرن ـ إلى تركيزها الحالي على الثقافة الكلية غير المجزئة Total Cultural Integrety. مع مراعاة أن التفسيرات الفسيولوجية للمراهقة Physiological قد تداعت، ويشير الدارسون الآن أن المراهقة أصبحت مشروطة بالعصر الثقافى وخاصة فى علاقتها بحياة العمل وظروف المجتمع الذى يعيشون فيه.

ب ـ المراهقون أفراد

من أهم الأعمال التى يقوم بها المراهقون ـ كما تعتقد بعض السلطات ـ هو ارساء مبدأ الاستقلال الذاتى Autonomy وليس المراهقون أفرادا جامدين تحركهم العوامل الخارجية فقط (مثل العوامل الثقافية) Cultural

---

(1) Physical Aspect

Factors فكل منهم يتجاوب مع هذه العوامل بطريقة فردية مميزة ـ ولا يكفى أن نقول أن المراهقين ليسوا بالغين ـ وليسوا أطفال فكل منهم يبحث عن الاستقلال الذاتى بطريقته الخاصة ولذلك فمن الأهمية بمكان أن نتفهم وجهة نظر الفرد.

وليس كل مراهق يعيش فى الأماكن الفقيرة (١) جامحا أو آثما De-linquent وليس كل مراهق ينتمى إلى الطبقة المتوسطة Middle-Class يكرس نفسه لحياة المدرسة . ومن المتناقضات أن يبحث المراهق عن التفرد أو عن الفردية، وهو فى ذات الوقت يبحث عن الهوية الجماعية (٢).

وهناك بعض المغالطات القاسية التى لا داعى لها بشأن المراهقة، فطالما قيل بتأكيد شديد أن المراهقين ليسوا أكفاء، وعادة مرتبكين فهم فى حيرة من أمرهم ومن مجتمعهم، فالمراهقون هم دائما (اذا جاز التعبير) بين بين In betweens يبحثون هباءا كما يبدو عن مكان لهم فى المجتمع، وقد تنطبق بعض هذه التعميمات فى بعض الأحوال وفى بعض الأجواء الثقافية، ولكن غالبا وتحت ظروف أخرى يمكننا أن نقول أن هذه المعتقدات هى معتقدات خرافية قديمة لا تليق بعصرنا، وتحول دون فهمنا للمراهقين فهماً واضحاً.

وفى هذا المؤلف تعتبر المراهقة فترة نمو تمتد من الطفولة المتأخرة إلى الشباب وهى نتاج لعصرنا وثقافتنا، ولفظ الشباب كما هو مستخدم هنا أيضا هو استمرار لفترة المراهقة ـ ولكنه يشير خاصة إلى الجزء الأخير فيها ـ فالشباب يمكن تمييزه عن المراهقة فيما يختص بمتطلبات النمو Develop-ment والتى يجب تقريرها.

«... In this book adolescence is regarded as a phase of growth extending from late childhood to youth. It is a product of our times and culture.

---

(1) Slums.
(2) Group Identity.

Youth (a used in this book) is a continuation of adolescence but refers specifically to the later part of adolescence. Youth is roughly distinguishable from early adolescence in terms of the development of tasks that must be resolved».

جـ ـ المراهقون فى عصر سريع التغير :

يقول كل من توفلر Toffler ـ وروجرز Rogers أن أكبر تحد فى وقتنا هذا هو اذا كان الناس يستطيعون أم لا أن يغيروا من سلوكهم ونهجهم فى الحياة بسرعة وبصورة دائمة حتى يستطيعون أن يتكيفوا مع التغير السريع، ومن الصعب دائما أن نتجنب التشاؤم بصدد حاضر ومستقبل المراهقين حين نقرأ عن العديد من الصراعات والضغوط التى باتت من سمات العالم الذى يحيط بهم، ولحسن الحظ فإنه من الممكن أن نشعر ببعض التفاؤل حين ندرك أن الشكوك القائلة بأن حالة المراهقين فى تدهور وهبوط وشكوى دائمًا، لقد كان مشرفا لافلاطون Plato أن يقول منذ حوالى ٢٠٠٠ عام «أن شبابنا الآن يحب المتعة والرفاهية، أخلاقهم سيئة، يحتقرون السلطات ولا يحترمون الكبار، الأطفال اليوم طغاة فهم لم يعودوا يقفون حين يدخل الكبار الغرفة، ينافقون آباءهم، يثرثرون حين يكونون جماعة، يلتهمون طعامهم ـ ويضطهدون مدرسيهم »، وقد يكون التأمل فى هذا الاتهام القديم مطمئنا لأباء مراهقى اليوم، الأباء الذين كانوا هم أنفسهم مراهقون متكاسلون يغلب عليهم الرفض والمجون ... إذن من الممكن أن تحيا البراعم حتى النضوج، وفى الحقيقة أن البعض يعتقد أن جيل الستينات هو أحسن جيل بعد ... أن هناك شباب متغير وشرير، ولكننا اذا أخذنا فى الاعتبار التقلبات الكبيرة ـ والانقطاعات الضخمة .[1] التى تميز عالمنا الحديث لوجدنا أنه من الممكن أن نفرد بل ونعجب بالشباب، إن الهوة الواسعة بين المراهقين والبالغين ما زالت مسألة تثير النقاش ولكنها لم تحل حتى الآن.

إن هناك عدة عوامل تحدد القيم الانسانية، فزيادة التعداد السكانى

(1) Gross Discontinuities.

السريع يخلق مشاكل محيرة فإن أربعة ملايين من العمال الشباب يجدون سنويا فى دخول سوق العمل الأخذ فى الانكماش ... كذلك مشكلة ايجاد مكان لهم فى المجتمع كشباب يشكلون أقلية صغيرة . لاشك أننا عامة نواجه عصر سريع التغير والثورية فى شتى المجالات مثل المجال الاجتماعى ـ والتكنولوجى والسياسى، ويتأثر المراهقون بمجال المجتمع الذين ينمون فيه، هذا بجانب المشاكل العديدة التى تصحب دخولهم عالم الكبار بحياته وعمله، وهكذا فإنه من الضرورى دراسة المراهقين من خلال الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

د ـ تأثيرات بارزة فى حياة المراهقين :

يناقش هذا الجزء بعض التأثيرات الثقافية المحددة التى تشكل القيم والسلوك وتقدير الذات، وقد يكون أى من هذه العوامل هام فى حياة مراهق واحد بينما هو غير ذلك فى حياة الآخر.

لقد وجه ميوس Muuss عام ١٩٧٠ الانتباه إلى ما يسمى بالاتجاه العالمى[1] فى التطور الإنسانى، ويشير ذلك إلى حقيقة تزايد عمليات النمو عند الأطفال والمراهقين فى العالم، فالأطفال والمراهقون فى شمال أمريكا وأوربا وبعض الدول الأخرى أكثر طولاً ووزنا عمن يماثلونهم من سبعين سنة مضت، ففى الولايات المتحدة يزيد الصبيان المتوسطى الطول بمقدار ١ بوصة و ١٠ أرطال وزناً عن آبائهم، أما الفتيات فيزدن من ١/٢ إلى ١ بوصة طولا و٢ رطل عن أمهاتهم وقد تكون الاختلافات أعظم، ولكن البلوغ أيضا يحدث عندهن مبكرا. وينتهى نموهن أيضاً مبكراً عن الاجيال السابقة لهم.

ولقد قارنت الدراسات بين اهتمامات طلاب الصف الابتدائى والثانوى فى عام ١٩٣٥ وبين هؤلاء فى عام ١٩٥٧ ، فوجد أن المجموعة الأخيرة لها اهتمامات أكبر بالمنزل والحب والزواج والأسرة عامة، وعلى دراية اجتماعية أكبر من أمثالهم فى عام ١٩٣٥ .

(1) Secular Trend.

كذلك فقد أشار جونز Jones عام ١٩٦٠ إلى زيادة مشابهة فى النمو العقلى Mental Development، ويشير همفرى Humphreys عام ١٩٦٩ إلى أن المتقدمين للجيش فى أثناء الحرب العالمية الثانية قد سجلوا حوالى انحراف معيارى[١] واحد أعلى فى اختبارات الذكاء من المتقدمين فى الحرب العالمية الأولى، وأن المتقدمين فى الستينات قد سجلوا نصف انحراف معيارى أعلى من هؤلاء المتقدمين فى الحرب العالمية الثانية.

ويعنى الاتجاه العالمى وفقا لابرز النظريات - تشير النظرية الأولى إلى أن تحسين التغذية من ناحية الفيتامينات والبروتينات والمعادن يؤدى إلى زيادة فى النمو، ولذلك نجد أنه فى أيام سابقة كان مراهقوا الطبقة الراقية أكثر طولا ووزنا - كما أنهم بلغوا فى وقت مبكر عن هؤلاء الذين يماثلونهم من أعمارهم من الطبقة الدنيا. وعلى أى حال فإن البحوث الحديثة تشير بأن الاتجاه العالمى واضح فى الطبقات الدنيا - أكثر منه فى الطبقات الراقية.

ويقول تانر Tanner أن الاتجاه العالمى قد طغى على الاختلافات الطبقية، ومن الناحية الأخرى، فإن الجوع والفقر الاقتصادى إنما يناقضان الاتجاه العالمى.

أما النظرية الثانية فهى وراثية genetic فإن ما أحرزه الإنسان من حركة[٢] سريعة بسبب سهولة وكثرة السفر (والترحال) قد نتج عنه نشاط زائد وهناك دليل على أنه فى المجتمعات المنعزلة فى سويسرا وفنلندا حيث الزواج غالبًا ما يكون من نفس المجتمع نجد أن الطول ووزن البالغ يقل عن المستوى القومى ولاشك أن النشأة الخارجية autbreeding كما هو واضح فى نشأة الحيوانات يزيد من معدل النمو والنضج المبكر. (365 - 361 :11)

تخلص من كل ما سبق أنه فى دراسة أطوار الحياة المختلفة التى يمر بها الإنسان منذ الولادة حتى الشيخوخة - وخاصة طور المراهقة إنما تؤدى

---

(1) Standared Deviation.
(2) Mobility.

العوامل الاجتماعية (وهى أكثر من غيرها تنوعاً وتعديلاً) دوراً هاماً فى توجيه السلوك وتكييف جوانب الشخصية النفسية والعقلية. فما يقال عن تقسيم المراهق الأمريكى أو الانجليزى أو الفرنسى لايمكن أن تنطبق تماماً على المراهق المصرى أو العراقى أو السورى أو المغربى ... الخ وذلك على الرغم من اشتراكهم جميعاً فى جوهر الطبيعة الإنسانية ولذلك لابد من مراعاة العوامل الاجتماعية من دينية واقتصادية وتربوية وثقافية بل بعض العوامل الجغرافية – ودراسة أثرها جميعاً فى تنمية بعض الخصائص أو تعطيل غيرها أو تشويهها.

وقد لوحظ أن المراحل التى عينها فرويد Freud لظهور السلوك الجنسى وتطوره لاتنطبق إلا على الأفراد الذين يعيشون فى كنف نظام شبيه بنظام الأسرة الأوربية بوجه عام (مرجريت ميد ١٩٢٨) وكذلك قد انكر بعض الباحثين أن المراهق لابد أن يجتاز مرحلة عنيفة من الصراع وأن يعانى أزمة نفسية قد تؤدى به إن لم يقوى على حلها إلى ضروب شتى من الانحراف – فمن الخطأ أن نعمم فى مثل هذه المسائل تعميماً شاملاً.

كما أنه ليس من المجدى أن ننقل إلى اللغة العربية مثلا ما كتبه الباحثون فى نفسية المراهق فى انجلترا أو أمريكا بدون أن نعين بالدراسة التجريبية المنظمة أوجه الشبه والاختلاف بين جميع الظروف التى قد تؤثر فى تكوين شخصية المراهق فى مختلف الأوساط. غير أن هذا لايمنع من أن نستعين بما وصل إليه علماء الغرب فى دراستهم النفسية المراهق على أن نتخذ ما يقررونه لا على أنه حقائق نهائية بل فرض يجب التحقق منه من صحته بطريقة تجريبية. (٤: ١٧٢ – ١٧٨)

د ـ مشاكل المراهقة:

أجريت العديد من البحوث التى تناولت مشاكل المراهقة، واختلفت نتائجها وذلك وفقا للإطار النظرى والتجريبى للباحث والبحث، ووفقاً للبيئة واختلافها وما يسودها من ثقافة وقيم وعادات وتقاليد وظروف اجتماعية

واقتصادية وسياسية، قد تشكل ضغوطاً على المراهق تدفعه إلى الانحراف، وهنا نلاحظ أن تلك المرحلة المتميزة من عمر الإنسان - مرحلة المراهقة) هي مرحلة يغشاها كثير من المشكلات الصحية والمالية والشخصية والاجتماعية والجنسية، وكذلك يجب أن نلاحظ أن تلك المشكلات تتفاوت في درجتها وشدتها ووضوحها بين الجنسين: الذكور والإناث من ناحية وبين الريف والحضر من ناحية أخرى، وبين المستويات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع من ناحية ثالثة.

هنا ينبغي أن تأخذ في الاعتبار كل الظروف التي يعيش في إطارها الحدث أو المراهق، ذلك أن السلوك هو نتاج التفاعل بين الوراثة والبيئة، وأن الوراثة بهذا المعنى إنما تشكل الاستعداد النفسي للتأثر بمنبهات البيئة ومؤثراتها، ولاشك إنها تشكل عامل أساسي في تشكيل الشخصية، هذا إذا أردنا أن نحدد أسباب عدم التوافق النفسي والاجتماعي لدى المراهق.

- وتتناول في الصفحات التالية أحد هذه المشكلات الخطيرة والتي تظهر في فترة المراهقة وهي مشكلة الجناح[1].

تزداد مشكلة جناح الأحداث يوماً بعد آخر ذلك بتزايد معدلات الجانحين إلى الحد الذي أصبحت فيه تلك المشكلة من المشاكل الخطيرة في كل مجتمع لما تحمل من تهديد صريح للبناء الاجتماعي والقيم الاجتماعية بالإضافة إلى خسائر المجتمع في الأفراد.

---

(١) الجناح Delinquency: لفظ الجناح (بالضم) يفيد معني الإثم كما ورد في قواميس اللغة وعلى ذلك يكون مرتكب الإثم هو الجانح في مقابل المجرم. ذلك بشرط أن ينطبق عليه قانون الأحداث. وبعبارة أخرى فنحن نفرق بين الأعمال الجانحة وبين الجرائم فالجريمة إنما تصدر عن شخص عاقل مميز وقام الدليل الاعتباري على أنه يستطيع أن يفرق بين الخير والشر. أما الطفل فلا يمكن آن نحكم عليه بأنه يتمتع بهذه القدرة. وكلا الجناح والجريمة يمثلان انحراف عن المعايير المقبولة للسلوك.

وتعرف هذه الظاهرة خاصة فى كل مناطق التحضر النامية. والجناح لايعتبر فقط نتاجاً للنمو الحضارى السريع، ولكنه يرتبط كنمط من أنماط السلوك بالتغيرات فى أساليب الحياة المختلفة: بدور الآباء - بمطالب العمالة - وأيضا يرتبط بمناهج التعليم غير الكافية.

وبعبارة أخرى نجد أن الجناح عرض لمرض خطير قد أصاب بناء المجتمع وظهرت أعراضه على أفراده فى شكل سلوك مضاد للمجتمع. فالجناح يتشكل بالعوامل البيئية التى يعيش فى اطارها الحدث[1] كما يتشكل بالعوامل النفسية - وغيرها من العوامل - هذا بالإضافة إلى دور العامل الثقافى والذى يعطى الانحراف شكله الظاهرى.

ولاشك أن الجناح يعتبر نمطاً سلوكيا، والسلوك أياً كان مظهره عبارة عن ذلك النشاط الذى يصدر من الكائن الحى كنتيجة لعلاقته بظروف بيئة معينة والذى يتمثل بالتالى فى محاولاته المتكرره للتعديل والتغيير فى هذه الظروف حتى يتناسب مع مقتضيات حياته وحتى يتحقق له البقاء - أى أن الجناح فى النهاية يعتبر استجابة للتوافق تهدف إلى اشباع الحاجات الأساسية للفرد.

معنى ذلك أن الجناح يعتبر استجابة توافقية تماماً من وجهة نظر الجانح وإن كانت شاذة من وجهة نظر المجتمع، استجابة للحصول على اشباع حاجات أساسية عجز عن اشباعها بالطريق السوى، وبعبارة أخرى أن الجناح استجابة توافقية تهدف إلى خفض التوتر النفسى الذى يعانيه الجانح نتيجة عدم اشباع حاجاته الأساسية، تلك الاستجابة عادة ما تأخذ شكل عدائى تجاه المجتمع أو النظم الاجتماعية.

(١) الحدث Juvenile: هو الصغير فى الفترة بين السن التى حددها القانون للتمييز والسن التى حددها لبلوغ الراشد. أى الصغير الذى يتراوح سنه بين سن ٦-١٨سنة. وقد نصت المادة الأولى من قانون الأحداث المشردين والمجرمين عن أن يعتبر الحدث ـ ذكراً كان أو أنثى ـ الذى لم تبلغ سنه ثمان عشر سنة ميلادية كاملة متشرداً فى الحالات الآتية ـ انظر (قانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٤٩. الوقائع المصرية، العدد ١٠٦. ١٩٤٩/٨/١٥.

وعندما نحاول تقديم تفسير لديناميات الجناح كنمط من أنماط السلوك المضاد للمجتمع وكسلوك غير سوى يندرج ضمن اضطرابات الشخصية، فيجب أن يقوم ذلك التفسير فى ضوء التفاعل الديناميكى لعوامل عديدة منها ما هو مادى وما هو نفسى اجتماعى يكون فى نهايتها السلوك المضاد للمجتمع محصلة ونتاج للتفاعل الديناميكى لتلك العوامل.

ومن المسلم به أن اضطراب الشخصية لايرجع إلى عامل واحد بل إلى عدة عوامل يتضافر بعضها مع بعض، ويتفاعل بعضها مع بعض. مثل اضطراب الشخصية كمثل الموت، لايمكن أن يعزى إلى عامل واحد فالحياة النفسية ليست من البساطة بحيث يكون اعتلالها رهناً بعامل واحد. وبمعنى آخر فاضطراب الشخصية كتكوينها. حصيلة تآمر عوامل داخلية جسمية ونفسية مع عوامل خارجية شتى مادية واجتماعية. (٧: ٢٢٧).

- وعلم النفس الجنائى ليس علما نفسيا محضا بمعنى أن السلوك الاجرامى المضاد للمجتمع وإن كان شاذا من الوجهة الاجتماعية فلا يزال يخضع للتفسير السيكولوجى العام بمعنى أن علم النفس الجنائى يقوم على النظر إلى الإنسان كوحدة سيكوبيولوجية تعيش فى بيئة اجتماعية لذلك فمن المحال فهم السلوك الصادر عنه إلا بمراعاة هذه العوامل جميعاً إذ يتفاعل بعضها مع بعض ويؤثر بعضها فى بعض. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالسلوك أياً كان نوعه لايكفى أن يفهم إلا إذا أدرجناه فى إطار من تاريخ الفرد برمته. فالحاضر لايفهم إلا فى ضوء الماضى، ثم راعينا الموقف الحاضر الذى يثار فيه السلوك، ذلك أن المواقف الخارجية تتغير معانيها ودلالاتها باختلاف الأفراد.

ومن ثم لابد أن ندخل فى اعتبارنا أن تلك العوامل المتضافرة تتفق مع النظرية الديناميكية التى تتناول الظاهرة النفسية المرضية وفقا لما هناك من تداخل فى العوامل الكامنة وراء تلك الاضطرابات. على أساس أن الشخصية تاريخ متصل وكيان لاينفصل عن المجال الخارجى فى أى لحظة من لحظات

الحياة ويقوم على أساس تكاملى دينامى متحرك ومتغير باستمرار. (١ : ١١٥ - ١١٦).

وينصب اهتمام السيكولوجيين فى هذا الاتجاه على تفاعل المحددات، فمثلا إذا وجد استعداد جبلى للعدوان والغضب، فإن هذا الاستعداد لايكتسب فاعلية توليد الجريمة إلا فى محيط عائلى وتربوى وحضارى معين، ثم أن العوامل الاجتماعية الكبرى للجناح لاتصبح ذات فاعلية فى الحالات الفردية إلا إذا كان المحيط المباشر يحقق الشروط كأن تحدث فى علاقة الأم بالطفل تصدعاً فى شخصيته.

ومعنى ذلك أن الاتجاه التكاملى يجد العلة فى المجال الذى يتحرك فيه الفرد بما فى ذلك الفرد نفسه باعتباره جزءاً من هذا المجال الحى المتفاعل.

ولكن هل معنى التفسير السيكولوجى للسلوك الاجرامى المضاد للمجتمع هو التفسير النفسى؟ بمعنى أننا عندما نفسر السلوك الجانح تفسيراً سيكولوجياً، فهل معنى ذلك أننا نفسر ذلك السلوك فى ضوء العامل النفسى وحده؟ الواقع أنه يجب أن يكون واضحاً أنه ليس التفسير السيكولوجى هو التفسير النفسى، بل التفسير بالعوامل الثلاثة الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية متكاملة والواقع أن هذا التفسير يوضح بما لايدع مجالاً للشك القاعدة المنهجية التى يسير عليها البحث فى علم النفس الجنائى فى تناوله للسلوك الاجرامى المضاد للمجتمع تناولا علميا سليماً.

إذا جوهر المنهج التكاملى يكمن فى: «لايمكن تفسير السلوك الاجتماعى الاجرامى بأرجاعه إلى عامل واحد أساسى بل أنه يجب اعتبار عدة عوامل متفاعلة تفاعلاً ديناميكيا شأنه فى ذلك شأن أى ضرب من السلوك، ثم أنه لايوجد نموذج واحد ثابت للمجرم وأنه يتعذر إن لم يكن من المحال وصف شخصية المجرم بطريقة مطلقة.

«ومما هو جدير بالملاحظة أن العلماء الذين يحاولون تفسير الاجرام

بتفاعل عدة عوامل يرون أنفسهم مضطرين إلى اتباع المنهج التكاملي الذى يعتبر كل مظهر سلوكى نتيجة ضمنية لتفاعل العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية بطريقة ديناميكية مطردة ... هؤلاء العلماء ينظرون إلى الشخصية كميدان لصراع عدة عوامل داخلية من ميول ورغبات وانفعالات وأن هذا الميدان مرتبط ارتباطا وثيقا بميدان البيئة الاجتماعية والثقافية الذى هو بدوره ميدان لصراع عدة قوى متباينة فى مضمونها وفى اتجاهها. وكل عامل من هذه العوامل الفردية والاجتماعية يشترك فى تحديد السلوك فى هذه اللحظة أو تلك، فى هذا الوقت أو غيره من المواقف. ولكل عامل أثر ترجيحى أو احتمالى فى تعيين السلوك سواء أكان سلوكا متفقا مع المثل الأخلاقية والاجتماعية أو سلوكا مخالفا لهذه المثل. فوفقا لكل موقف خاص وتبعا لتاريخ كل شخص وملابسات تكوينه، وتربيته يزداد الأثر الترجيحى لهذا العامل دون غيره أو لمجموعة من العوامل دون غيرها، مع العلم بأن النتيجة المحصلة من ترجيح مجموعة ما من العوامل على غيرها فى تعين المظهر السلوكى مرتبطة ارتباطا وظيفيا ديناميكيا بما أصاب العوامل الأخرى من ضعف[٣] فى تأثيرها الترجيحى فى تعين هذا المظهر السلوكى بالذات.

ومن أوائل المؤسسين للمنهج التكامل فى الدراسات الجنائية سيرل بيرت C. Burt فهو يرى أن الجناح بوجه عام لايمكن أن ينبع من مصدر واحد يمكن تحديده، وأن العوامل التى تؤدى إلى الجناح تتضافر وتتشابك فى أحداث ذلك السلوك الجانح ولقد كشفت دراسته التى ضمنها مؤلفه الشهير (The Young delinquent, London, 1944) عن عدد هائل من العوامل التى تؤدى إلى السلوك الجانح، ميز بينها بين ما سماه بالعوامل الكبرى Major factors والعوامل المساعدة أو الصغير Minor factors ثم وضع جدولاً شاملاً لهذه العوامل ضمنها فى النهاية نتائج بحثه النهائية.

(١) بيرت: «الجانح الصغير»[١]:

قدم لنا سيرل بيرت أستاذ علم النفس بجامعة لندن دراسة رائدة فى مجال جناح الأحداث ضمنها مؤلفة (الجانح الصغير١٩٤٤)[١] وكان الاتجاه الذى تبناه بيرت وحاول تحقيقه فى هذه الدراسة هو الاتجاه التكاملى.

كان الفرض فى دراسته هذه هو أن عوامل الجناح عوامل عديدة (اجتماعية وبيولوجية ونفسية وهى عوامل دينامية متكاملة). وكان المنهج الذى اتبعه لاثبات أو رفض هذا الفرض منهجاً متفرداً من حيث اتجاهه نحو الحدث نفسه والكشف عن عوامل الجناح سواء أكانت ممثلة فى تكوينه كفرد أو فى بيئته والتفاعل بينهما. ولذلك كانت الوسيلة التى تبناها فى البحث هى دراسة الحالة دراسة متكاملة. على أن تتضمن هذه الدراسة الموقف السيكولوجى بكل جوانبه مع دراسة منفصلة وكاملة لماضى الحدث وحاضره ومستقبله.

لذلك فقد تناول بيرت أكثر من مائة وسبعين شرطاً له فاعلية فى السلوك الجانح، وقد استطاع أن يصنفها فى صورة متكاملة تتفق ونظريته فى الشخصية فى أربعة بنود رئيسية:

(١) الشروط الوراثية.
(٢) الشروط البيئية.
(٣) الشروط الجسمية.
(٤) الشروط السيكولوجية.

كانت هذه بنود رئيسية استطاع أن يصنف فى إطارها تلك الشروط المسببة للسلوك الجانح. فجميع هذه الشروط تتكامل فى فردية unique من الوجهتين الكيفية والكمية، ذلك أن الشخصية هى عوامل ديناميّة متكاملة.

---

(1) The Young Delinquent, London, 1944.

أما فيما يتعلق بنتائج البحث:

فقد انتهى بيرت إلى تقسيم العوامل المؤدية للجناح إلى عوامل مساهمة، وقال أنه لايمكن أن نعزى الفعل الاجرامى إلى عامل واحد أو عاملين أو ثلاثة، ولكنه ينبع من منابع عديدة مختلفة، وأن وظيفة هذه العوامل واختلاف تجمعها تختلف إلى حد كبير من حالة لأخرى.

وبالإضافة إلى العوامل المساهمة هناك ما أطلق عليه بيرت بالعوامل الترجيحية، ففى دراسة أى حالة، ومن خلال تجمع العوامل العديدة المساهمة نجد عاملاً يقف باعتباره أكثر العوامل تأثيراً فى تعين السلوك فالشخصية هى ميدان لصراع عدة عوامل. وأن لكل عامل أثراً ترجيحياً فى تعين السلوك غير الاجتماعى، ووفقا لهذا الموقف، وطبقا لتاريخ وشخصية الحدث وتكوينه وتربيته يزداد الأثر الترجيحى لعامل دون غيره، ويسميه بيرت بالعامل الأكبر أو الرئيسى هذا وقد كشفت نتائج البحث أن العوامل الرئيسية واضحة فى حوالى ٩٦ ٪ من الحالات بينما سجلت العوامل الثانوية حوالى ٨٥٠ مرة فى المائة حالة، ويلاحظ أنها كانت أوضح فى حالات البنات منها فى حالات الأولاد وفى المتوسط فإن كل طفل جانح يكون سلوكه نتيجة لتسعة أو عشرة شروط إحداها يعمل كعامل ذ ى أثر ترجيحى بينما تساهم بقية الشروط معاً فى دفع الحدث إلى الجريمة.

ثم لخص بيرت نتائج بحثه فى جدول احصائى مبينا معامل الارتباط بين الجناح أو عوامله، وقال أن الاستدلال المهم من هذه النتائج هو: (أن كل العوامل وراثية وبيئية وسيكولوجية ذات معامل ارتباط ايجابى بالجناح. ولكن لايمكن أن تكون أحد هذه العوامل بمفرده على جانب كبير من الارتباط بحيث يصبح هو العامل الوحيد أو الأهم فى تعليل الجناح).

ولقد كان لبيرت ونظريته التى تؤكد فاعلية العوامل العديدة المساهمة فى تشكيل الشخصية وأن الشخصية فى حالتى سوائها وانحرافها لابد من دراستها فى المجال الاجتماعى أثراً كبيراً فيمن جاء بعده من علماء وباحثين.

ذلك بعد ما ظهر من أن منهج تضافر العوامل والذى وضع سيرل بيرت أسسه الأولى هو المنهج الملائم تماما لسبر أغوار الشخصية الجانحة وفهم سلوكها الجانح أيضاً.

(٢) ايزنك: الجريمة والشخصية ١٩٦٥[1]:

قدم لنا هانز ايزنك H. J. Eysenck نظرية فى السلوك الاجرامى تستند إلى عدة فروض صيغت على النحو الآتى:

(١) نتوقع أن يحصل المجرمون والعصابيون على درجات عالية فى العصابية أو الانفعالية.

(٢) وقد اقترح ايزنك فرضاً آخر مؤداه، أنه مثلما تميل شخصيات العصابيين من النوع الديستامى إلى الانطواء تميل شخصيات المجرمين والسيكوباتيين إلى الانبساط.

(٣) ثم أنه يوجد أساس نظرى للاعتقاد بأن الضمير هو فى الحقيقة استجابة شرطية.

وقد أظهرت كثير من الدراسات والبحوث التجريبية التى أجراها ايزنك ومعاونيه والتى أجريت مستخدماً فيها مقاييس السمات الانفعالية للشخصية على مجموعات مختلفة: عصابيين وأسوياء ومجرمين وسيكوباتيين. فرأينا أن الفروض بصفة عامة قد تحققت ومن ثم انتهى إلى أن المجموعات العصابية تميل بقوة إلى الانطواء بينما نجد أن المجموعات المجرمة تميل بقوة إلى الانبساط وكلا النمطين من الشخصية تميل إلى أن يكون لديها مكون انفعالى قوى اصطلح على تسميته بالعصابية.

(٣) كما انتهى د. سويف ومعاونيه فى دراساتهم عن الاستجابات المتطرفة والجناح (المجلة الجنائية القومية عدد (١) ١٩٥٨، (٢) ١٩٦٦) إلى نتائج تتفق وما قرره من قبل كل من بيرت وايزنك، وكانت النتيجة

(1) Eysenck H.J., Crime and Personality, London, 1965.

التى انتهى إليها د. سويف ومعاونيه أن الجانحين يتميزون ببعض السمات الانفعالية وأن تلك السمات ترتبط بالجناح بشكل واضح.

بدء د. سويف بحوثه على الاستجابات المتطرفة لذى الجانحين والأسوياء بغرض الكشف عن مستوى التوتر النفسى العام فى شخصية الحدث الجانح، وكانت القضية الأ..اسية في بحثه.

إن مزيدا من التوتر يؤدى إلى مزيداً من التصلب ويكشف التصلب عن نفسه فى مظاهر سلوكية متعددة منها الميل إلى التطرف فى الاستجابة كما فى حالة الجانحين.

كانت هذه بعض الدراسات التى عالجت مشكلة الجناح من وجهة نظر نفسية - تناولت العلاقة بين السمات الانفعالية للشخصية والسلوك الاجرامى بعامة والجناح بخاصة - وقد عرضت منها على سبيل المثال لا الحصر لدراسات بيرت وايزنك وسويف.

فهل رسمت هذه الدراسات صورة صادقة للجانح؟ أو بمعنى آخر هل عالجت تلك الدراسات موضوع العلاقة بين السمات الانفعالية للشخصية والجناح؟. وهل نجحت هذه الدراسات فى تفسير مشكلة الجناح؟.

مراجع الفصل الحادى عشر

١ ـ المغربى (سعد)، انحراف الصغار، مصر، دار المعارف، ١٩٦٠.

٢ ـ لاجاش (دانييل)، المنشأ النفسى للجريمة، فى (المجلة الجنائية القومية، العدد ١، المجلد ١٣، مارس ١٩٧٠).

٣ ـ مراد (يوسف)، بعض نواحى علم النفس الجنائي من الوجهة التكاملية (مجلة علم النفس، مجلة (٤) عدد (٢)، يناير ١٩٤٩).

٤ ـ مراد (يوسف)، تمهيد لدراسة نفسية المراهق فى مصر والأقطار العربية، مجلة علم النفس، ١/٢/١٠/١٩٤٥.

٥ ـ قانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٤٩، الوقائع المصرية، العدد ١٠٦، فى ١٩٤٩/٨/١٥.

٦ ـ راجع: أحمد عزت، سيكولوجية المجرم العائد، (المجلة الجنائية القومية، العدد ٢، مجلد ١ يوليو، ١٩٥٨.

٧ ـ راجع (أحمد عزت)، الأمراض النفسية والعقلية (أسبابها وعلاجها وآثارها الاجتماعية)، مصر، دار المعارف، ١٩٦٤.

8. Burt-C., The Young Delinquent, Univ. of London Press, 4th 1994.

9. Blackburn, R., The Psychology of Criminal Conduct (Theory, research, and Practice), John Wiley & Sons, New York, 1993.

10. Esyenck, H. J., Crime and Personality, Routlege and Kegan Paul, London, 1965.

11. Harold, B.W., Development in Western Culture, 5th New York, 1965.

الفصـــل الثانى عشر

الأبعاد الأساسية للشخصية من وجهة نظر حضارية مقارنة

- تمهـــــيـــــد.
- الدراسات الحضارية المقارنة فى مجال الشخصية ـ ونقدها.
- المناقشة والاستنتاج الختامى.
- مراجع الفصل الثانى عشر.

الفصـــــل الثانى عشر
الأبعاد الأساسية للشخصية
من وجهة نظر حضارية مقارنة

تمهيد:

منذ عام ١٩٠٥ بدأت دراسات هانز أيزنك H. J. Eysenck فى جذب اهتمام عالمى متزايد، وبدأ العدد الكبير من السيكولوچيين من مختلف أرجاء العالم فى العمل وفقاً لنظام أيزنك فى بلادهم. وقد أدى هذا المنحى إلى العديد من النتائج الهامة فقد أثبتت إمكانية امتداد نظريات أيزنك فى دراسة الشخصية إلى مختلف البلاد والثقافات. وتقدم العمل، وأصبح ثابتاً أن هناك فروقاً قومية وثقافية (حضارية) فى قيـم متوسطات مختلف عينات سكان الدول التى تمت دراستها وذلك على الأبعاد الأساسية للشخصية : الانبساط، العصابية، الذهانية.

وإذا أخذنا معاً كل الدراسات المقارنة فى أبعاد الشخصية الأساسية تلك التى أجريت فى مختلف أرجاء العالم فإننا نجد أنها تشكل امتداداً لنظام أيزنك فى دراسة الشخصية إلى علم النفس الحضارى المقارن[1].

بدأ أيزنك فى بناء أول استخبار له يقيس العصابية وذلك فى عام ١٩٥٢ وهو «استخبار مودسلى الطبى» (M.M.Q)[2]، وفى عام ١٩٥٦ قدم استخباره الثانى وهو «قائمة مودسلى للشخصية (M.P.I)[3]، وفى هذا الوقت صممت قائمة تشتمل على مقياسين يقيسان : العصابية ـ الاتزان الانفعالى، الانطواء ـ والانبساط، وقد صدرت عام ١٩٦٣ باسم «قائمة أيزنك للشخصية» (E.P.I)[4]، ثم فى عام ١٩٧٥ تم إعداد نسخة متطورة من «قائمة أيزنك للشخصية» أطلق عليها «استخبار أيزنك للشخصية»

(1) Cross-Cultural Psychology.
(2) The Maudsley Medical Questionnaire.
(3) The Maudsley Personality Inventory.
(4) Eysenck Personality Inventory.

(E.P.Q)[1] . ويلاحظ فى هذا الاستخبار الجديد زيادة مقياسى الذهانية Psychoticism والميل إلى الإجـرام Criminality بالإضافة إلى مقاييس العصابية، الانبساط، والكذب.

ولم يمض وقت طويل حتى بدأ السيكولوجيون فى مختلف أنحاء العالم فى جمع بيانات عن الشخصية ما ينتظمها من أبعاد تشكلها وتحدد السلوك الصادر منها باستخدام هذه الأدوات سواء أكانت «قائمة مودسلى للشخصية»، أو «قائمة أيزنك للشخصية»، أو «استخبار أيزنك للشخصية» وهو ما تدلل عليه الدراسات التى سنوالى عرضها فى هذا الفصل.

الدراسات الحضارية المقارنة فى مجال الشخصية ـ ونقدها:

من الدراسات المبكرة التى أجريت فى منتصف عام ١٩٥٠ دراسة الباحث الأمريكى أرثر جنسن A. Jensen والذى كان يعمل فى هذه الفترة فى معهد الطب النفسى بلندن مع هانز أيزنك. لقد جمع جنسن بيانات عما يقرب من ١٠٠٠ طالب أمريكى، ووجد أن هؤلاء الطلاب قد حصلوا تقريباً على نفس متوسط درجات العصابية تلك التى حصلت عليها العينات الإنجليزية (عينات أيزنك)، أما درجات الانبساط فقد كانت أعلى بنصف انحراف معيارى واحد فى حالة العينة الأمريكية عن نظيرتها الإنجليزية. وهذه نتيجة أصبحت شبه مستقرة لفترات طويلة من الزمن فى عدد من الدراسات استخدمت تلك القوائم، وكذلك فى دراسات استخدمت فيها «المقاييس الديموجرافية Demographic Measures» للمستويات القومية للانبساط مثل معدلات الجريمة، تدخين السجائر ومقدار استهلاكها... إلخ. (Jensen , 1958 ; 314-325)، ويعتقد دائماً أن ملامح ـ الشخصية الإنجليزية هذه تنطبق غالباً على عديد من بقية شعوب شمال أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وذلك فى ضوء خاصيتى العصابية والانبساط على وجه التحديد.

---

(1) Eysenck Personality Questionnaire.

هذه المقارنة الأمريكية الإنجليزية المبكرة هي المقارنة الأولى في تراث الدراسات التي تعد الآن بالمئات، ويلاحظ أن الدراسات المبكرة في هذا الصدد تتعلق أساساً بالحصول على متوسطات درجات السكان في مختلف الدول والمجتمعات في أبعاد الشخصية الأساسية العصابية، الانبساط، وأخيراً الذهانية. ولاشك أن المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد تلك الدول والمجتمعات يمكن في ضوئها أن نفهم خصائص تلك الجوانب من النشاط النفسي لدى الأفراد، أو أن نفهم خصائص السمات التي يتعرض الاستخبار لقياسها لدى هؤلاء الأفراد. ثم إن المتوسطات والانحرافات المعيارية تعد مصدر الاهتمام لهؤلاء الباحثين ذلك أنها الأساس في عملية المقارنة بين تلك الدول أو المجتمعات في تلك الأبعاد. ولكنها من ناحية أخرى تثير تساؤلات متعددة حول أسباب تلك الفروق القومية في تلك الأبعاد.

وبداية فإنه باستقرآء التراث السيكولوجي في مجال الدراسات الحضارية المقارنة في علم النفس عامة. والشخصية (خاصة) فإنا نلاحظ أن هناك جانباً من تلك الدراسات يشوبها الكثير من أوجه النقص ومنها :

أولا : صغر حجم العينات إلى الحد الذي لا يعطي مؤشراً جيداً عن متوسط السكان بعامة أو قد لا تكون العينة ممثلة للمجتمع عامة بجميع فئاته، وطبقاته، والمعروف أن الحد الأدنى للعينة يجب ألا يقل عن ٥٠ فرداً حتى يمكن حساب متوسطات لها والثقة فيها، فقد لوحظ على سبيل المثال، أنه في دراسة سبيلبرجر وجيروز (١٩٧٦) في دراستهم الحضارية المقارنة للقلق Anxiety أنه تم حساب متوسطات لعينة من اليونانيين تتكون من ٤٧ ذكور، و ١٠ إناث (Spielberger & Guerrero, 1976)، هذا في بعض الدراسات بينما في دراسات أخرى نجد أن عدد أفراد العينة يصل إلى عدة مئات، وبالإضافة إلى ذلك فإنه لم تذكر الطرق التي اتبعت في اختيار تلك العينات في هذه الدراسات جميعها.

ثانياً : إن كثيراً من هذه الدراسات لم تفصل بين الذكور والإناث في البيانات، ومن الثابت أن هناك فروقاً حقيقية بين الذكور والإناث على بعدى العصابية والذهانية، كما أن هناك فروقاً بسيطة بين الجنسين على بعد الانبساط، وقد استبعدت تماماً هذه الفروق في حساب المتوسطات والانحرافات المعيارية.

ثالثاً : هناك مشكلة استخدام ترجمات مختلفة للاستخبارات في مختلف الدول التي أجريت فيها هذه الدراسات. فقد استخدمت القوائم الثلاثة لأيزنك (E.P. Q, E. P. I., M.P.I) ولم تذكر الطرق التي اتبعت في الترجمة إلى اللغات المختلفة لإمكان تطبيقه، كما لم تذكر أية احتياطات قام بها الباحثون للتأكد من تشابه معاني الكلمات في هذه القوائم بعد ترجمتها إلى اللغات المختلفة، ولاشك أن مشكلة تشابه معاني البنود في الاختبارات المستخدمة من المشكلات الخطيرة والمهمة في البحوث الحضارية المقارنة، ذلك أنها تعد أساس المقارنة السليمة بين النتائج على تلك القوائم بين مختلف المجتمعات والثقافات.

رابعاً : بعض الدراسات تستخدم عينات ممثلة للسكان بعامة، بينما الكثير منها يستخدم طلاباً، ومن المحتمل أن يحصل الطلاب على متوسطات تختلف عن متوسطات السكان بعامة، وتفسير ذلك أن الطلاب هم أفراد صغار السن وبالتالي فهم يحصلون على درجات مرتفعة نسبياً على بعدى العصابية والانبساط هذا بالإضافة إلى أن لديهم الدافع للإنجاز الأكاديمي، ثم إن الطلاب لا يشكلون عينة مقنعة تماماً يتم عن طريقها قياس شخصية شعب في قطر بأكمله.

خامساً: إن متوسطات درجات عينات تلك الدراسات والبحوث قد أعطيت متساوية في الفروق منسوبة إلى المتوسط الكلي للعينة الإنجليزية (عينة التقنين الأصلية لكل من القوائم الثلاث).

سادساً : قد يبدو التساؤل حول مدى ثبات تلك القوائم وصدقها في هذه

الدول التى تمت فيها هذه الدراسات، وذلك حتى يمكن الاطمئنان إلى دقة البيانات المستخلصة فى كل من تلك الدراسات.

سابعاً : مصدر آخر ممكن للخطأ فى هذه الدراسات يظهر نتيجة الفروق الحضارية فى التعبير عن بعض حقائق سمات الشخصية، وكمثال فى مقياس الذهانية والمشمول فى استخبار أيزنك للشخصية يوجد سؤال عن تفضيل الفرد للتأمين على الحياة والممتلكات وهو البند رقم (١٩) من القائمة ومؤداه: هل تعتقد أن التأمين على الحياة والممتلكات فكرة جيدة؟ والحقيقة أن مبدأ التأمين فى حد ذاته يجد أقل مستوى ممكن فى التفضيل فى كثير من الدول والمجتمعات وعلى سبيل المثال فى كل من اليونان وإيران، ليس هذا بسبب سمات الشخصية التى تنتظم شخصية أفراد هاتين الدولتين ولكن بسبب الطبيعة غير المرضية للتأمين على الحياة والممتلكات فى تلك الدول.

ويلاحظ أن الكثير من الباحثين يتجاهلون هذه المشكلة ويقومون ببساطة بترجمة الاستخبار إلى لغتهم دون إجراء تعديلات مناسبة لبنود الاستخبار، ثم يطبق على عينة من السكان، وتنشر بعد ذلك المتوسطات والانحرافات المعيارية، وضعف هذا المنهج يرجع إلى أن بعض البنود قد لا تكون مقياساً جيداً للسمة فى الترجمة، ذلك أنه قد لا يكون مترجماً بشكل حديث أو قد لا تكون الترجمة معاصرة لثقافة الدولة التى ينقل إليها.

قد تكون هذه عيوب أو جوانب نقص تقلل من القيمة العلمية لنتائج تلك الدراسات والبحوث الحضارية والمقارنة، ولكن مع ذلك قد يكون لها قيمة هامة إذ أنها تعتبر تجارب ناجحة لإمكان اشتراك باحثين فى بلاد مختلفة متباينة الثقافات (الحضارات) فى القيام ببحوث حضارية مقارنة فى مجال أبعاد الشخصية.

هذه المشاكل قد تم تلافيها بواسطة «أيزنك وأيزنك» (Eysenck H.J., Eysenck S. B) فى دراستهما عام ١٩٨٠، وقد قاما الباحثان فى هذه

الدراسة بفحص الأبنية العاملية «لاستخبار أيزنك للشخصية» فى عدد من الدول ومقارنتها بتلك التى تم الحصول عليها من بريطانيا، وقد تم هذا بمقارنة العوامل المستخلصة وحساب معامل الارتباط بينها. ويؤدى هذا الإجراء إلى التأكد من حسن ترجمة البند، وبالتالى فإنه يعكس بعد الشخصية فى الدولة الجديدة (محل الدراسة)، تم هذا الإجراء فى يوغسلافيا، فرنسا، الهند، اليونان، نيجيريا، البرتغال، استراليا، إيران، البرازيل، اليابان، نيوزيلندا، إسبانيا، ويلاحظ أن الغالبية العظمى لمعاملات الارتباط بين العوامل المقارنة فى تلك الدول تراوحت بين ٩٨, إلى ١، وهى معاملات تؤكد التطابق الخصب لنفس العوامل بتشبعاتها كما تقاس بواسطة هذا الاستخبار فى ثنتا عشرة دولة تماماً كما فى بريطانيا، وعامة فهذه نتيجة مرضية جداً، ولكن يجب أن نتذكر أن هناك حالات معينة قد لا يكون فيها معامل الارتباط بين العوامل مرتفعاً مما يقتضى فحص البناء العاملى للنتائج المستخلصة فى تلك الحالات (Eysenck & Eysenck, 1980).

عرض لبعض الدراسات الحضارية المقارنة السابقة:

الدراسة الأولى: كاتل وشاير، ١٩٦١ :

تم فى هذا البحث تطبيق استخبار للقلق Anxiety على عينة من الطلاب من ستة دول، ووجد الباحثان أن هناك نظاماً هرمياً فى متوسطات درجات تلك الدول تمتد من القلق المرتفع إلى القلق المنخفض وذلك على الشكل الآتى:

بولندا، الهند، فرنسا، إيطاليا، بريطانيا، الولايات المتحدة ويجب أن نلاحظ أن هذا النظام الهرمى فى متوسطات درجات القلق هو نظام يتطابق والفروق القومية المأخوذة من استخبارات أيزنك للشخصية. ويلاحظ أن الدرجات المرتفعة من القلق قد لوحظت فى كل من بولندا وفرنسا، بينما الدرجات المنخفضة من القلق قد لوحظت فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية (الجنس الأبيض على وجه التحديد).

وفي تفسير هذه الفروق القومية في القلق يقترح الباحثان أن القلق المرتفع يكون دالة في كثير من الأحيان للعوامل الاجتماعية السائدة في المجتمع كانخفاض مستوى المعيشة أو الفقر كما في الهند، أو النظام التسلطي السياسي كما في بولندا، ويشير كاتل وشاير أن هذه العوامل يمكن أن تفرق بين الدولتين الهند وبولندا في القلق القومي (Anxiety Nations)، ذلك من المستوى المنخفض من القلق للسكان في كل من بريطانيا والولايات المتحدة والتي قد لا تتعرض لهذه الضغوط (أو الانعصاب).

ويلاحظ هنا أن المستوى المنخفض من المعيشة (الفقر)، والنظام السياسي التسلطي أو الاستبدادي يمكن تصورهما على أنهما أشكال من الضغوط أو الانعصاب (Stress)، وإذا كان الانعصاب يولد القلق لدى الفرد، فمن الممكن افتراض : أن الفروق في القلق أو العصابية بين الأمم (أوالمجتمعات) يمكن أن يكون دالة للفروق في أشكال الضغوط (الانعصاب ومستوياته في تلك البلدان. (Cattell & Scheier, 1961) .

الدراسة الثانية : هوفستيد، ١٩٧٦ :

تشكلت عينة هذا البحث من ٧٠,٠٠٠ فرد ممن ينتمون إلى تنظيمات قومية متعددة في أربعين دولة. وقد تشكلت نتائج البحث من إجابة لسؤال واحد مؤداه: هل تشعر غالباً بالعصبية والتوتر في عملك؟ وكانت الدرجة تدون على مقياس من خمس درجات (Five Point Scale) تمتد من (١) دائماً إلى (٥) أبداً، ويشير الباحث أن هذا السؤال يقيس العصابية أو القلق بشكل صريح، وإن كان محدوداً جداً وقصير في قياس هذه السمة.

وقد تم تجميع بينات البحث خلال مرحلتين زمنيتين : الأولى من عام (١٩٦٧-١٩٦٩) والثانية من عام (١٩٧١-١٩٧٣)، ولهذا كان من الممكن تقييم ثبات السؤال بواسطة إعادة التطبيق وتم حساب معامل ارتباط الرتب وكان +٠,٩٤ مشيراً إلى ثبات مرتفع للأداة.

ويعد إسهام هوفستيد فى دراسة الفروق القومية للعصابية إسهاماً كبيراً مع الأخذ فى الاعتبار الأداة المستخدمة فى البحث، وما يوجه إليها من انتقادات، وبالرغم من ذلك فإننا نستخلص منها ما يلى:

(١) أن العصبية أو التوتر تختلف فى قوتها باختلاف اللغات أو الثقافات مما ينعكس أثره فى نتائج البحث.

(٢) هناك عدد من التحفظات على نتائج البحث وخاصة فى بعض الحالات، وعلى سبيل المثال أن الدرجات المرتفعة فى العصابية تلاحظ بالنسبة لسكان بلجيكا وهذا قد يبدو خاطئاً لأنه بعامة يلاحظ أن دول شمال غرب أوروبا يحصلون على متوسطات منخفضة فى العصابية، ومن الصعب أن نعتقد أن مستويات العصابية فى بلجيكا مرتفعة بالنظر إلى جيرانها الأوربيات، ثم إن هذه النتيجة ليست متسقة ودرجات العينة البلجيكية والتى حصل عليها الباحث بواسطة المؤثرات الديموجرافية، فإذا أخذنا إدمان الخمر على أنه مؤشر لمستوى القلق لدى شعب ما، فمن المعروف أن خفض القلق أحد الأسباب التى يشرب الناس من أجلها الخمر، فكلما زاد عدد الأشخاص القلقين فى بلد ما، زادت كمية شرب الخمر، ويتضح من نتائج العديد من الدراسات فى هذا الصدد أن الولايات المتحدة، وبلجيكا وهما من مجموعة الشعوب الشمالية والجنوبية ـ يقعان فى المدى المتوسط للإدمان على الخمور، وتأتى بلجيكا فى الترتيب بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) تشير نتائج هذا البحث إلى أن متوسط درجات الشعب اليابانى فى العصابية مرتفع جداً مما يضعهم فى مصاف مجموعة العصابيين المتقدمين فى الدول الأوروبية الأكثر تحضراً مثل فرنسا، وهذه نتيجة تتسق ودراسات أيزنك من ناحية وإن كانت لا تتسق مع المؤشرات الديموجرافية للشعب اليابانى.

(٤) كما لوحظ أن متوسط درجات العينة الإيرانية فى العصابية كان متوسط ضعيف جداً.

وبشكل عام بالرغم من ضعف النتائج فى بعض حالات الدراسة (أو فى بعض الدول) فإن نتائج هوفستيد تمثل مصدراً خصباً للمعلومات فى هذا المجال (Hofstede, 1976).

الدراسة الثالثة : لين، ١٩٧١، لين ـ هامبسون، ١٩٧٥، ١٩٧٧ :

اعتمد فى هاتين الدراستين على مدخل مختلف تماماً فى قياس الفروق القومية فى العصابية، وهذا المدخل يتألف من تناول الظواهر الديموجرافية: كالمعدلات القومية فى الانتحار، إدمان الخمر، الاستهداف للحوادث، الذهانات المزمنة، أمراض القلب التاجية، كمية السعرات الحرارية، استهلاك السجائر،... إلخ. ومعالجتها كظواهر تكمن خلف سمة العصابية أو القلق لدى السكان.

ويبدو أن هذه الظواهر ـ فى رأى الباحثين ـ ترتبط بالعصابية أو القلق لدى الأفراد، ومن الممكن افتراض أن تلك المؤشرات الديموجرافية دالة لعصابية مرتفعة فى الدول التى ترتفع فيها معدلات تلك المؤشرات والعكس تكون دالة لعصابية منخفضة فى الدول التى تنخفض فيها تلك المعدلات.

وقد نشرت تلك النظرية فى مؤلف بعنوان (الشخصية والخلق القومى، لين، ١٩٧١) وفى هذه الدراسة استخدمت سبعة مؤشرات ديموجرافية يمكن أن تكشف عن مستوى القلق القومى وهى : معدلات الانتحار، إدمان الخمر، الاستهداف للحوادث كمؤشرات للقلق المرتفع، ومعدلات الذهانات المزمنة، أمراض القلب التاجية، كمية السعرات الحرارية، استهلاك السجائر كمؤشرات للقلق المنخفض.

وقد تم جمع بيانات عن ثمان عشرة دولة من الدول الغربية المتقدمة وتبين تلك البيانات أن المقاييس السبعة ترتبط منطقياً ويتسق بعضها مع بعض

بالطريقة ذاتها التى تتفق فيها جميع مقاييس الذكاء أو سمات الشخصية التى يوجد بينها ارتباطات إيجابية متبادلة وتفترض هذه الارتباطات الإيجابية وجود عامل أساسى عام، ولذلك يظهر التحليل العاملى وجود هذا العامل العام وهو يستوعب ٥٠٪ من التباين الكلى. ويستخلص من تلك البيانات أن المؤشرات الديموجرافية تكون دالة للقلق أو العصابية بين الأفراد.

وبينما تعد مؤشرات معدلات الانتحار، إدمان الخمر وسائل للتنفيس عن القلق والتخلص منه أو خفضه، فهناك حوادث السيارات وهو مؤشر يعد نتاجاً للقلق المرتفع فمن المعروف أن الأشخاص القلقين يميلون إلى أن يكونوا مستهدفين للحوادث، وبالتالى يرتكبون حوادث فعلا، وقد ظهر ذلك فى عدد كبير من الدراسات، ويمكن أن تكون هناك أسباب متعددة للارتباط بين القلق والاستهداف للحوادث Accident-Proneness ، ولكن من المحتمل أن العامل المهم هنا هو أن الأشخاص القلقين تسهل إصابتهم بالذعر Panic فيحدث شىء ما غير متوقع، ثم يذعر الشخص القلق، ويقترف خطأ ما، فتحدث الحادثة. ولاشك أن المستوى المرتفع من القلق له أثر سيىء على الأداء، إذ يفكك القلق الإنجاز، وينقص من المهارات ومن المتبع أنه إذا كان مستوى القلق فى بلد ما مرتفعاً، فيجب أن يوجد مزيد من الأفراد المستهدفين للحوادث، ومن ثم يوجد عدد أكبر من الحوادث.

أما كمية السعرات Calorie Intake فهو طريقة أخرى لقياس المستويات القومية للقلق وهى قياس الكمية التى يأكلها الشعب، والتى تسجل على شكل الأرقام القومية لكمية السعرات. وإنه لأمر من أمور الخبرة المشتركة أن الناس لا يميلون إلى أن تكون لديهم شهية جيدة عندما يكونون فى حالات القلق... ومن هنا فمن المتوقع أنه إذا ارتفع المستوى القومى للقلق تميل كمية السعرات إلى الانخفاض. ولاشك فى أن القلق يؤدى إلى كف النظام الباراسمبثاوى الذى يتوسط امتصاص الطعام.

أيضاً هناك طرق أخرى يمكن بواسطتها قياس المستوى القومى للقلق مثل انتشار المرض العقلى، أو ما أشار إليه المؤلف بـ «الذهانات المزمنة»، كمية التبغ (الدخان) التى يدخنها الشعب ويعتبر هذا مؤشراً للقلق المنخفض بسبب التأثير المهيج للنيكوتين على الجهاز العصبى السمبثاوى، وأيضاً أمراض الشريان التاجى فهو دالة أيضاً للقلق المنخفض. (فى عبد الخالق، النيال، ١٩٩٢ ، ٩٥، ٩٦ ;Lynn, 1971) وتمتد الدراسات بعد ذلك لتضيف مقاييس ديموجرافية أخرى لقياس الانبساط على المستوى القومى تماماً كما فى حالة العصابية، وبهذا يكون لدينا القدرة على قياس بعدى العصابية والانبساط على المستوى القومى بمقاييس ديموجرافية.

لقد أخذت مقاييس : المعدلات القومية للجريمة، القتل، الإنجاب غير الشرعى أو (البغاء)، الطلاق، استهلاك الكافيين، وقد ظهر أن كل هذه المقاييس ترتبط فيما بينها وتتسق لكى تشير فى النهاية إلى بعد الانبساط.

هذه المقاييس الخمسة الجديدة مع المقاييس السبعة السابقة أجرى عليها تحليل عاملى بطريقة المكونات الرئيسية لهوتيللنج وبعد تدوير المحاور الناتجة لوحظ أنه تم استخلاص عاملين استوعبا معاً ٥٧,٢٩ ٪ من التباين الكلى، وتم تحديد معالمهما عل أنهما عاملى العصابية والانبساط، ويلاحظ أن استهلاك التبغ (الدخان) يظهر تشبعاً مرتفعاً بعامل الانبساط منه بعامل العصابية، وأن الجريمة لها تشبع مساو على كلا عاملى العصابية والانبساط، وهذه التشبعات تعكس النتائج على الأفراد تماماً كما عكستها على الدول.

وقد لوحظ أن العصابية المرتفعة تميز سكان استراليا، اليابان، وأن العصابية المنخفضة تميز سكان إيرلندا وانجلترا. بينما نجد أن الدرجات المرتفعة من الانبساط تميز سكان الولايات المتحدة الأمريكية بينما الدرجات المنخفضة تميز سكان اليابان. ويشير الباحثان إلى أن تلك النتائج متسقة ونتائج دراسات لاحقة له.

كما لوحظ أيضاً أن درجة الإناث البريطانيات أعلى فى العصابية من الذكور، وأقل منهم فى الذهانية. وقد وجدت نفس الفروق الجنسية فى عدد كبير من الدول المختلفة، كذلك يتضح أن المسجونين عامة هم أكثر عصابية وانبساطاً وذهانية من عامة السكان، وقد اتضح هذا فى إنجلترا كما فى اليابان وهنغاريا، كما وجد أن الأفراد متعاطى المخدرات والذهانيين قد حصلوا على درجات مرتفعة فى العصابية والذهانية فى بريطانيا ونيجيريا. ويمكن النظر إلى هذه النتائج بدرجة معقولة من الثقة كثبات وصدق ظاهرى، وقد تكون أقوى لو تمت مقارنتها بنتائج مشتقة من مقاييس أخرى تقيس تلك الأبعاد فى مختلف الدول .(Lynn & Hampson, 1975, 1977)

ومن الانتقادات التى توجه إلى استخدام المؤشرات (أو المقاييس) الديموجرافية فى قياس الفروق القومية فى بعدى العصابية والانبساط بالإضافة إلى بعد الذهانية الانتقادات الآتية:

١ ـ أن الفروق بين الأمم أو المجتمعات فى هذه الموشرات يرجع إلى الثقافة المحلية (القومية) بالإضافة إلى عوامل اجتماعية نوعية خاصة بكل أمة.

٢ ـ هناك نقد يوجه إلى النظرية الكامنة خلف اقتراح التفسير البديل للعوامل.

٣ ـ ثم إن النظرية تتطلب ثباتاً فى مواجهة غموض المحك المستخدم.

وقد تظهر هنا تساؤلات متعددة منها:

١ ـ هل هناك اتساق لتلك الدراسات المختلفة الاتجاه فيما أسفرت عنه من نتائج تتعلق بالفروق القومية فى أبعاد الشخصية؟.

٢ ـ ما هى العوامل المسئولة عن الفروق القومية فى أبعاد الشخصية الأساسية؟.

أولا ـ هناك ثلاثة مصادر رئيسية تمت مراجعتها لمستويات العصابية على المستوى القومى منها:

أ ـ تلك المستمدة من استخبارات أيزنك.

ب ـ دراسة هوفستيد.

جـ ـ التحليل الديموجرافى: دراسة لن ١٩٧١، لن وهامبيسون، ١٩٧٥، ١٩٧٧.

وبفحص الارتباطات بين المقاييس المستخدمة لجمع البيانات عن الدول التى طبقت فيها نلاحظ:

١ ـ اتفقت النتائج المستمدة من استخبار أيزنك للشخصية مع البيانات المستمدة من التحليل الديموجرافى، وكان معامل الارتباط ٠,٧٠ بدلالة ٠١,.

٢ ـ اتفقت النتائج المستمدة من دراسة هوفستيد مع البيانات المستمدة من التحليل الديموجرافى، وكان معامل الارتباط ٠,٤٧٥ بدلالة ٠,٠١.

٣ ـ كان معامل الارتباط بين النتائج المستمدة من استخبار أيزنك للشخصية ونتائج دراسة هوفستيد ضعيفاً إذا وصل إلى ٠,٣٦ وليس له دلالة إحصائية وتؤكد تلك النتائج أن هناك قدراً من الاتساق بين تلك الدراسات مع اختلاف اتجاهها فيما أسفرت عنه من نتائج تتعلق بالفروق القومية فى أبعاد الشخصية.

ثانياً : لاشك أن هناك فروقاً قومية فى الانعصاب Stress بين مختلف الدول، ولهذه الفروق القومية عوامل مسببة. ومن البديهى أولا أن نشير إلى أن انعصاب الأفراد (الضغوط الواقعة عليهم) تعتبر محدداً مهماً فى العصابية (أو القلق) لديهم، وأن هذه الضغوط (أو مواقف الانعصاب) تعتبر محدداً مهماً فى العصابية (أو القلق) بين الدول وفقاً لأشكال هذه الضغوط بمستواها وشدتها وديمومتها.

(١) هناك ضغوط تنتج من عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى والاقتصادى مثل: الثورات، التغير الاقتصادى السريع والذى يتضمن الانفتاح بمعناه الواسع، التضخم المالى الزائد.

(٢) هناك الضغوط الناشئة عن الحرب كالهزيمة والاحتلال.

(٣) من المحتمل أن يكون عامل المناخ له تأثير على مستوى القلق لدى

السكان فى مناطق معينة على العكس من تأثيرات المناخ فى مناطق أخرى.

(٤) ويمكن أن يضاف إلى العوامل السابقة عامل السلالة أو العنصر.

وعندما ننظر فى البيانات المستقاة من استخبارات أيزنك على اختلافها نجد أن مستويات العصابية منخفضة بشكل عام فى الديموقراطيات الغربية المتقدمة بالمقارنة بغيرها، وربما يكون التفسير المعقول هنا أن الحياة فى تلك الديموقراطيات هى حياة غير ضاغطة نسبياً على السكان، وأن هناك استقراراً سياسياً مع وجود درجة عالية من الإجماع العام بين أفراد الشعب على الأسس السياسية والاقتصادية، كذلك ففى هذه الديموقراطيات لا توجد ثورات دموية أو انقلابات عسكرية ثم أن اقتصاديات تلك الدول مستقرة تماماً ومتحررة من مشاكل التضخم الاقتصادى. وفى دراسة تم فيها حساب متوسطات درجات العصابية لعدد تسعة دول تمثل الديموقراطيات الغربية المتقدمة مثل (استراليا، كندا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، اليابان، السويد، بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية). بعدد ستة دول عربية من الشرق الأوسط مثل (مصر، إيران، الأردن، الكويت، لبنان، سوريا). فقد أسفرت تلك المقارنة أن متوسطات درجات العصابية للدول العربية جميعها تتركز بين ثلث إلى ثلثين انحراف معيارى أعلى من متوسطات درجات انجلترا، وبالضرورة ليس هناك تداخل بين مجموعتى الدول المقارنة وإن كان الفرق بين متوسط درجات مجموعتى الدول الأوربية، والعربية فى العصابية دال احصائياً وقد وصلت قيمته إلى ٢,٣٧ بدلالة ٠,٠٥ ومن الممكن أن نفرق بين هاتين المجموعتين من الدول فى ضوء الضغوط (أو الانعصاب) : كالضغوط الاقتصادية والتى تتمثل فى الاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى، التذبذب فى برامج الإصلاح الاقتصادى السريع، الأخذ بالطريقة التقليدية فى الحياة، ثم إن الدول العربية من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٧٣، وهى فى حرب دائمة مع إسرائيل من أجل قضية فلسطين واستغراق شعوبها فى حروب إسلامية، ولا

شك أن كل ذلك يشكل مواقف ضغط أو انعصاب يؤدى إلى زيادة العصابية لدى الشعوب العربية بالمقارنة بالدول الغربية المتقدمة.

كذلك يقارن الباحث بين الديمقراطيات الغربية الحديثة (إيطاليا، فرنسا، سويسرا، ألمانيا، كندا، استراليا، الولايات المتحدة، الدنمارك، السويد، النرويج، بريطانيا) ودول أمريكا اللاتينية (الأرجنتين، بيرو، شيلى، كولومبيا، المكسيك، فنزويلا، البرازيل)، وانتهى من مقارنته هذه إلى نفس النتيجة السابقة أن مواقف الانعصاب المختلفة لاشك تؤدى إلى العصابية، وأن الفروق فى هذه المواقف من حيث شكلها ومستواها وشدتها وديمومتها هو الذى يحدد درجات العصابية (أو شكل الفروق بين السكان فى العصابية) وأكثر الانعصابات شيوعاً يتمثل فى الانقلابات العسكرية، الاحتلال، عدم الاستقرار السياسى، ومن المحتمل أن تكون الاضطرابات الاقتصادية أحد الأسباب.

وفى تفسير الفروق القومية فى الانبساط فقد أوضحنا أن المصادر قد اعتمدت فى نتائجها على جانبين إحداهما استخبارات أيزنك فى الشخصية، وثانيهما المؤشرات (أو المقاييس) الديموجرافية، وتبين هذه المصادر أن الولايات المتحدة الأمريكية قد حصل سكانها على أعلى الدرجات يلى ذلك كندا، جنوب أفريقيا (البيض)، استراليا، السويد، بريطانيا، ألمانيا، فرنسا.

وقد تم فى هذه الدراسة حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات الاستخبارات والدرجات المشتقة من المؤشرات (أو المقاييس) الديموجرافية، وكان معامل الارتباط ٠,٨٤ بدلالة ٠١, مشيراً إلى اتساق مرتفع بين درجات كلا المقاييس : الاستخبارية، والديمرجرافية. وفى تفسير النتائج يعتمد الباحث على أربعة عوامل أساسية تتمثل فى : الهجرة المختارة، الوفرة أو الغنى الاقتصادى، فصائل الدم، الجوانب العرقية. فإذا كنا نتعمق فى سكان الولايات المتحدة، كندا، البيض فى جنوب أفريقيا، استراليا، نجد أن أغلب سكانها من المهاجرين وهذا هو السبب فى ارتفاع درجات سكان هذه

الدول على مقاييس الانبساط فنحن نعرف أن المنبسط يكون أكثر قابلية للضجر والسأم من المنطوى، ولديه الرغبة دائماً فى الاستمتاع بالجديد والمثير، والاستمتاع بالمخاطر، وكل هذه صفات متضمنة فى الهجرة إلى البلاد الجديدة ومن ثم فإن المهاجرين يتوقع أن يكونوا أعضاءً أكثر انبساطاً من السكان فى المجتمع الذى هاجروا منه.

وللتحقق من هذه العوامل تمت المقارنة بين مجموعتين من الدول (الولايات المتحدة، كندا، جنوب أفريقيا: (البيض)، استراليا) والأخرى (السويد، بريطانيا، ألمانيا، فرنسا) نجد أن هناك فروقاً بين مجموعتى هذه الدول فى الانبساط إذ وصلت قيمة «ت» إلى ٢,٩٥ بمستوى دلالة ٠,٠٥، ومن ثم فإن فرص الهجرة يمكن أن يجد له ما يؤيده كعامل محدد فى الفروق القومية فى الانبساط.

- وفى ضوء المؤشرات الديموجرافية يلاحظ أن الوفرة (الغنى الاقتصادى) كما يتمثل فى الدخل القومى يمكن أن يكون عاملا مسهماً فى الانبساط، ويتضح من فحص البيانات الواردة بالدراسة أن هناك علاقة موجبة بين الانبساط وعنصر الوفرة الاقتصادية فقد وصل معامل الارتباط بين الانبساط والدخل القومى فى عام ١٩٧٠ إلى +٠,٦٥ بدلالة ٠,٠١، وقد لوحظ أنه فى الفترة من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٧٠ تزايد مستوى الانبساط فى الدول المشمولة بالدراسة كما يقاس بالمؤشرات الديموجرافية، وبتزايد الغنى أو الوفرة الاقتصادية. وقد أكدت تلك النتائج أيضاً استخبارات أيزنك للشخصية.

أما الفروق التكوينية فى الانبساط فقد تم بحثها بواسطة أيزنك وكان افتراضه أن الانطواء ـ الانبساط يرتبط بفصائل الدم (أ، ب)، فقد لاحظ أن اليابانيين الانطوائيين لهم نسبة عالية من فصائل الدم (أ) ، (ب) من بين كل سكان الأمم محل الدراسة، ومن البريطانيين على وجه التحديد، فحوالى ٩٪ من اليابانيين لهم تلك الفصائل فى مقابل ٣٪ من البريطانيين، وهذا العامل يحتاج إلى المزيد من الدراسة.

وإذا أخذنا الفروق العرقية Racial في الانبساط فإننا نلاحظ متوسطات منخفضة من الانبساط في الدول الزنجية، فنجد أن متوسط درجات سكان : غانا ٤٢,٢٩ ، أوغندا ٤٤,١٧ نيجيريا ٥٠,١٧ ، وتتسق هذه المتوسطات، والمتوسطات المنخفضة في الانبساط لدى زنوج الولايات المتحدة الأمريكية فكان متوسط درجاتهم (٥٢,٥٦) مقارنة بمتوسط أفراد العرق الأبيض. كان (٥٦,٥٦) ، مع أنه في جنوب أفريقيا ليس هناك فروق في المتوسطات بين البيض والزنوج، وقد لوحظ أدنى متوسط للانبساط في اليابان وكان (٤٦,٥٦) ، وفي هذا اتساق والمؤشرات (أو المقاييس) الديموجرافية.

وفي تفسير الفروق القومية في الذهانية. يمكن أن نخرج من الدراسة لعدد ثنتا عشر دولة طبق فيها مقياس الذهانية بعدد من النتائج منها:

١ ـ أن المستوى المنخفض من الذهانية يوجد في الديمقراطيات الغربية المتقدمة والمستقرة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً مقارنة بالدول تحت النامية Underdeveloped والنامية. وقد حسب معامل الارتباط بين الذهانية والدخل القومي لهذه الدول فكان المعامل ٦٢, عند مستوى ٠,٠٥.

٢ ـ أن التباين بين مختلف قوميات السكان في الذهانية هو تباين مرتفع إلى حد ما مقارنة بالتباين في بعدى العصابية والانبساط.

٣ ـ أن ظهور الذهانية في تلك الديمقراطيات الغربية المتقدمة هو ظاهرة حديثة نسبياً.

ولا نستطيع هنا أن نغفل دراسات كل من فرانك فارلي Farley F. H. مع آخرين عام ١٩٧٧ والتي قارن فيها بين عينتين أمريكية وإنجليزية على أبعاد الشخصية الأساسية مستخدماً في ذلك مقاييس أيزنك، ولقد أسفرت هذه الدراسة عن نتائج تتفق ونتائج الدراسات السابقة في هذا الصدد. (Farley et al., 1977).

وكذلك دراسة لو، وشيوى عام ١٩٨٢، لدرجات استخبار أيزنك للشخصية على بعض طلاب الجامعة الكنديين واليابانيين، وقد أكدت النتائج نتائج دراسة لن عام ١٩٧١ ودراستى لن وهامبسون عام ١٩٧٥، ١٩٧٧ .(Loo & Shiomi, 1982)

ومن الدراسات الحضارية المقارنة فى الأبعاد الأساسية للشخصية والتى أجريت بواسطة باحثون مصريون نعرض لبعض من هذه الدراسات موضحين مدى اتفاقها أو اختلافها والدراسات الأجنبية السابقة.

الدراسة الأولى: سويف، ١٩٦٢:

أجرى سويف دراسة كان الهدف الرئيسى منها هو الدراسة الحضارية المقارنة لإطار أيزنك للشخصية لمعرفة ما إذا كان يصلح لتنظيم وصف سمات الشخصية في ظروفنا الحضارية فى مصر باعتبارها ظروفاً تختلف إلى حد ما عما يحيط بالشخصية فى الحضارة الأنجلو أمريكية. وقد طبقت المقاييس على عينة مصرية تتكون من ١٣٦ راشداً، ٧٩ راشدة من المصريين الأسوياء، وقدرت معاملات الارتباط بين المقاييس داخل كل مجموعة، ثم أجرى تحليلان عامليان لكل من جدولى الارتباط، وبمقارنة الإطار العاملى الناتج فى هذا التحليل فى كل من العينتين بمثيله فى تحليل عينة الإنجليز تبين ما يأتى:

١ ـ أمكن استخلاص عاملين فى تحليل المصريين شبيهين بعاملى العصابية والانطواء اللذين سبق استخلاصهما فى تحليل الإنجليز. وكان التشابه ماثلا فى المتغيرات المحددة لكل عامل فى التحليلات الأربعة، وكذلك فى تشبعات المتغيرات على هذه العوامل (إلى حد كبير).

٢ ـ تبين أن التشابه فى حالة عامل العصابية أقوى منه فى حالة عامل الانطواء (سويف، ١٩٦٢، ١-٤٨).

جدول رقم (١)

متوسطات السكان في ٢٤ دولة في الأبعاد الأساسية للشخصية مقاسة باستخبارات أيزنك للشخصية بالإضافة إلى الدخل القومي للسكان فيها

الدولة	دهانية	انبساطية	عصابية	الدخل القومي بالدولار
أولا ـ الديمقراطيات الغربية المتقدمة:				
استراليا	٥٨,٩٩	٥١,٥٣	٥٠,٥٦	٢٦٤٤
كندا	٤٤,١٤	٥٣,٨١	٥٠,٧٣	٣٢١٤
فرنسا	٦١,٠٠	٤٨,٠٨	٥٤,١١	٢٥٥٠
ألمانيا الغربية	٦٦,١٢	٤٩,١٠	٥١,٨٤	٢٧١١
إيطاليا	—	٥٠,٤٨	٥٠,٤٦	١٥٩١
اليابان	٧٣,٠١	٤٦,٥٦	٥٣,٨٥	١٦٦٤
السويد	—	٥٠,٨١	٤٤,٧١	٣٧٣٦
بريطانيا	٥٠,٠٠	٥٠,٠٠	٥٠,٠٠	١٩٩١
الولايات المتحدة مجموع	٥٠,٣٣	٥٦,١٦	٥٠,١٣	٤٢٧٤
(سود)	٥٢,٥٣	٥٢,٥٦	٥١,٤٢	
(بيض)	٥٠,٠٩	٥٦,٥٦	٤٩,٩٩	
ثانياً ـ الشرق الأوسط:				
مصر	—	٤٨,٤٦	٦٢,٩٦	٢٠٢
إيران	٥٧,٩٣	٤٨,٠١	٥٥,٢٢	٣١٦
الأردن	—	٥٧,١١	٥٦,٢٧	٢٦٠
الكويت	—	٥٤,٢٥	٦٠,٨١	٣١٤٨
لبنان	—	٥٣,٠١	٥٤,٥٨	٥٢١
سوريا	—	٤٩,٥٠	٥٧,٧٤	٢٥٨
ثالثاً ـ الدول الأفريقية والنامية:				
غانا	—	٤٢,٢٩	٥٣,٠٧	٢٣٨
نيجريا	—	٥٠,١٧	٥٠,٨٢	١٣٥
أوغندا	—	٤٤,٧٢	٥٧,١٩	١٢٧
جنوب أفريقيا (سود)	—	٥١,٦٣	٥٥,٠٥	٧٢٨
(بيض)	—	٥١,٦٦	٥٢,٢٢	
رابعاً: دول نامية أخرى:				
اليونان	٦٥,٩٤	٥٢,٥٠	٥٤,٤٧	١٠٥١
الهند	٦١,٩٢	٥٠,٨٢	٤٨,٥٦	٩٤
بولندا		٥١,٩٣	٥٥,١٤	—
تركيا	٦٧,٩٦	٤٩,٤٤	٤٤,٦٠	٣٤٤
يوغسلافيا	٦٦,٩٦	٤٧,٦٣	٤٩,٢١	—

الدراسة الثانية: عبد الخالق، سيبل أيزنك، ١٩٨٣:

طبق «استخبار أيزنك للشخصية» صورة مترجمة على عينة تتكون من ١٣٣٠ من الذكور والإناث، ذكور (ن : ٦٤١)، إناث (ن : ٦٨٩)، وذلك للمقارنة بين أبعاد الشخصية لدى عينة مصرية وأخرى إنجليزية، وقد أسفرت النتائج عن أن عوامل متطابقة من الذهانية والانبساط والعصابية والجاذبية الاجتماعية (الكذب) توجد فى مصر كما فى إنجلترا. وقد كشفت المقارنة عن أن العينات المصرية لها درجات أعلى على مقياسى الجاذبية الاجتماعية (الكذب) والعصابية لدى كل من الجنسين، وكشفت الإناث المصريات عن ميل بسيط إلى أن يحصلن على درجات أقل على مقياس الانبساط بالمقارنة بالإناث الإنجليزيات ولكن الدرجة العليا من الذهانية التى حصلت عليها المصريات ـ بالمقارنة بالإناث الإنجليزيات ـ وكانت جوهرية بدرجة مرتفعة (عبد الخالق، سيبل أيزنك، ١٩٨٣: ٢١٥-٢١٦).

الدراسة الثالثة : عبد الخالق: ١٩٩١:

فى إطار تقنين «استخبار أيزنك للشخصية» ، قام الباحث بحساب الفروق الحضارية بين المصريين والإنجليز، وذلك باستخدام البنود التى لها مفتاح تصحيح مشترك فقط بينهما. وأسفرت هذه المقارنة عن أن العينات المصرية لها درجات أعلى على مقياسى الجاذبية الاجتماعية (الكذب) والعصابية لدى كل من الجنسين. وكشفت الإناث المصريات عن ميل بسيط إلى أن يحصلن على درجات أقل على مقياس الانبساط بالمقارنة إلى الإناث الإنجليزيات، ولكن الدرجة العليا من الذهانية التى حصلت عليها المصريات ـ بالمقارنة إلى الإنجليزيات، كانت جوهرية بدرجة مرتفعة (عبد الخالق، ١٩٩١ : ٨١).

الدراسة الرابعة : (عوض، ١٩٨٢):

يسعى الباحث فى هذه الدراسة إلى تلمس نتائج انعكاسات الظروف

التى يمر بها المجتمع اللبنانى، والموقف الحضارى على شخصية الفرد فى كل من المجتمع اللبنانى والمصرى. وكان التساؤل المطروح. هل يختلف نمط استجابة كلا المجتمعين لإطار أيزنك للشخصية كما تقيسها أبعاده؟ وما هو اتجاه هذا الاختلاف؟

وقد طبقت عدد من المقاييس كان من بينها «استخبار أيزنك للشخصية» على عينة مقارنة لبنانية وتكونت من ٣٦٨ من الذكور والإناث، ومصرية وتكونت من ٣٦١ من الجنسين كذلك من المرحلة الجامعية. وقد أسفرت نتائج البحث عن :

١ ـ أن المصريين الذكور حصلوا على درجات على متغير العصابية أعلى مما حصل عليه الذكور البيروتيون وكان الفرق بينها دال احصائياً، أما الدرجات التى حصلت عليها مجموعة الإناث المصرية فهى تعادل تلك الدرجات التى حصلت عليها الإناث البيروتيات.

٢ ـ حصل الذكور البيروتيون على درجات أعلى على متغير الانبساط مما حصل عليه الذكور المصريين إلا أن الفرق بينهما غير جوهرى، أما الإناث البيروتيات فقد حصلن على درجات أعلى على متغير الانبساط مما حصلن عليه الإناث المصريات، إلا أن الفرق بينهما غير جوهرى.

٣ ـ حصل الذكور المصريون على درجات أعلى على متغير الذهانية أعلى مما حصل عليه الذكور البيروتيون، وكان الفرق بينهما جوهرى، وتنسحب هذه النتيجة على مجموعتى الإناث.

٤ ـ حصل الذكور البيروتيون على درجات أعلى على متغير الكذب مما حصل عليه الذكور المصريون، وتنسحب هذه النتيجة على الإناث كذلك. (عوض، ١٩٨٢ ؛ ٢١-٢٣).

كذلك من هذه الدراسات. دراسة (عيسوى، ١٩٨٠)، والتى قام فيها بمقارنة متوسطات درجات عينات : إنجليزية، لبنانية، سودانية، وأسفرت نتائج هذه الدراسة الحضارية المقارنة عن أن العينة السودانية هى أكثر العينات

عصابية، بينما كانت العينة الإنجليزية أقلهم عصابية (عيسوى. ١٩٨٠، ٤٦٨).

وفى دراسة حضارية تالية لها (أبو النيل، ١٩٨٢)، وقد تمت فيه المقارنة بين عينتين مصرية ويمنية، وقد أسفرت نتائجها عن أن المصريين أكثر عصابية من اليمنيين، وقد فسر الباحث هذا فى ضوء الأخذ بأساليب التصنيع فى مصر بصورة أوسع فاعلية مقارنة بالوضع فى اليمن (أبو النيل، ١٩٨٢. ١٨٣).

المناقشة والاستنتاج الختامى

البحوث التى تم عرضها فى الصفحات السابقة استهدف كل منها دراسة السلوك الإنسانى لأفراد ينتمون إلى مجتمع واحد أو حضارة واحدة، وكانت أداة الدراسة فى هذه البحوث إما استخبارات لقياس سمات الشخصية بطريقة مباشرة أو مقاييس ديموجرافية تكمن خلفها تلك السمات. ومن خلال البحوث الحضارية المقارنة يميل العلماء إلى تعميم تلك النتائج والتى يعتبرها العلماء ـ رواد هذه البحوث ـ معبرة عن خصائص السلوك الإنسانى على وجه العموم عبر مجتمعات أخرى.

وربما يبرز هدفان أساسيان، فى هذه البحوث. الهدف الأول هو محاولة الوصول إلى مبادئ عامة للسلوك الإنسانى تنطبق على الإنسان بوجه عام بصرف النظر عن اختلاف الحضارات والمجتمعات. والهدف الثانى هو معرفة كيف يتأثر السلوك الإنسانى بأنواع الحضارات المختلفة التى ينشأ فيها الإنسان، وربما يكون هذان الهدفان هما القيمة التى نحصل عليها من تلك البحوث بالإضافة إلى أنها تزيد من مدى التباين فى كثير من المتغيرات التى تبحث. (نجاتى، ١٩٦٥ : ٦٠-٧٥).

والنتيجة التى نخلص إليها من هذه البحوث على اختلاف مناهجها وما أسفرت عنه من نتائج «أن العصابية والانبساط من بين الأبعاد الهامة والأساسية فى بحوث الشخصية التى تجرى فى ضوء علم النفس الأوروبى والأمريكى، ومن الممكن أن نضيف إلى ذلك أن هذه النتيجة يمكن أن تنسحب على المصريين الذين شملتهم (الدراسات المصرية: دراسات كل من السيد، ١٩٦٨ ؛ عبد الخالق، ١٩٧٩ ، ١٩٨٣ ، ١٩٩١ ؛ فراج، ١٩٨٠ ؛... إلخ) وهى دراسات عاملية انتهت إلى استخلاص عوامل أساسية متعامدة من الناحية الاحصائية وكانت بتوالى ظهورها من خلال التحليلات العاملية لتلك الدراسات : العصابية، الانطواء، وعدداً آخر من العوامل الأقل فى عموميتها وأهميتها من تلك الأبعاد).

فعلى الرغم من وجود الفروق الحضارية فقد أمكن استخراج نفس العاملين بقسمات واضحة لدى عشرين عينة من المصريين، ولم يختلف النمط العاملى لسمات الشخصية رغم تنوع خصائص هذه العينات أو اختلاف الاستخبارات مما يشير إلى ما للعاملين من فاعلية مرتفعة لتكرار العمومية، ويقوم ما قد يعد قرينة على صدق الدعوى الخاصة بعالمية أبعاد الشخصية هذه من قبل مجتمع شرقى يتميز بخصائص ـ إلى حد معين ـ عن المجتمعات الغربية (الأوروبية والأمريكية الشمالية بالدرجة الأولى) التى تمكن عديد من الباحثين من اكتشاف نفس العاملين على عينات من شعوبها.

مراجع الفصل الثانى عشر

١ ـ أيزنك، هـ.، أيزنك، س.ج، استخبار أيزنك للشخصية، دليل تعليمات الصيغة العربية: ترجمة أحمد محمد عبد الخالق، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١.

٢ ـ أبو النيل (محمود السيد) «دراسة ثقافية مقارنة بين المصريين واليمنيين فى النواحى العصابية والسيكوسوماتية»، مجلة العلوم الاجتماعية، السنة العاشرة، العدد الرابع، ١٩٨٢.

٣ ـ سويف (مصطفى)، «إطار أساسى للشخصية: دارسة حضارية مقارنة على نتائج التحليل العاملى»، (المجلة الجنائية القومية، عدد ٥، ١٩٦٢، ١-٤٨).

٤ ـ عبد الخالق (أحمد محمد)، «الأبعاد الأساسية للشخصية»، دار المعارف، ١٩٧٩.

٥ ـ عوض (عباس محمود)، التقييم الإكلينيكى الذاتى فى ضوء إطار للشخصية: (دراسة حضارية مقارنة)، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ.

٦ ـ عيسوى (عبد الرحمن)، علم النفس والإنسان، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠.

٧ ـ لن «ريتشارد»، مقدمة لدراسة الشخصية، ترجمة أحمد محمد عبد الخالق، مايسة النيال، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠.

٨ ـ نجاتى (محمد عثمان)، البحوث الحضارية المقارنة ومشكلاتها المنهجية، فى لويس كامل مليكة، قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥ : ٦٠-٧٥.

9. Abed-Elkhalek A. M. & Eysenck, S.B.G., A Cross Cultural Study of Personality, Egypt and England.

فى أحمد عبد الخالق: بحوث فى السلوك والشخصية، المجلد الثالث، دار المعارف، ١٩٨٣ : ٢١٥-٢٢٦.

10. Cattel & Scheier, Measurement of Neuroticism and Anxiety., New York : Ronald press, 1961.

11. Eysenck, H.J., Gupta B.S, Eysenck - S - B - G., National differences in personality : India and England. indian J: Psycho.

12. Farley, F.H., et al, American and British Data on a three Dimensional Assessment of personality in college students, J. of . pers. Asses 1977, 111,2

13. Hofstede. G, Nationality and organisational stress. Brussels European Inistitute for Research in Management 1976.

14. Loo, R. & Shiomi, k., The Eysenck personality Scores of Japanese and Candadion undergraduates, J.Soc. Psychol, 198, Vol. 118, No.1.

15. Lynn, R., Personality and National Character, Oxford. Pergamon, 1971

16. ------- ., Hamp son, S.L., National differences in Extroversion and Neuroticism, Brit. J. soc. CLin. Psych of . 14.224. 240, 1975

17. ------- .., Fluctuotions in national Levels of Neuroticism and Extroversion. Brit. .J.Soc. CLin. Psychol, 1977, 16, 131 - 137.

18. ------- .,Cross - cultulal Differences in Neuroticism, Extraversion, and psychoticism. in Lynn. R. Ed Dimensions of personality, pergamon press Oxford, 1981. 263 - 286.

19. Jensen - A., The Maudsley personality inventory Acta psychologica, 14, 314 - 225.

20. Spielberger, C.D., Diaz. G., Cross - Cultural Anxiety. London, John Wiley.